

قبسات من التراث الشعبي

معارك وقصائد

قراءات في تاريخ جبل العرب والثورة السورية الكبرى
سنة ١٩٢٥

حسن القيسي نصر

قبسات من التراث الشعبي (الجزء الأول)

إعداد ودراسة: حسن القيسي نصر

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

عدد النسخ:١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: فادي كيوان.

تصميم الغلاف: فيصل حفيان.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار رسلان للطباعة النشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهداء

إلى أرواح شهداء العروبة الذين رووا تربة الوطن بدمائهم الزكية. إلى المناضلين الأحرار الذين خاضوا ويخوضون معارك التحرير والاستقلال والحق والديموقراطية. إلى المغتربين المكافحين لبناء الأسرة والبيت والوطن أهدي هذه التجربة المتواضعة من عملي، راجياً تكريس رفعة النضال والتضحية في طريق الأجيال الصاعدة المتوثبة لإعلاء شأن العروبة والوطن والإنسانية الخالدة.

تنويه

كان للمغتربين في فنزويلا الفضل الأكبر في ظهور هذه القراءات إلى النور خاصة أبناء البلد مسعود أبو شبلي نصر وأخيه هندي وغازي غيث نصر لأنهم دعموا هذا العمل مادياً ومعنوياً وشجعوا على إصداره. عندما بقيت بينهم لثلاثة أشهر سنة ١٩٩٣ أتكلم بمواضيع الثورة السورية وقصائد التراث الشعبي في النوادي والبيوت والسهرات. وقد طلبوا إليّ تسجيلها بإلحاح ـ فكان هذا السفر الذي أقدمه لهم بصورة خاصة مقدراً لتشجيعهم ولجميع القراء هواة التراث الشعبي تخليداً لجيل السلف بالأعمال البطولية والشجاعة والكرم والأخلاق العالية التي سجلوها بدمائهم على صفحات الزمن لنفتخر ونعتز بها نحن والأجيال اللاحقة على مر الزمن.

ومن ثم أعتذر لعدم تمكني من كتابة وتدوين جميع الحوادث والمعارك والتضحيات والشهداء ـ لأن الأعمال البطولية كانت كثيرة وكثيرة لدرجة أن نضال كل بلد أو قرية يحتاج لكتاب كامل لتسجيله وهذا العمل الضخم يحتاج لعدة سنوات في مؤسسات ودوائر فيها المختصين والمحققين والكتاب. وما تمكنت من تقديمه في هذه العجالة ليس أكثر من جهد بسيط متواضع لا يفي بالغرض لكنه ينبه ويحرض ويدفع إن شاء الله لعمل أشمل وأكبر في المستقبل.

حسن

المقدمة

تتناول هذه القراءات جوانب من تاريخ جبل العرب خاصة المعارك ضد الأتراك وضد إبراهيم باشا المصري ومعارك الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ بالإضافة لقصائد التراث الشعبي التي قيلت بمناسبة تلك المعارك.

ويمكن تلخيص العنوان لها بعبارة "معارك وقصائد" وكان اختياري لهذا الموضوع لاعتقادي أن التاريخ او التراث هو القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها حاضر الأمة ومستقبلها، فالأمة بلا تاريخ كالشجرة بلا جذور لا تستطيع الثبات لهبات الزمان العاتية ولا يكون لها حاضر ولا مستقبل زاهر.

ومع أني لست مؤرخاً ولا شاعراً إنما رأيت هذا الجيل جيل الأبناء يغوص في خضم هذا الصراع المادي الذي طغى حتى كاد يطمس الشعر والأدب والتاريخ وكل ما هو فكري أو وطني فخشيت على حقبة زاخرة من تاريخنا وباقة مزدهرة من تراثنا من الضياع والنسيان لذلك خففت أقرأ وأحفظ وأدون قراءاتي في التاريخ وقصائد التراث الشعبي قاصداً تحريك الفكر والشعور القومي والوطني لتخفيف وطأة الصراع المادي بين أفراد جيل الأبناء وقد التزمت في عملي النقاط التالية:

١ـ أسهبت قليلاً في شرح المعارك وتوصيفها على ألسن روادها الذين خاضوا غمارها، فكان الوصف أقرب إلى الواقع ليستفيد منه الباحث وواضع السيناريو للمسلسل أو الفيلم عن هذه المعارك.

٢ـ عند البحث في الثورة السورية الكبرى توسعت إلى معارك هذه الثورة خارج حدود الجبل وفي جميع أنحاء سوريا ولبنان وتناولت الكثير من أبناء العروبة المساهمين بهذا النضال الوطني المقدس.

٣ـ حاولت قدر الإمكان شرح المفردات والمعاني خاصة ما ورد منها في القصائد الشعبية وذلك لتسهيل قراءتها وفهمها بشكل أفضل.

٤ـ أشرت إلى المصادر والوثائق التي اعتمدت عليها في ذكر الوقائع والأسماء بشكل صريح مع التزويد ببعض المخططات والصور التوضيحية. وقد كان لي فيما

كتب الفرنسيون أنفسهم في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق وفي كتابات الجنرال أندريا مراجع أغنت كتاباتي كذلك كتابات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ومنير الريس وجميل علواني، خاصة مذكرات سلطان باشا الأطرش التي أشرت إليها بعبارة "م.ح. كذا"[1].

٥ـ وأخيراً أعتذر لعدم تمكني من الإحاطة بكل شيء أو ذكر جميع الأسماء آملاً أن يكون في نشر هذه القراءات خدمة للجيل ونفعاً للوطن المغتربين والعرب أينما وجدوا للباحثين أينما كانوا. والله من وراء القصد.

* * * * *

[1] . "م.ح.كذا" أي مذكرات حلقة كذا "إشارة لمذكرات سلطان باشا الأطرش التي أملاها على الأستاذين صلاح مزهر ويوسف الدبيسي ونشرها أمين الأعور سنة ١٩٧٥ بمجلة بيروت المساء بـ ٢٥ حلقة أسبوعية متسلسلة.

الباب الأول

التعريف والسكان في الجبل

أ- التعريف.

ب - آثار الجبل والسكان القدامى.

ج - بدايات بني معروف في الجبل.

أ ـ التعريف

جبل العرب "جبل حوران"[1]

مجموعة من الهضاب تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لسوريا السياسية يقول فيها الشاعر زيد الأطرش:

من هضاب شاد أهلنا فوق منا ... موطننا للعز موفور الكرامة

من جبل حوران بيعرب تكنا ... يا المشكك دونك وشاح الوساما

وهي تشكل درعاً يصدُّ عن الوطن غارات البدو من الجهة الشرقية والجنوبية وهجمات الغزاة من الغرب لذلك يضيف الشاعر:

وربوعنا درع الوطن من يوم كنا ... يقودنا سلطان نشفي له مرامه

السفح الغربي منها سهول خصبة تتصل بسهل حوران، والقسم الشرقي نجاد وهضاب تطل على بادية العراق والأردن وبادية الشام، أشهر القمم فيها "القليب ١٧٢٤ متراً" القينة وتل "جفنة ١٧٢٧م "وتل" المسيح قرب شهبا ١٧٤٩م "مساحة الجبل ٨٠٠٠ كم^2 تمتد من الصورة واللجاة[2] البركانية في الشمال بطول ١٠٠ كم تقريباً حتى خربة عواد جنوباً، ومن الثعلة غرباً حتى الصفاة شرقاً بطول ٨٠ كم، وقد ورد ذكر

---

[1] . حوران كلمة من حورنا معناها الكهف أو المغارة بالسريانية وفي الجبل الكثير من الكهوف والمغاور وقد ورد في كتاب المقريزي : حوران قرية من نواحي دمشق، قرية أصحاب الأخدود قيل أنها نجران وهي الآن قرية كبيرة في الشمال الغربي للجبل على حدود اللجاة. فيها آثار كنيسة عليها قبة يقال لها أم الخدود وبرج شاهق درجه من الداخل يسمى المأذنة.

[2] اللجاة: من كلمة لجأ ومعناها الملجأ تغطيها صبات بازلتية من البراكين التي ثارت في الزمن القديم تكثر فيها الوهاد والكهوف الصخرية التي تشكل تحصينات طبيعية متميزة وقد أطلق عليه الفرنسيون قلعة الله وقد ابتلعت الكثير من الجيوش والحملات الغازية من جيش إبراهيم باشا المصري حتى الحملات التركية ثم الفرنسية، تقع في الجانب الغربي للجبل من الجهة الشمالية طولها ثلاثون كيلومتراً وعرضها عشرون تقريباً.

الجبل في التوراة باسم "باشان **Bachan**" وهي كلمة تعني الخصب وأطلق عليه الرومان اسم "أورانتيد" أي امتداد حوران، وأطلق عليه العرب اسم جبل الريان إذ قال فيه جرير:

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

نشأت التربة فيه من تفتت الصخور البركانية فهي تربة خصبة تكثر فيها زراعة الحبوب بأنواعها وأشجار الفاكهة خاصة شجرة الكرمة "العنب" وقد اشتهر الجبل بزراعتها بشكل خاص وتعددت فيه أنواعها منذ القدم "أنواع جيدة ونكهة فريدة" وقد شوهدت صور شجيرات الكرمة منقوشة على أكثر آثاره البازلتية خاصة في قنوات. وقد اشتهرت حديثاً بساتين التفاح بأنوعه المختلفة أيضاً مع الكرز "حب الملوك" في ظهر الجبل.

أما سفح الجبل الغربي الذي يعتبر امتداداً لسهول حوران فقد ازدادت فيه أشجار الزيتون والتين بالإضافة لزراعة الحبوب المختلفة.

أراضي الجبل تغطيها المنتجات البركانية بشكل عام لتجعل بعضها على شكل صبّات بازلتية واسعة تكثر فيها الكهوف والمغاور والحفر كما في منطقة اللجاة والصفاة[1]، وبعضها الآخر بقع سهلية ذات تربة حمراء خصبة نتجت من تفتت البازلت تكثر فيها أكاسيد الحديد الحمراء " حجر الدم هيماتيت" يفصل بين هذه البقع أكوام الحجارة البركانية "الرجوم" كما ينتشر فوق أرضها قنابل بركانية بازلتية من حجارة سوداء تعرقل آليات الأراضي الزراعية إذا لم يحصل تعزيلها ونقلها من الأرض. وقد كانت جميع القرى والمدن قبل خمسينات هذا القرن مبنية بالحجارة البازلتية المتوفرة من الصخور التي نثرتها فوهات البراكين في الفترة التي سبقت العصور التاريخية، حتى أن جميع الآثار والمعابد والأبراج كانت من الصخور البازلتية

---

[1] الصفاة: تجمعات من الصبات البركانية التي سالت من الجبل في العصور القديمة "العصر الجيولوجي الرابع" تقع شرق الجبل من الناحية الشمالية توازي اللجاة يفصل بينهما وادي وسهل اللوى. سكنتها قبائل عربية قديمة يظن أنها من أفخاذ ثمود.

أما بعد فقد ازدادت الأبنية الحديثة المشادة بالأسمنت المسلح وأبيضت أكثر المدن والقرى التي أخذت تزينها الفيلات والقصور الفخمة المبنية على الطراز الحديث.

مناخ الجبل

الجبل قريب من الصحراء يتميز مناخه بهواء جاف يمنع انتشار الأوبئة وهو صحي جداً لذلك يعتبر حالياً من أفضل مناطق الاصطياف التي يصفها الأطباء لتخفيف وطأة أمراض الأجواء الرطبة كالأمراض العصبية والربو. كما تعتبر الأجواء الجافة من أهم العوامل التي تؤدي إلى صفاء الذهن والراحة والهدوء في نفوس السكان.

الأمطار تتساقط هنا في فصلي الشتاء والربيع وقد تغطي الثلوج أحيانا الروابي والقمم لعدة أيام في الفصل الأول. وغالباً ما تكون كمية المياه كافية للزراعة البعلية والأشجار. وقد تسيل المياه الفائضة لعدة أيام في الأودية التي تتجه غرباً نحو نهر الشريعة أو شرقاً نحو البادية.

الصناعات

أهمها السجاد والبسط وصناعة الخمور من الكرمة. وقد تصنع النساء أطباق القش والقفف المزخرفة بالأشكال والألوان الجميلة الزاهية التي تشبه المزهريات والقطع الفنية الساحرة، وقد ازدهرت في بعض قرى الجبل قديماً صناعة حجر الطاحون "الرحى" من الحجارة البازلتية القاسية، كما أن بعض القرى الواقعة في تخوم اللجاة وبلدة قنوات اشتهرت في السابق بصناعة البارود الأسود الذي كان يصدر بالأطنان إلى دمشق والقدس ويستخدم في البنادق والألغام والمدافع البدائية.

ب ـ الآثار والسكان القدامى

لقد وجدت حول الينابيع في الجبل بعض الأدوات الصوانية المنحوتة التي كان يستخدمها إنسان ما قبل التاريخ. ويبدو تاريخ الجبل قبل الأنباط والسلوقيين غامضاً نسبياً. فقد سكن الصفويون العرب المنحدر الشرقي للجبل منذ القرن الأول للميلاد وكانت لغتهم وسطاً بين اللغة الفينيقية ولغة القرآن[١] وقد تركوا رسوماً وكتابات كثيرة خاصة في قصر النمَّاره بالصفاة شرق ا لجبل.

ثم جاء العرب الأنباط، الذين سكنوا شرقي الأردن منذ القرن السادس قبل الميلاد فدخلوا الجبل بعد أن تغلبوا على السلوقيين خلفاء الأسكندر في معركة "موتانا" ("متان" قرية شرقي صلخد) سنة ٨٨ ق.م وقد قتلوا ملكهم ا لثالث عشر انطيوخوس وقد ازدهرت في أيامهم قنوات والسويداء وصلخد كمراكز تجارية وامتدت سلطتهم حتى دمشق وسهل البقاع[٢] . وقد عثر على هيكل نبطي للإله ذي الشراة[٣] غرب تل القليب وفي "سيع" مذبح لهذا الإله ومعبد في السويداء. وهذه الآلهة النبطية كانت معروفة عند عرب الجاهلية في شبه الجزيرة العربية . أما الرومان فقد عقدوا معاهدة حسن جوار سنة ٦٥٤ق.م بين سكورس الحاكم الروماني والحارث ملك الأنباط، استمرت حتى وفاة الملك رئبال الثاني في مطلع القرن الثاني للميلاد حيث استغل الرومان ضعف الأنباط بعد وفاة رئبال فهاجموا بلادهم وألحقوها بإمبراطوريتهم الرومانية سنة ١٠٦ميلادية وأطلقوا عليها اسم الولاية العربية[٤] وكانت عاصمتها بصرى. وقد بنى الرومان بعد ذلك في الولاية عدداً من الحصون والمراكز العسكرية لحفظ الأمن وشقوا كثيراً من الطرقات "دمشق إلى السويداء وقنوات عبر اللجاة وشهبا، السويداء عرى صلخد متان ←— العراق" وقد ترك الرومان في الجبل كثيراً من الآثار كالأبراج والمسارح والحمامات والفنادق والقصور ـ قبل المعبد الشمالي في قرية عتيل الذي بناه الأمبراطور "كاراكالا" ذو الأصل

---

(١) ـ المستشرق هاليفي.

(٢) محافظة السويداء ص ٧.

(٣) ذي الشراة: من آلهة العرب في الجاهلية.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام .د.جواد علي ص ٣٨٤م.

القرطاجي العربي وآثار السدود والبرك الكبيرة لجمع مياه الأمطار والأقنية الفخارية التي تجري فيها المياه إلى المدن. وأهم آثار الجبل في قنوات وشهبا.

ففي قنوات عشتاروت أو **OKNATA** هيكل الشمس الذي بناه هيرودوس الأول "أغريبا" فيه ٣١ عموداً تنتهي بتيجان كورنثية. ومعبد الإله زوس بالقرب من خزان المياه. ومسرح فيه مقاعد منحوتة بالصخر وفيها شوارع مبلطة وبقايا برج يسمى حالياً النبي أيوب. وجنوب قنوات على بعد ألفي متر مرتفع تقع عليه خربة "سيع" التي تحوي بقايا قصور متهدمة وآثاراً قيمة نقل بعضها إلى متحف اللوفر في باريز والمتحف الوطني بدمشق.

وآخر المكتشفات في الستينات في شهبا بقايا قصر روماني أرض الغرف فيه لوحات فسيفساء مزركشة كأنها قطع السجاد تمثل مواضيع اجتماعية هادفة احتفظت بشكلها ومكانها وقد أقيم عليها متحف شهبا الجديد الذي يحوي ثروة قيمة من الآثار الرومانية. وفي نجران برج شاهق يدعى المأذنة درجه من الداخل في أعلاه بقايا غرفة تهدمت بقنابل المدفع الفرنسي من بصر الحرير أيام الثورة السورية الكبرى.

وفي القرن الرابع للميلاد ضعف نفوذ الحكم الروماني في المنطقة فتركوا الحكم للأمراء العرب من الغساسنة بعد أن نظمت علاقاتهم بقناصل روما[1].

وقد أقام الغساسنة خط دفاع جنوب شرقي الجبل فيه عدة حصون منها القصر الأبيض والنمَّاره ودير الكهف والقلعة الزرقاء، وفي القصر الأبيض نقوش جميلة وصور طيور وخيول وأسود وفهود حتى السمك[2] كما بنوا بعض القصور في السويداء والقريا، وشيد الغساسنة الكثير من القصور وأقواس النصر والحمامات العمومية والمنازل والمسارح ......

وفي عهد الحارث بن جبلة تم انتصار الغساسنة على الفرس سنة ٥٢٨م فعين رئيساً على جميع العرب في سوريا وقد خلفه ابنه المنذر الذي نازع البيزنطيين

---

[1] حوران "سليمان عبد الله المقداد ص ٢٣.

[2] العرب قبل الإسلام جورجي زيدان.

فهاجموه وتغلبوا عليه ونفوه إلى صقلية. في سنة ٦٠٨م عاد للفرس انتصارهم فبسطوا نفوذهم على المنطقة حتى انتصر عليهم هرقل ملك الروم سنة ٦٢٩م فنصب جبلة ابن الأيهم ملكاً في المنطقة. وباعتبار الغساسنة من العرب القحطانيين انضم الكثير منهم إلى العرب المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام في القرن السابع للميلاد في عهد عمر بن الخطاب الذي أقر تنصيب مالك بن الحارث "من الشهابيين" أميراً على حوران والجبل فأقام مع عشيرته في الشهبا من قرى حوران وكان بالمرصاد لبني غسان من النصارى حيث منع عنهم حوران بعد أن نازلهم بمواقع حربية متعددة[1] ويرى الكابتين "بورون" أن اسم الشهابيين مشتق من شهبا التي سكنوها خمسة قرون. ثم خضع الجبل للدول التي تعاقبت على الحكم في سورية منذ عهد الأمويين والعباسيين.

فالأمير قاسم الشهابي حارب الروم بالقسطنطينية سنة ٧٣٧ وقد خلفه ولده الأمير شهاب الذي حارب الروم عند خليج القسطنطينية سنة ٧٨٠ ومن أحفاده الأمير عامر والأمير سعيد الذي قاتل القرامطة سنة ٨٩٥ وردهم عن حوران[2] وقد استطاع سكان الجبل أن يصدوا الحملات الصليبية بعد أن تمركز فيه الأيوبيون وبنوا فيه القلاع والحصون، كما في صلخد حيث زادوا في تحصين قلعتها النبطية الأصل.

وفي أعلى مئذنة صلخد الحالية اسم أول سلاطين المماليك عز الدين أيبك، وكان لصلخد شأن في الإسلام خاصة في زمن صلاح الدين إذ كانت قاعدة ملك عز الدين ابن أسامة. كما كانت فيما بعد قاعدة لجبل بني هلال نسبة إلى سكانه[3].

ومن الجدير بالذكر أن الأمير منقذ الشهابي وأقرباءه من الأمراء وقفوا إلى جانب صلاح الدين وحاربوا الإفرنج معه. وقد رحل الأمير منقذ وبعض وجوه عشيرته من حوران لينزلوا في وادي التيم وحاربوا الإفرنج بمعارك متعددة.

---

(1) ذخائر لبنان ص ٢٤٣ . إبراهيم بيك الأسود.

(2) ذخائر لبنان الأسود ص ٢٤٣.

(3) بنو معروف في حوران النجار ص ٧١.

أما المتحف الحديث بالسويداء المبني بالحجر البازلتي على الطريقة الرومانية فيحوي ثروة هائلة من الآثار النبطية والرومانية، كما أن الحفريات الحديثة للشارع المحوري في مدينة السويداء قد كشف عن ثروة أثرية كبيرة ما زالت تتكشف وتترتب بالتدريج من قبل مديرية الآثار.

هذا وإن كثيراً من القرى والقصور التي كانت عامرة ومزدهرة في جبل العرب في عهد الأنباط والرومان وصدر الإسلام قد أقفرت من السكان وجفت فيها الحضارة والعمران بين القرنين العاشر والتاسع عشر حيث لم يتجاوز عدد السكان ١٠ آلاف نسمة حسب تقدير الأستاذ محمد كرد علي وحسب تقدير الرحالة "لويس بركهاردت" الذي زار المنطقة سنة ١٨١٠ م وتُعلل هجرة السكان بسبب الجفاف والغزوات المتكررة على المنطقة من البادية حتى النصف الثاني للقرن التاسع عشر عندما أصبحت السويداء إحدى الأقضية الستة التي كانت تابعة لمتصرفية حوران وجبل العرب ومركزها المزيريب.

بدايات سكن بني معروف في الجبل

يجمع أكثر المؤرخين والكتاب[1] أن أكثر بني معروف عرب ينتمون للقبائل العربية كاللخمين والتنوخيين التي هاجرت من الجزيرة العربية واليمن إلى العراق وانخرطت بجيش خالد بن الوليد الذي سار إلى سوريا وفلسطين لنجدة الجيوش العربية فيها وتحريرها من الأجانب "الرومان" وقد استقرت بعد التحرير بجهات حلب ومعرة النعمان، ثم اختارها الخليفة المنصور في العهد العباسي لحماية الثغور فتقدم أكثرها ليستقر في جبل لبنان ووادي التيم وإقليم البلان وجبال فلسطين. وعندما اشتدت الخلافات بين القيسية واليمنية من العشائر في لبنان وازدادت الحروب بينهم في القرن السابع عشر الميلادي هاجر الكثير من الأسر المغلوبة إلى جبل حوران الذي كان ممراً لقبائل البدو تقيظ فيه بمواشيها، فتتلف أشجاره وتتمتع بخيراته دون العناية بتعمير قراه التي بقيت مهجورة حتى سنة ١٦٨٥ حيث قدم الأمير علم الدين المعني على رأس قوة من المحاربين الأشداء تبلغ حوالي مائتي رجل ترافقهم النساء

---

[1] **بركهاردت ـ النجار ـ الزغير ـ والأمير شكيب أرسلان.**

والأطفال واستوطنوا القرى المجاورة لمنطقة اللجاة الوعرة، واتخذ الأمير المعني قصر مقري الوحش في نجران[١] مسكناً له وحصناً يقيه من هجوم الأعداء. وفي سنة ١٦٩١م قدم الحمدانيون من قرية "كفرة" في لبنان واستوطنوا قرية بريكة وريمة اللحف، واكتشف حمدان الحمدان من المال في جوف حنت[٢] القصر في ريمة اللحف، وكان هذا المبلغ الكبير نسبياً سبباً لغناه وسيادته في المنطقة، وبعد عودة الأمير المعني إلى لبنان انتقل حمدان إلى نجران وسكن مكانه[٣] وفي سنة ١٦٩٦ توسع بنو معروف بعدما تغلبوا على قبائل ولد علي فاستوطنوا اللجاة ووادي اللوا حتى وصلوا إلى الهيت والهيات، ثم ارتحل الحمدانيون إلى السويداء بعد قدوم أقاربهم المهاجرين من لبنان مثل خليل الحمدان والمهاجرين من بلاد صفد واستولوا على السويداء من شيوخها بني سويدان الذين نزحوا إلى معربه وغصم[٤].

في سنة ١٧١١م بعد معركة عين داره في لبنان ازداد عدد بني معروف الوافدين إلى الجبل وقاموا بترميم القرى المهجورة وتربية الماشية وتحويل الأراضي المهملة إلى أرض زراعية، مما ساعد على توسعهم في المنطقة، وقد رافق هذا التوسع صدامات مع الجوار من البدو وسكان حوران الذين اعتبروا بني معروف دخلاء على المنطقة، وخلال قرن من الزمن، انتهت السيطرة لبني معروف على هذا النجد الخصيب فأصبحوا أسياد الجبل وولاة أمر جميع الأقوام النازلة فيه، ولكن المعارك لم تنقطع مع الجوار ومع الدولة العثمانية التي كانت تحاول باستمرار فرض سيطرتها على الجبل.

وما زال لأكثر عائلات الجبل أصول وأقارب في لبنان وفي منطقة حلب للقادمين منها "الحلبية" وفي منطقة صفد للقادمين من فلسطين "الصفدية والحرافشة" من صفد وحرفيش.

---

[١] هي المشهورة ببيعة نجران كانت مصيفاً للمتعبدين وكان ينذر لها المسلمون والنصارى.

[٢] حنت القصر: حجر مستطيل يمتد فوق الباب مباشرة.

[٣] الزغير ص ٤٠٥.

[٤] الزغير ص ٤٠٦

الباب الثاني

المعارك ضد إبراهيم باشا المصري

المعارك ضد إبراهيم باشا المصري

أولاً: تمهيد

وتدور عجلة الزمن ويبدأ القرن التاسع عشر

في مطلع القرن التاسع عشر "١٨١٠م" كان بنو معروف قد استقروا في الجبل وثبتوا أقدامهم فيه بالقوة. وامتد نفوذهم حتى أزرع وبصر الحرير وخبب وتبنا[١].

وقد اعترفت لهم الدولة العثمانية ببعض الامتيازات كحمل السلاح والإعفاء من الجندية الإجبارية وراحوا يمارسون حياة مستقلة بعيدة نسبياً عن ضغط الحكام وظلمهم، وازدهرت الزراعة وبعض الصناعات خاصة حجر الطاحون. وكان والي دمشق يعترف بسيطرة الحمدان شيخ السويدا على جميع القرى ويكلفه بجمع الضرائب المقررة وقد أصبح الجبل في هذه الفترة ملجأ يقصده كل من لا يتحمل ظلم الحكام وأذاهم.

وقد قال بعض الشعراء

جبل حوران يا معذِّي الدخيلين ... للحر والمظلوم أنت المنارة

فيك الكرامة والعدل فيك تأمين ... واللي يريد العز ينحر تعارة[٢]

لكن الحكام العثمانيين لم يَرُقْ لهم هذا الوضع فقرروا إخضاع هذه المنطقة لنفوذهم لمنع المتمردين من اللجوء إليها والإحتماء بها فوقعت بسبب ذلك حروب متعددة معهم، كذلك حصل مع إبراهيم باشا المصري عند غزوه لبلاد الشام.

---

[١] الزغير ص ٤٠٥

[٢] تعارة: أول قرى الجبل من ناحية حوران.

ثانياً : الثورة على إبراهيم باشا المصري

أ ـ المقدمة

بعدما احتل القائد المصري سوريا بدا متفهماً لواقع أبناء الجبل وظروفهم فوافق على إعفائهم من الخدمة العسكرية وترك أسلحتهم بأيديهم وتخفيف الضرائب عنهم والامتناع عن بناء الحصون في جبلهم وقرب إليه بعض زعمائهم فكان عز الدين الحلبي نافذ الكلمة عند متصرفه لا يرد له طلب، لكنه اعتباراً من مطلع سنة ١٨٣٧م قرر بسط نفوذه على الجبل ليمنع كل متمرد على أوامره أو ناقم على حكمه من اللجوء إليه، وأصدر قراراً يقضي بسوق أبناء الجبل إلى الجندية وطلب من شريف باشا والي دمشق تنفيذ هذا القرار، فاستدعى الوالي لمجلسه في دمشق وفداً من أهالي الجبل على رأسه الشيخ يحيى الحمدان للتباحث بتنفيذ القرار، وبينما كان الشيخ يترجى الوالي للتراجع عن هذا القرار أظهر إصراراً على موقفه وثباتاً في كلامه مما أغاظ الوالي فتقدم منه وصفعه في المجلس، ولما عاد الحمداني كاظماً غيظه إلى السويداء عقد مجلساً للأعيان أخبرهم فيه عن إصرار الوالي على تنفيذ القرار وتحديه وإهانته بمجلسه بدمشق، فغضب الجميع على إهانة ممثلهم الحمداني واتخذوا قراراً بالعصيان ومحاربة الجنود المصريين وأعلنوا الثورة بعد موافقة الشيخ الروحي إبراهيم الهجري[1].

ب ـ حملة علي آغا البصيلي وفرقة الهوارة

بعد مفاوضات فاشلة بين شريف باشا وأبناء الجبل أرسل هذا حملة عسكرية كبيرة بقيادة علي آغا البصيلي تمركزت في قرية الثعلة غرب السويداء في تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ ومع الحملة فرقة قوية مدربة جيداً تشبه فرقة النجدة تدعى "فرقة الهوارة" أشتهرت بانتصاراتها السريعة بالحروب مع الأتراك، وما أن تمركزت الحملة بمرابضها وأسدل الليل ستاره حتى هاجم الثوار هذه الحملة والفرقة بمخيماتها وأجهزوا عليها بالكامل، وقد نجا قائد الحملة بأعجوبة وقتل عبد القادر آغا أبو

---

[1] الزغير ص ٤٠٦.

حبيب متسلم "متصرف" حوران والجبل وفرَّ البصيلي هارباً مع ثلاثين نفر فقط تعقبهم الثوار في سهل حوران وقتلوا أكثرهم واندثرت فرقة الهوارة بأكملها. وفقد المجاهدون ثلاثة عشر شهيداً. وعادوا إلى معاقلهم يرددون أشعار النصر مثل قصيدة أبو علي الحناوي:

أول فتـــوح الـــشر ذبـــح البـــصيلي　　أخـذنا خمـس مائـة حـصان بفردنهـار

وبعض الأغاني على فرقة الهوارة مثل:

عـــــــــا الهوارة الهــــــــــوارة　　الحــــــــرب بــــــــدها شــــــــطاره

يــــــا لطيــــــف ويــــــا لطيــــــف　　تنتــــــــف العــــــسكر تنتيــــــف

ذبــــــح الحملــــــة والتنظيــــــف　　اســــــتغرق شــــــربة ســــــيكاره

عا الهوارة الهوارة

تربـــــــة وطنـــــــا غـــــــالي　　يُفـــــــــدِّيها الأهـــــــــالي

والغــــــــــازي والمتعــــــــــالي　　نَدفنــــــــه تحــــــــت حجــــــاره

عا الهوارة الهوارة

ج ـ حملة محمد باشا المصري

غضب الوالي لهذه المذبحة الساحقة بالثعلة فجرد جيشاً من ثمانية آلاف من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان مجهزاً بأحدث الأسلحة والمدافع الثقيلة بقيادة محمد باشا مفتش الجيش المصري العام ناوشها الثوار قرب بصر الحرير وانسحبوا أمامها إلى داخل اللجاة لمفاجئتهم بالمدافع الثقيلة لأول مرة. اشتبكوا بعد ذلك مع العسكر بمعارك متعددة حول الخرسا ، وعاهرة وداما واستبسلوا عندما اقتربوا من عائلاتهم بمعركة صميد الشهيرة وكان يقودهم الشيخ الروحي إبراهيم الهجري، ومع زغاريد النساء وصيحات الأولاد وانضمام عدد من المتطوعين من الجيش إليهم.

انقضّوا بهجوم انتحاري على الحملة ففتكو بمحمد باشا قائد الحملة وأمير اللواء أيوب بيك[1] وأربعة عشر ضابطاً ومعظم الجنود واستولوا على كميات من الميرة والذخيرة والسلاح.

د ـ حملة أحمد باشا منيكلي

يوم القسطل: على أثر انتصار الثوار في معركة صميد قرر إبراهيم باشا أن يقود بنفسه حملة جديدة لإخضاع الثوار لولا أن الجيوش العثمانية بدأت تتقدم نحو سوريا من الشمال. فانشغل بها وطلب عندئذٍ من والده أن يرسل الحملة إلى حوران بقيادة أحمد باشا منيكلي وزير الحربية فاصطحب هذا معه ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل[2] وتوغل في اللجاة ثم عسكر بالقرب من قرية جدل في أطراف اللجاة الغربية حيث بدأت طلائع المحاربين تناوش جنوده ، لكنها أخذت تتراجع إلى الوراء بقصد استدراجهم إلى الأماكن الوعرة حتى تم لها ذلك أمطرتهم بوابل من الرصاص محكم التصويب، وعندما أدرك أبناء الجبل أن الجنود قد اعتراهم الكلل انقضوا عليهم وناجزوهم بالسيوف فهزموا الحملة وكبدوها خسائر جسيمة قدرت بنحو أربعة آلاف ما بين قتيل وجريح وأسير وكان بعداد الجرحى أحمد باشا منيكلي نفسه[3] ولأن الثائر الواحد كما يقول المعلوف يحوز من المصريين ماية رجل[4] ويسلبهم الأسلحة والأرواح، وكانت خسارة الثوار ٢٥شهيداً. وتعرف هذه المعركة باسم معركة القسطل "اسم الموقع" يقول فيها الشيخ الحناوي:

غنمنا المدافع والجباخانات والذخر   والذبح لا يحصى له مقدار

وأحمد باشا راح محول بنعشه   وطيفور بيك ومثلهم وزّار

---

[1] إبراهيم باشا في سوريا ـ أبو غز الدين ص ٢٠٣.

[2] محافظة السويداء ـ نشر وزارة الثقافة السورية ص ٣٦.

[3] إبراهيم باشا في سوريا ـ أبو عز الدين ص ٢٠٦.

[4] مقالة للمعلوف في جريدة زحلة عدد ت، سنة ١٩٢٥.

يقول بودان "قنصل فرنسا بدمشق آنئذٍ"

"إن الذعر الذي كان يحدث بين صفوف جنود إبراهيم باشا عند هجوم الدروز عليهم أجبَر الكثيرين لرمي سلاحهم ليلوذوا بالفرار. وقد اعتراهم التعب فهجم الدروز على الجيش بالسلاح الأبيض فلم يصمد لهجماتهم إلاَّ وقتاً قصيراً. أخذ يتراجع بعده تحت ضرباتهم القاصمة التي أجبرته على هزيمة مريعة سقط أثناءها شريف باشا[١] وتشتت الحملة تاركة في ساحة المعركة مدفعين وخمسين جملاً محملاً باروداً وستة آلاف بندقية ونحو أربعة آلاف جريح وقتيل بينهم أمير لواء وأميرلاي وقائمقام وسبعة بكباشية وعشرين يوزباشياً. وقد أصيب وزير الحرب بثلاث رصاصات مات متأثراً بها بعد عودته إلى مصر."

هـ ـ حملة إبراهيم باشا الكبرى والنتائج النهائية

بعد هذه المعارك الطاحنة وخسائر الجيش المتكررة استنجد إبراهيم باشا بوالده في مصر من جديد، فأرسل له أربعة آلاف ألباني بقيادة حاكم كريت. وقد ورد في كتاب إبراهيم باشا في سوريا ص ٢١٢ ما يلي:

وجهز إبراهيم باشا حملة من عشرين ألف مقاتل تكامل حشدها في نيسان سنة ١٨٣٨م في قرية الصورة "في الجهة الشمالية الشرقية من اللجاة". واستأجر ١٥٠ أعرابياً "بدوياً" لإرشاده للطرق المجهولة. وقسم الحملة إلى أربعة فرق تولّى قيادة إحداها بنفسه وأوكل الفرق الباقية إلى سليمان باشا الفرنساوي، ومصطفى باشا وسليم باشا. ووزع كتائب من جنده إلى قرى الهيات والمسمية وتبنا وقراصة وبصر الحرير وريمة اللحف وبراق، لمحاصرة بني معروف ومنعهم من الاستسقاء واستدراجهم للقتال خارج اللجاة "أنظر خريطة الجبل" واشتدت المعارك مع الثوار في جميع مناطق اللجاة، وكانت أعنفها معركة داما حيث هاجم الثوار الحملة بالسلاح الأبيض وقضوا عليها وفرَّ إبراهيم باشا هارباً مع القليل من رجاله خارج اللجاة[٢].

---

[١] **نفس المصدر السابق.**

[٢] **إبراهيم باشا في سوريا ـ أبو عز الدين ص ٢١٢.**

اغتنم ابن سمير[1] انشغال بني معروف في معارك إبراهيم باشا وهاجم جنوب الجبل حتى دخل القريا، طبعاً بتحريض من والي دمشق وإبراهيم باشا، فانبرى له فريق من أبناء الجبل وهزموه حتى صبحا وصبحية "في الأردن" خلال أربعة أيام، ثم عادوا إلى معاركهم باللجاة وأخيراً جمع إبراهيم باشا عدة فرق، وهاجم أبناء معروف بعد أن سمم مياه الشرب، فمات عدد كبير من النساء والأطفال ولاحقهم حتى استولى على قرية قنوات[2] لكنه أخيراً وجد نفسه منهكاً من معاركهم خاصة بعدما نقل بنو معروف الحرب معه إلى وادي التيم، وقد وصف معارك هذه الحروب الشيخ أبو علي قسام الحناوي بملحمة عصماء جاء فيها:

من بعد ذا إبراهيم جرد علينا	**يبغي الحرايب عسكراً جرار**
دخل إلى اللجاة بجيش عرمرم[3]	**ونحنا قلايل والأعادي كثار**
صحنا كما تهدر سباع الكواسر	**وقمنا عالقوم[4] بالبلطات والبتار**
برج الغضب جانا إبراهيم باشا	**بالأرناؤوط والترك والبلغار**
ذبحنا الوزير وكل ضباط عسكرو	**وثلثين جيشو راح قصف عمار[5]**
ستين كون[6] نقابلوا وما نهابو	**ونكسر جيوشه بقوة المختار[7]**

---

[1] **ابن سمير: شيخ عشيرة عنزي.**

[2] **الزغير ص ٤٠٨.**

[3] **العرمرم: الكبير الزاخر.**

[4] **القوم: قوم الأعادي الغزاة.**

[5] **قصف عمار: موت أو القتل المفاجئ.**

[6] **كون: معركة.**

[7] **المختار: النبي (صلعم).**

كسبنا المدافع والجبخانات[1] والزخر والـــذبح لا يُحـــصى لـــه مقـــدار

هــــذي قلعتنــــا وهــــذي لجاتنــــا تربـــة عـــدانا[2] مـــن دخلـــها حـــار

ســـلمان والمقـــداد أيـــضاً أجـــدادنا أبـــو ذر ورفاعـــه كـــذا عمـــار

وأخيراً تمكن شبلي العريان في وادي التيم ومعه مئتا رجل من احتلال قلعة راشيا. وقد خصص إبراهيم باشا جائزة كبرى لمن يأتيه بشبلي العريان حياً أو ميتاً. ولما علم بذلك العريان فاجأه متخفياً في خيمته ليلاً وسط المعسكر وأيقظه برأس الحربة معلناً طلب المصالحة مع بني معروف، فأعجب إبراهيم باشا بشجاعته وقبل بشروطه للمصالحة فعفا عن الثائرين وعين العريان قائداً لإحدى الفرق في جيشه "الكسندر توماس".

وعاد مسرعاً لينهي الثورة في اللجاة بأي ثمن خوفاً من تدهور الموقف وتعاون الدولة العثمانية والدول الأوربية عليه، فأصدر أوامره بالعفو عن بني معروف واكتفى منهم بتقديم بعض الأسلحة، وألغى السخرة والتجنيد ومعظم الضرائب، وأذن لهم بحمل السلاح وحق انتخاب شيوخهم بأنفسهم[3].

وهكذا لم يحصل إبراهيم باشا على النتائج التي كان يتوخاها من محاربة بني معروف، وعلى العكس تكبد الكثير من الخسائر الفادحة في الرجال والعتاد، واضطر أخيراً للانسحاب من سوريا في ١٩ شباط سنة ١٨٤١م تاركاً في بلاد الشام بعض الأنظمة الحديثة العادلة لم تخفها السيئات والأغلاط التي وقع فيها[4].

---

[1] الجبخنات: الذخيرة.

[2] تربة عدانا: مقبرة أعدائنا.

[3] إبراهيم باشا في سوريا أبو عز الدين ص ٣٢٠.

[4] قال عمر فروخ: إن أهل نابلس وأهل جبل الدروز هم الذين بثورتهم حملوا إبراهيم باشا ومحمد علي باشا على أن يضعفا تجاه الدول الأجنبية. وهذا ما جعل السلطان العثماني يهدي إلى الشيخ أحمد جربوع لباساً فاخراً (بونش) مع أن قتال الدروز لإبراهيم باشا كان دفاعاً عن كرامتهم وليس لمصلحة العثمانيين.

و ـ ملحمة الشيخ أبو علي قسام الحناوي

مقتطفات منها يفتخر بقومه بني معروف ويصف معاركهم مع إبراهيم باشا والأتراك:

محمد علي قلّد مشير العساكر	إبراهيم باشا الخاين الغدار
وليها من غزه لحد أدنه[1]	دعا سور عكا بالطواب دمار
عرضي الملك[2] لاقاه في مرج الأخضر	ولا طاق حربو نصف ربع نهار
تولى مهمات الملك مع مدافعو	وحسين باشا ما سوّى دينار
ومن بعدها السلطان في أرض نزب[3]	وجه وزر[4] مع الفات كثار
وتلاطم الجيشان في الحرب والعطب	وجيش الملك ولّي هجيج فرار
من بعدها إبراهيم جرد علينا	يبغي الحرايب عسكراً جرار
أول فتوح الشر ذبح البصيلي[5]	أخذنا خمس مية حصان[6] بفرد نهار
من بعدها جهز وزيرو محمد	جيشا كبيراً حربجي قهار
دخل اللجاة زاحف بجيش عرمرم	ونحنا قلايل والأعادي كثار

[1] إشارة للمنطقة التي كسبها محمد علي بموجب معاهدة كوتاهية.

[2] عرضي الملك: جيش السلطان.

[3] نزب أو نصبينك معركة شهيرة على نهر الفرات انتصر فيها إبراهيم على الأتراك.

[4] الوزر: الوزراء.

[5] البصيلي: علي آغا البصيلة الذي فتك به بنو معروف مع جيشه بمعركة الثعلة.

[6] حصان: خيّال.

نطحناه نتناحى[1] وتبكي حريمنا … وصار المعارك والفرنجي ثار

وصلنا كما تهدر أسود الكواسر … عالقوم بالبلطات والبتار

ذبحنا الوزير وكل ضباط عسكرو … وثلثين جيشوا راح قصف عمار

من بعد ذا جانا شريف وأحمد[2] … باشوات يتكنوا لأخذ الثار

فاتوا علينا للمناره ورتبوا … آلايات في ضرب الكلل والنار

وبارودهم مثل الرعود القواصف … يوم عظيم الهول والأخطار

ما ظن لا هولاً ولا يوم أعظم … يشبه لصفين وليوم ذي قار

ومحاريتنا وسط غابة أسودنا … يا بئس شوَّار عليهم شار

فهذي قلعتنا وهذا لجاتنا[3] … تربة[4] عدانا ومن دخلها حار

أخذنا المدافع والجبخانات والزخر … والذبح ما يحصى له مقدار

أحمد باشا راح محمول بالنعش … وطيفور بيك مثلهم وزار

ومن بعدها ما عاد فاتوا عاللجاة … وصارت على الدولة جهنم نار

وبرج الغضب جانا إبراهيم باشا … بالأرناؤوط والترك والبلغار

ونصب عراضي الجيش في ديار اللجاة … وضيق علينا الظالم القهار

---

[1] نطحناه: قابلناه. نتناحى: ننتحي.

[2] شريف: شريف باشا حكمدار بلاد الشام. أحمد: أحمد منيكلي قائد آخر.

[3] لجاتنا: اللجاة.

[4] تربة: مقبرة

علـى سـاق قـام الحـرب يومـاً فيومـاً	وخيـــل الهنـــادي كـــل يـــوم تغـــار
وســتين كــون نقــابلوا ومــا نهــابوا	ونكـــسر جيوشـــو بقـــوة المختـــار
وســتين ألفــاً قــد فقــد مــن عـساكرو	أصـــلح وصـــالحنا وفـــات الثـــار

الباب الثالث

الحرب ضد الأتراك العثمانيين

الحرب ضد الأتراك

أ ـ المقدمة

كانت المعارك ضد الأتراك العثمانيين منذ وطأت أقدامهم بلاد الشام كثيرة ومتعددة حتى تكاد لا تحصى. وبعد مغادرة إبراهيم باشا للبلاد في أربعينات القرن التاسع عشر عادت الدولة العثمانية لتبسط نفوذها من جديد وتنشر أحكام سيطرتها على ما تبقى لها من أقاليم، وقد قامت ببعض الإصلاحات التي تحقق شيئاً من التحديث كما تساهلت في البدء مع العصبيات المحلية والأقليات الطائفية (كما في الجبل) فأبقت للأهلين سلاحهم لتتقرب منهم ولم تجند الشباب في جيوشها، وألقى والي دمشق على عاتقهم مهمة حماية القرى المجاورة ضد البدو الذين يشقون عصا الطاعة على الدولة العثمانية[1].

ب ـ حملة قبرصي باشا وموقعة ساري عسكر ١٨٥٢م

لم تستمر مسيرة الوفاق بين السلطة العثمانية وأهالي الجبل طويلاً حيث قررت الدولة العثمانية منذ سنة ١٨٥٠ تغيير سياستها السلمية وبسط نفوذها وهيمنتها على الجبل فبدأت بتحصيل ضريبة الخراج بالقوة ١٥٠ قرشاً على كل فدَّان. وهي ضريبة باهظة لا تحتمل بالنسبة لقرى الجبل آنئذٍ. ثم طلبت سحب الشبان إلى الجندية. فتأكد الأهالي أن السلطة العثمانية قلبت لهم ظهر المجن فبدؤوا بتهيئة الحصون في جبل حوران ووادي التيم ثم أعلنوا عصيانهم على السلطة وفي الحال جرد العثمانيون الطوابير لمحاربتهم[2].

توجه والي دمشق محمد قبرصي باشا بحملة كبيرة بلغ مقدارها اثني عشر ألف جندي. هاجمها الثوار في أزرع[3] قبل أن تتوغل في أراضيهم.

---

[1] بركهاردت تعريب سلامة عبيد.

[2] الصليبي تاريخ لبنان الحديث ص ١١١.

[3] بلدة فيها محطة قطار. تجمع فيها ١٢ ألف جندي فرنسي (نفس العدد حملة ميشو) اندحرت سنة ١٩٢٥ بالمزرعة.

فسحقوا الحملة وانتصروا عليها انتصاراً كبيراً بموقعة عرفت باسم (موقعة ساري عسكر)[1] واضطر الوالي للإنسحاب ليلاً ليتجنب هزائم جديدة. وانتزع أبناء الجبل القرى الغربية (تعارة ـ صما ـ الدارة ـ الدويرة ـ الثعلة ـ الأصلحة ـ الدور) وقال الحناوي شاعر الجبل آنذاك:

أخذنا المدافع وأدبر الجيش منكسر   ولّى على الأعقاب والأدبار

هد ورحل من أول الليل ساري   من دون ما يطلع عليه نهار

تدخل بعد ذلك القنصل البريطاني وصديقه سعيد جنبلاط لإعادة الأسلحة التي غنمها الثوار مقابل إعفائهم من الجندية والمصالحة مع الوالي.

جـ ـ معركة أمسيكي ١٨٧٥ أو "معركة العطفة"

بعد صلح ساري عسكر، لم يرض الأتراك عن هزيمتهم أمام قلة من سكان الجبل فقرروا تجريد الحملات حتى تتم لهم السيطرة على الثوار وإخضاعهم لسلطان الدولة العثمانية، فجمعوا جيوشهم وأنصارهم بحملة كبيرة مجهزة بأحدث الأسلحة والمدافع زحفت نحو الجبل بحجة استخلاص القرى الغربية التي انتزعها أبناء الجبل من حوران، وقد حصلت معركة ضارية بين الفريقين في تخوم اللجاة سنة ١٨٧٥م فاز بها بنو معروف فوزاً ساحقاً عرفت (بموقعة أمسيكي) [خطط الشام جـ٣ ص٨٠].

وقد ورد وصف معركة أمسيكي بكتاب سعيد الزغير ص ٤٠٧ كما يلي:

(أخذ الوالي يجمع العساكر ويثير شيوخ حوران والبدو لمهاجمة الجبل. وقد بدأ جمع الحشود في حوران سراً. لكن رجلاً مسيحياً من آل قنديل من رخم نقل هذه الأخبار السرية إلى صديقه الشيخ أبو علي الحناوي الذي جمع أبناء الجبل وطلب إليهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد.

---

[1] الشدياق في كتابه: أخبار الأعيان في جبل لبنان ص ١٥١ ـ طبع بيروت.

يذكر طنوس جنبلاط في كتابه أيضاً ص ١٥٦ ما يلي: أمر السير عسكر محمد باشا القبرصي سعيد بيك جنبلاط أن يتوجه إلى حوران ليهدئ أهلها ويجتذب السكان لطاعة السلطان. فجمعهم في بصرى وأكرمهم بمال جزيل واستكتبهم عرض حال الطاعة للوزير.

عندما اكتمل استعداد السلطة والجنود لغزو الجبل قسموا جموعهم لسبع فرق وقرروا أن يشدوا لهم عطفة لتشجيع المحاربين بالقتال. وطلبوا لابن المذيب من نوى أن يسمح لابنته الجميلة بأن تكون العطفة، فاشترط عليهم انتخاب أشجع الفرسان لحمايتها فألبسوها الثياب الزاهية وزينوها بالمصاغ اللماع كما زينوا هودجها بالطنافس والبنود والشراشيب الملونة. ثم اتفقوا أن يتحصنوا في اللجاة الوعرة قبل أن يسبقهم إليها الثوار، فأسرع ابن قنديل وأخبر الشيخ الحناوي بالخطة، لذلك زحف أبناء الجبل إلى قرى اللجاة (لبين ـ جرين ـ حران ـ داما) وتحصنوا بها حتى حانت المعركة، فهاجموا عملاء الوالي من ثلاث جهات: الجنوب والشرق والشمال. وبعد ساعة من الهجوم الصاعق انتصر أبناء الجبل واستولوا على العطفة ـ(وهبي جزَّان بضربة سيف واحدة قطع رقبة الهودج ورأس قائد الهودج حتى الكتف وقائمة الهودج المقابلة فارتمت عليه العطفة وانهزم الجنود وتعقبهم الثوار حتى قرية تبنا) وعاد أبناء الجبل ومعهم العطفة بموكبها وهودجها الجديد إلى قنوات[١] وهم يرددون أهازيج النصر مثل:

لـو فزعنـا وتكامـل فزعنـا   لـو لحقنـا نفـك الطلايـب

بالمعـارك حقوقنـا انتزعنـا   حطمنـا الجـيش سـيطرنا عالكتايـب

وقد أوصى الحناوي بالمحافظة على العطفة وصيانتها. حيث أن والدتها التي أسرعت في اليوم التالي لتفقدها، وجدتها سالمة وعرضها ومصاغها مصانان وقد أكرمها أهالي قنوات واعتبروها ضيفة عندهم بعدما اكتشفوا أنّها عربية تنتسب لآل المذيب.

وقد سمح لها الحناوي بالعودة مع والدتها إلى نوى سالمة غانمة مع فصيل من الثوار لحمايتها حتى حدود قريتها. وقد أوصاها أن تقول لوالدها إبن المذيب:

---

[١] يرى أكثر المؤرخين أن العطفة وصلت إلى السهوة، وفيها تمت المقابلة مع الشيخ الحناوي ووالدتها.

تبـــــصّر يـــــا أعمــــى العيــــون	العطفــــــة بــــــدّها وبــــــدّها
العطفـــــة لابـــــن الـــــشعلان	بـــــالحرب مــــا انــــتش قــــدّها[1]

ء- حرب لبنان وبروز الأطرش على الحمدان

برزت في الجبل في هذه الأثناء أسرة الحمدان وأخذت منذ سنة ١٨٦٤ تحكم الجبل حكماً مطلقاً مؤيداً من الوالي العثماني الذي جعل الجبل قضاءً تابعاً لدمشق[2].

وتحمّل جميع سكان الجبل بعد ذلك مظالم الحمدانيين الذين كانوا يفرضون زعامتهم على كل قادم إلى الجبل للاستيطان. فكانوا يأخذون عشر إنتاج الأراضي وكل ذكر يولد من الحيوانات والمواشي. واعتبروا أنفسهم مالكي الجبل ينزعون الأملاك من معارضيهم، ويملِّكون مؤيديهم كما يشاؤون، وفرضوا الجزية على المسيحيين ودفع عشر ليرات ذهبية على كل فتاة مسيحية تتزوج[3].

وقد وقعت في هذه الفترة بعض الحوادث الطائفية المشؤومة في لبنان لضعف الوعي القومي وسوء تصرف الحكام وتحريض العثمانيين والأوروبيين، استنجد أثناءها بنو معروف في لبنان بأقاربهم في جبل حوران. فأنجدهم هؤلاء بما يقرب من ألفي مقاتل على رأسهم إسماعيل الأطرش[4] شيخ بلدة القريا وكان بينهم عدد من بدو السلوط والسردية والكثير الكثير من أبناء حوران، فانتصروا في معارك زحلة وكسبوا الكثير من الخيول الزحلاوية الموصوفة، وقد لمع نجم إسماعيل الأطرش في هذه المعارك كما ازداد التقارب بين أبناء معروف والبدو في هذا الجبل المحفوف

---

(١) **الزغير ص ٤٠٨.**

(٢) **الزغير ص ٤٤٠.**

(٣) **نفس المصور ص ٤٤١.**

(٤) **اسماعيل الأطرش: جده علي بيك العكس من الجبل الأعلى. نزح إلى برمانا في لبنان ثم بقعسم ثم جرمانا في الغوطة. ثم عاهرة في الجبل وكان أطرش، رزق ٤ أولاد أكبرهم اسماعيل الذي ذهب إلى مزيد الحمدان بالسويداء فمنحه القريا مقابل ١٠٠ رأس من الماعز وأصبح شيخاً لها.**

بالمخاطر. فكان أبناء معروف ينجدون رعاتهم البدو على أعدائهم وكما كان عربان الجبل والقبائل الأخرى من البدو يساعدون أبناء معروف في بعض معاركهم ضد الدولة العثمانية.

وبعد العودة من لبنان أغتنم إسماعيل الأطرش نفور الناس من الحمدان ومظالمهم فاحتل قرية عرى سنة ١٨٦٨ دون مقاومة ثم تقرب من شيخها حسين الحمدان المقيم في قرية رساس بزواج ولده شبلي من ابنة حسين المذكور وأخذ يحرضه على قريبه واكد الحمدان ليساعده على احتلال مركز زعامة السويداء[١].

طلب أهالي السويداء من واكد الحمدان سنة ١٨٦٩ تمليكهم الأراضي والامتناع عن ترحيلهم من قراهم، وأن يدفع ضرائب الدولة عنهم من القلاط[٢] الذي كان يأخذه من البدو، فرفض ذلك مما جعلهم يواصلون الاجتماعات والاتصالات سراً باسماعيل الأطرش الذي اتفق معهم على قبول زعامته مقابل تلبية مطالبهم التي رفضها واكد الحمدان. لكن المنية عاجلته قبل تحقيق أمنيته بدخول السويداء فأوصى ابنه إبراهيم الذي دخل السويداء فاتحاً مع الطرشان وأنصارهم من القرى ببيارقهم ومساعدة أهالي السويداء الذين لبَّى مطالبهم سنة ١٨٧١بينما كان الحمداني ينسحب إلى ولغا ثم إلى بصر الحرير عندما لم يجد من يؤيده. وقد جرت بعد ذلك تنظيمات جديدة في الجبل حيث أسندت مهمة القضاء وفصل الخلافات لآل أبو عساف في قراهم وإلى آل أبو راس في الرحى. وقد دامت زعامة الحمدان ١٨٤سنة أخذت بعدها سيطرة الأطارشة تمتد جنوباً على القرى المسكونة حديثاً في الجبل ذات العائلات الصغيرة بينما استقلت الأسر القوية بزعامة القرى الشمالية والشرقية والغربية[٣].

---

[١] **الزغير ص ٤٤٢.**

[٢] **القلاط: ضريبة عن كل شاة تسرح بأراضي الجبل يدفعها البدو.**

[٣] **الزغير ص ٤٤٣ ـ الزغير ص ٤٤٣**

هـ ـ عرس فهيدي ١٨٧٨

ازدادت المناوشات بين أبناء الجبل وأبناء السهل في حوران الذين كانت تحرضهم السلطة العثمانية ضد أبناء الجبل لإضعافهم وبسط سيطرتها على جبلهم، فأرسلت إلى بصر الحرير قوة عثمانية بقيادة جميل بيك وعاكف بيك طلبت مشايخ الجبل للمفاوضة، فحضر وفد طلبت منه اللجنة التركية سبعة مطالب أهمها: دفع الأموال الأميرية للحكومة، إرجاع قرى (الدارة ـ ولغا ـ ريمة ـ سميع ـ الثعلة ـ الأصلحة ـ تعارة ـ الطيره ـ صما ـ السجن ـ الدور ـ المجيمر ـ سكاكة ـ خربا ـ بكا) لأصحابها، وقد أجاب اللجنة الشيخ أبو علي قسام الحناوي فقال: أما الأموال الأميرية فإنها تدفع بطيبة خاطر لأنها تدفع كزكاة أموال وفرض واجب أما تسليم القرى لأصحابها فهذا أمر لا تقبله العشائر فكما أخذناها نحن بالسيف فليأخذوها هم بالسيف أيضاً وإذا أردتم أن تستلموها بالقوة فلن نسلمها إلاَّ بعد إرواء أرضها بالدم. وإذا مشيتم علينا فلا نقابلكم إلاَّ بالبارود واليوم المقرود (المشؤوم)"[1].

وفي عام ١٨٧٨ م لجأ إلى ياسين الحريري شيخ بصر الحرير شاب هو أحمد الجوفي من السعودية وخطيفته فهيدي ـ من عائلة البروم في ذرعا. وقد لجأ إلى الشيخ ياسين لمساعدته، فأعجب هذا بجمال الفتاة فتزوجها وطرد دخيله الجوفي الذي التجأ إلى حمود نصر[2] شيخ قرية تعارة المجاورة. وكان عمل الشيخ منافياً للعادات والتقاليد فخاف من سطوة أبناء الجبل ولجأ إلى الحيلة خوفاً من نتيجة عمله السيئ. فأرسل امرأتين تقولان للجوفي أنهما مرسلتان من قبل فهيدي وأنها ستهرب ليلاً لتلقاه عند البركة جنوب شرقي بصر في موعد حددته المرأتان. لذلك يجب حضوره في الوقت المحدد لتهرب معه. وعندما أخبر حمود نصر عن طلب الإمرأتين حذره هذا من مكيدة تتهدد حياته وعندما أصر الجوفي على ملاقاته خطيفته، اضطر الشيخ حمود أن يرفقه بثلاثة أشخاص لحمايته، ولما وصل قرب البركة ليلاً وأظهر الإشارة المطلوبة خرج عليه رجال الكمين يريدون قتله فأنجده المرافقون وعادوا أدراجهم

---

[1] حنا أبو رشيد ص ٥٣.

[2] محافظة السويداء ص ٣٩.

مسرعين يتعقبهم رجال الكمين فأطلق محمود نصر النار عليهم وأصاب الخردق عيون هشمان الحريري شقيق الشيخ ياسين ففقد بصره وباءت المحاولة بالفشل وعاد رفاق الجوفي يرددون:

ما طول فهيدي عندكم دفانكم ما يستريح

عاداتنا شرب الدما مفزاعنا يسبق الريح

وبعد عدة مناوشات وقتلى من الفريقين اشتكى أهالي بصر إلى الوالي التركي وبما أن السلطة كانت ترغب ببسط نفوذها على الجبل فجهزت جيشاً كبيراً سنة ١٨٧٦ بقيادة جميل باشا[1] مجهزاً بالمدفعية وأحدث الأسلحة خيم في بصر الحرير. وكان أهالي الجبل قد تداعوا للدفاع عن جبلهم وحريتهم، فأمر الباشا التركي، بمقابلة الثوار شرق بصر أولاً بخمسمائة خيال حيث قتل قائد الخيالة وعدد كبير من جنوده فاستشاط الأتراك غضباً، ودفعوا الحملة بأكملها لمهاجمة قرى الجبل وبدأ القتال عند بزوغ الفجر فثبت بنو معروف بمواقعهم حتى الظهر حيث ضغطت عليهم كثرة الجنود وقنابل المدافع فتراجعوا حتى نبع قراصة بعد أن سقط منهم عدد كبير من الشهداء، لكنهم هنا تناخوا فرساناً ومشاةً وشنوا هجوماً صاعقاً على الجيش وأطلقوا سيوفهم البواتر على رقاب الجنود قتلاً وتقطيعاً وذبحاً وكان المشهد الهائل المؤثر: خيول غائرة ورؤوس طائرة وأشلاء متناثرة حتى اضطر الجيش للتراجع بعد أن أصيب بخسائر فادحة، وقويت عزائم الثوار فتعقبوه حتى تحوَّل تراجعه إلى هزيمة نكراء أوصلته غرب تعاره.

وقد التقى الشيخ أبو علي الحناوي ومحمد أبو عساف عند المدفع فقفز جواد أبو عساف من فوق المدفع وضرب المدفعجي بسيفه فأرداه قتيلاً، ولقفزة جواده عرف (بالقميزي) أما الشيخ أبو علي المحاذي لأبي عساف بالهجوم فقد استهدف فوهة المدفع وسدها بعمامته ليعطل عمله.

---

[1] **محافظة السويداء ص ٤٠.**

واستمر القتال حتى حلول الظلام[1]. وفي الصباح استولى بنو معروف على عتاد الحملة وأسلحتها ألفي بندقية من نوع مارتين تستعمل لأول مرة في معركة قرّاصة وعدد من المدافع والذخيرة والقنابل، وكانت خسارة الثوار ٢٢٠ شهيداً.

وقد وصف شبلي الأطرش هول هذه المعركة فقال[2]:

أول فتـــوح الـــشر جـــازة[3] فهيـــدي	**وجرى عقبها عركات يا أبو الهمايم[4]**
قـام الحريـري جـرد الـترك والحـضر	**وجميــل باشــا قائــد الجــيش حــازم**
بنـــوا علـــى خربـــة تعـــارة خيـــامهم	**في يـــوم أســـود مثـــل ليـــل الظلايـــم**
جـوهم بنـو معـروف مـن كـل جانـب	**مثـــل الأســـودة طـــالبين الغنـــايم**
جـــرى يـــوم قراصـــة الـــذي تخبرونـــه	**يامـــا[5] فقـــدنا كـــل قـــرم[6] مخاصـــم**
مـــن عقبهـــا صـــارت غرامـــة وأصـــلحوا	**والنـــار تـــضرم عنـــد هـــب النـــسايم**

وانتهى الأمر أخيراً إلى المصالحة بين أهالي بصر الحرير وأهالي تعاره والدويرة من آل نصر الذين انتقلوا إلى نجران وسكن مكانهم آل عزام تفادياً لتجدد الخصام[7]، وفي سنة ١٨٨٠ استفادت الدولة من شجار عشائري بين أهل الجبل وجيرانهم فأرسلت على آل معروف حملة بقيادة المشير حسين فوزي باشا وتمكنت من تأسيس قائم مقامية جبل الدروز تسلمها إبراهيم الأطرش الذي نال ثقة الدولة

---

(1) **الزغير ص ٤٤٥.**

(2) **ديوان شبلي ص ٨٥**

(3) **جازة: زواج**

(4) **عركات: معارك**

(5) **ياما: كم وكم**

(6) **شجاع قوي**

(7) **الزغبي ص ٣٦.**

كقائم مقام للسويداء. وعين هزيمي هنيدي (والي باشا) مديراً لناحية المجدل وسبع مديريات أخرى على رأس كل منها مدير من أبناء المنطقة[1].

و ـ الحركة العامية ـ أو (العامة)

{كومونة باريز في الجبل} ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ م

لقد كان مجتمع الجبل في هذه الفترة مجتمعاً عائلياً: عائلات كبيرة بنفوذها مثل آل الأطرش وعامر، والحلبي، وعائلات أصغر: هنيدي، نصر، أبو عساف، أبو راس والعائلات الصغيرة وهي تنتظم أو تتحالف مع العائلات الأكبر منها أو مع بعضها لتشكل مجموعة كبيرة تحمي نفسها من تسلط العائلات الاكبر. لكل بلد شيخ معترف بنفوذه. وشيخ البلد يرحّل وينزّل، ويوزع الأراضي والدور للسكن حسب هواه للذين يستفيد من خدماتهم ودعمهم لمشيخته. وقد تكونت العامية في الجبل من ثلاث فئات هي:

١ـ فئة المرابعين الذين يعملون في أراضي المشايخ بحصة من الإنتاج مقدارها ربع الغلة.

٢ـ فئة المهنيين والحرفيين والتجار والفلتية.

٣ـ فئة الفلاحين الذين يسكنون في بيوت ويعملون في أراضٍ لا يملكونا لأن المشايخ باستطاعتهم ترحيلهم ساعة يشاؤون وبأبسط الأسباب:

ازداد التناقض بين العامة الكادحين والمشايخ المستغلين ولم يعد توزيع الأراضي على الشكل السابق قادراً على حفظ التوازن في المجتمع. ثم جاء سلوك أربعة من الزعماء المستغلين ليؤجج نار الثورة ويدفع بالحركة العامية لخوض معارك دامية في سبيل الكرامة الإنسانية ورفع الظلم عن الفقراء وتثبيت حق التملك في الأرض بدون ترحيل وهم[2] :

---

[1] البعيني ص ٢١٢.

[2] البعيني ص ٢١٢.

١ـ إبراهيم الأطرش الذي ظهر بعد تسلم المقامية كأنه موظف عند الدولة العثمانية ينفذ سياستها ليثبت زعامته.

٢ـ شبلي الأطرش الذي جاء ينافس إبراهيم معتمداً على العامية للوصول إلى الزعامة الأولى.

٣ـ وهبي عامر الذي حرك العامية في المقرن الشمالي لعزل إبراهيم الأطرش والوصول إلى الزعامة الأولى.

٤ـ سعيد نصر في المقرن الغربي (نجران) الذي أنشأ حركة العشائر المعارضة لامتداد الزعامة الطرشانية ومحاولة حصرها في المقرن الجنوبي فقط.

ويقول بذلك حنا أبو راشد، (عندما وجد سعيد بك نصر أن بني الأطرش قد وطدوا زعامتهم في الجبل وأن إبراهيم باشا وضع يده بيد الدولة العثمانية، أبرز حجة فيها إمضاءات جدود كثير من العشائر من إمارة بني بشر. وفي مطلع سنة ١٨٨٦ دعا إلى نجران زعماء عائلات: فاضل، القنطار، الحجلي، زهر الدين، غزالة، كيوان، عزام، عريج، نصر، حمزة، الزاقوت، وتلا عليهم الحجة ومضمونها:

إن إمارة بني بشر المؤلفة من ثلاثمئة شخص نزلت في كفتين من قرى الجبل الأعلى بحلب، ومنها تفرقوا في البلاد بعد أن كتبوا حجة مؤرخة سنة ٨٠٠ ميلادية، فوقع عليها نجم الدين وابن عمه فاضل يعترفان بها أن العشائر المدرجة أعلاه هي من أصل إمارة بني بشر. وأن الحجة ظهرت عند عبد الكريم في حاصبيا، وآل الزاقوت وضعوها معه بصفته شيخ روحاني، وأن سليم كمال وسلمان حمزة من عتيل استحضروا الحجة من بيته في خلوات الكفير من أعمال حاصبيا وذلك سنة ١٨٨٥م ومن مزاياهم إذا قرروا أمراً نفذوه....!! وبعد أن أطلع عليه المجتمعون وقعوا عليها إمضاءاتهم وزادوا عليها: بصفتنا أبناء عم من لحم ودم نتعاهد أن كل منا يهدر دماءه في سبيل تعزيز أي فرد من أفراد هذه العشائر المتضامنة بالدم والنار. والمعاهدات التي يوقعونها مقدسة بنظرهم.

كان نجم إبراهيم الأطرش قد استقر في عرمان مع بعض العائلات القوية برجالها وقد جرّب التحكم بأمور العامة وانتزع من آل القلعاني السيطرة على مياه

حبكي، وأجبر البدو على تأدية (القلاط)[1] مقابل إرواء مواشيهم من هذه الينابيع. ولما أقام إبراهيم الجرمقاني وليمة أكبر من وليمته غضب منه وأمره بمغادرة عرمان بحجة منع الإسراف، وكان العامة قد زاد استياؤهم من كثرة السخرة التي يقدمونها للشيخ:

تسخيرهم للحصاد وجمالهم للرجيدة وغير ذلك من التحكم التعسفي، الذي جعل العائلات تقف بجانب الجرمقاني وتشكوه إلى شبلي الأطرش الذي حضر إلى عرمان للتوفيق بين نجم والعامة لكنه شجع العامة متأملاً أن ينال شقيقه يحيى زعامة عرمان الغنية بأراضيها والأموال التي كان يدفعها الواردون ينابيع حبكي. لكن نجم الأطرش طلب مؤازرة إبراهيم الأطرش شيخ السويداء لمساندته فقوي الخلاف، وكان شيخ ملح مستبداً بسلطته أيضاً مثل شيخ عرمان، فجرى اتصال بين الفلاحين في عرمان وملح ومتان والهويا، واجتمع في خربة المجدل (مجدل الشور) التابعة لعرمان ستة أشخاص أولاً هم:

إسماعيل العطواني - صالح الحلبي /عرمان/ - صالح غزالة - صالح رزق /ملح/- وحمد العيسمي وقاسم الدبيسي /متان/ واتفق المجتمعون على البدء بالحركة العامية ودعوا لاجتماع كبير موسع في نفس المكان في نيسان سنة ١٨٨٨ الموافق في ٥ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ أي قبل معركة السويداء بعدة شهور وقد وقع المجتمعون البيان التالي:

وثيقة مجدل الشور ٨٠ توقيعاً (الحمد لله وحده)

سبب تسطيره الافتراءات والطمع والتعديات الجارية علينا من جهة مشايخنا وبما أنهم تعمدوا تنكيلنا ونفينا من محلاتنا ومن كامل المقرن بدون تعديات منا ومرادهم محاربتنا بعضنا لبعض، وبما أننا عمرنا القرايا وسكنا بها وتخسرنا خسائر جسيمة عليها. ولنا منذ ثلاثين سنة وبأعظم المشقات خاضعين لأوامر مشايخنا ولتلبية كل شيء لمرضاتهم، وندفع لصندوق الخزينة العامرة الأموال الأميرية ونحافظ على تحسين النظام وعلى الشرف والناموس. وفي سائر الأحوال. ثم

---

[1] **سعيد الزغير ص ٤٥٥.**

نقدم أنفسنا ونرخص أرواحنا ونسفك دماءنا ونرخصها في سبيل الحمية والشرف أمام شيوخنا. ومع سلوك هذا السبيل وجدنا قلة الإنصاف منهم ذلك فقد قررنا واجتمعت آراؤنا نحن الواضعين أسماءنا وأختامنا في أدناه على أن نكون متعاهدين متناصرين على كف التعديات عنا، محافظين على صوالحنا وعلى تمشي الحقوق وتعديل النظام في غاية النهى.

وإننا إذا صار علينا تعدي مثل رحيل أو تغيير أحوال تحل بعمارنا وتمس صوالحنا الخيرية أو ناموسنا، نقوم يداً واحدة بدون أن يتأخر أحد منا، وعلى هذا القول الله ونبي الله شهيد، والذي يُهمل معاضدة ربعه من الأربع قرايا المقرين بكتب هذه المظبطة يكون بريء من الله ومن أنبيائه ولا يجد شفاعة يوم قيام الساعة بل عليه لعنة نما من الأرض إلى السما. ثم يكون رأسه خالي من الناموس والشرف والحمية ولا له بين الغانمين مقعد ولا في السما مصعد، بل تكون حرمته أجل منه في سائر الأحوال. والذي يغير أو ينحرف من طريق ربعه يكون مستوجب بعدل واستحقاق من الله ومن العبيد بجميع هذه الشروط والمذلة المشحونة بالإسفال.

وبما أننا قرينا على أنفسنا جميعاً وقبلنا كقابلي الحجج على أنفسهم طوعاً من غير كره ولا إجبار وتعهدنا وتكفلنا بالقيام بمضمون هذه الوثيقة برضى وقبول ألزمنا القيام بموجبها لزوماً شرعياً. وللبيان حرر في ١٥ شعبان ١٣٠٦هـ (نيسان ١٨٨٨م).

حسين صيموعة - قاسم غزالة - خليل كيوان - إسماعيل العطواني - حمد النجم جربوع - صالح الحلبي - حمد الزغير - نجم العطواني - حسن طربيه - يوسف الصفدي - أسعد عزمي - قاسم الشريطي - زين الدين رشيد - قاسم نعيم - إسماعيل عبد الدين - إبراهيم الجرمقاني - محمد العطواني - منصور الدعبل - صياح أبو حامد - محمد أبو دهن - حسين عزمي - علي رزق - رستم مسعود سلمان القنطار - محمد جابر - حسين بدوي - حمد صيموعة - يوسف الجغامي - بو حمد القاضي - محمود منذر - هزيمة نعيم - أحمد منذر - حمد سليم - حسين الشمندي - عثمان أبو راس - محمد ملاعب - محمود كيوان - مراد عماد - محمد العيسمي - حسين نجد - بر الجمَّال - قاسم بوسعيد - خطار الأحمد - بشير كيوان - محمد نعمان - علي رافع - علي رشيد - محمد الشعار - فارس الدبيسي - يوسف العيسمي - فارس أبو قنصوه -

أمين العيسمي ـ سلمان العيسمي ـ محمود جابر ـ فهد الحلبي ـ سليمان أبو هرموش ـ فارس الشاعر ـ علي سعيد ـ فهد أبو عاصي ـ يوسف جودية ـ إسمعاعيل الكريدي ـ حمد زين الدين ـ محمد بو غاوي ـ حسين الشاعر ـ يوسف بو مغضب ـ عجاج بو مغضب ـ علي بو مغضب ـ يوسف الخطيب ـ قاسم عزيز ـ عامر الصفدي ـ حمد قطرب. (٨٢ توقيعاً)[١]. وناقشت ظلم المشايخ ومطالب الفلاحين.

ولما تأكد شبلي الأطرش من أن قوة العامية قد ضمت الكثيرمن الزعماء الأقوياء. انضم إلى المعسكر الشعبي وراح يجوب أنحاء الجبل داعياً إلى التمرد على الأنظمة الحكومية القائمة متهجماً على الإقطاعيين وتعسفهم واستبدادهم، وقد نال وعداً بأن تبقى أملاكه سالمة بأكملها {ربع أراضي عرى}[٢].

وقد ورد في كتاب محافظة السويداء[٣] ما يلي: (إن شبلي الأطرش كان ينافس أخاه إبراهيم على النفوذ في السويداء ويعارضه على انجرافه مع الدولة العثمانية ويعيِّره من أجل ذلك بلقب أبو طربوش ولعل في هذه المعارضة استرضاءً لعواطف الأكثرية من أبناء الجبل التي تكره الأتراك وتسيء الظن بهم. ومهما يكن من أمر فقد كان لشبلي الأطرش اتصالات كثيرة مع رؤساء الحركة العامية تهدف إلى تشجيعهم والإفادة من حركتهم، لعل من الطريف أن نذكر أنّه حرَّض الفلاحين في قريته عرى على أن يهاجموه علناً. وقيل إن هؤلاء تكتلوا فشكلوا قوة أطلق عليها من المزاح اسم (حزب الزمنطوط) أي رعاع القوم وراحوا ينددون بالإقطاعية وبتحكم الشيوخ وسوء تصرفهم.

ولكن شبلي الأطرش يهاجم بقصائده حركة العامية ويصفها بالتخريب والفوضى لذلك يرجح أن شبلي الأطرش أبدى أول الأمر ارتياحه من مقاومة الفلاحين لبعض أقاربه المنافسين له ثم شجعهم على هذه المقاومة دون أن يتوقع تطورها إلى ثورة شاملة ضد الزعماء كلهم، وربما أدرك فيما بعد أن نجاح الثورة أمر واقع فأسرع

---

[١] عبد الله حنا ص (١٩٤-١٩٦) سعيد الزغير ص ٤٥٣.

[٢] سعيد زغير ص ٤٥٥.

[٣] محافظة السويداء: نشر وزارة الثقافة والإعلام السورية ص٦٧.

لمسايرتها آملاً بأن تكون نتائجها عليه أقل ضرراً وأخف أذى، وهذا ما تحقق بالفعل حيث سمح له الشعب بامتلاك ربع أراضي قرية عرى بينما لم يسمح للشيوخ الآخرين إلا بنصف الربع في القرى التي يتزعمونها.

أما فيما يتعلق بأهداف العامية فيمكن أن نجملها فيما يلي:[1]

١ـ وضع حد لتحكم الشيوخ وسوء تصرفهم مع الفلاحين.

٢ـ عدم ترحيل الفلاحين من قراهم ومن الأرض التي يزرعونها.

٣ـ الاعتراف بملكية الفلاح للأرض التي يستخدمها.

٤ـ تطويب الأرض لضمان امتلاكها.

٥ـ أن يكتفي الشيخ بملكية (٨/١) أراضي قريته وهذا ما يسمى بنصف الربع.

٦ـ أن يكون للفلاحين الحق في تعيين مخاتير يمثلونهم ويهتمون بمصالحهم.

أما الأطارشة الآخرون فقد تصلبوا ضد هذه الحركة لأنها تحد من تسلطهم وتنزع نصف أراضيهم وقد جرى أول اشتباك في قرية ملح يوم الخميس في صيف ١٨٨٨ وأسفر عن مقتل شخصين، ثم انتقل القتال إلى عرمان حيث قتل خمسة عشر رجلاً وامرأة.

اضطر الأطارشة بعدها للجلاء إلى المقرن الغربي. وفي السويداء دام القتال طوال النهار وأسفر عن مقتل أربعين شخصاً، ثم ارتفع عدد القتلى بعد وصول النجدات من القرى إلى سبعين شخصاً. وكانت المعارك قد امتدت إلى القرى التي لا يتزعمها الأطارشة في شهبا والهيت والبثينة ضد آل عامر، وفي عراجة ضد آل ناصيف وفي لاهثة ضد آل عز الدين حيث قتل ثمانية رجال[2].

أجمع كافة المؤرخين أن هذه المعارك كانت صورة مصغرة لأول ثورة اشتراكية في هذه المنطقة العربية وقد شبهها بعضهم بكومونة باريز[3] (أول حركة عمالية في أوروبا)

---

[1] **الزغير ص ٤٥٦.**

[2] **نفس المصدر(٦٨).**

[3] **ورد هذا التشبيه بكتابات الأستاذ ميشيل عفلق**

حيث كانت تهدف إلى تعزيز الكرامة الإنسانية وتحقيق المساواة بين أبناء الوطن الواحد بالأملاك والعلاقات الاجتماعية حتى يكون الجد والنشاط ومؤهلات الشخص الفردية ، لا نسبه العائلي هي التي تؤهله للمكان الذي يستحقه في مجتمعه دون الفوارق الطبقية التي لا يجوز أن يكون لها وجود في هذا المجتمع.

وقد طبق العامة مقررات مجدل الشور فشكلت لجان فلاحية لتوزيع الأراضي وتدبير مختلف الشؤون وتصدوا للمناوشات ودوريات السلطة وهجمات البدو والحضر من الجيران المحرضين من قبل العثمانيين.

وعندما اشتد ضغط العامة على آل الأطرش جلوا إلى المزرعة وضواحيها ومكثوا فيها أكثر من شهرين. وفي هذه الفترة ذهب وفد منهم إلى دمشق يستحث الوالي على نجدتهم[1].

ويرى بعض المؤرخين أن بعض المسؤولين العثمانيين قد لعبوا دوراً في العامية من حيث التشجيع ليس حباً بأهدافها ولا إيماناً بمبادئها بل أملاً في إثارة الفتن بين أبناء الجبل وإيجاد النافذة التي يستطيعون منها الدخول إلى هذه المنطقة من أجل السيطرة عليها.

وهكذا وجد الوالي العثماني أن الفرصة سانحة للتدخل وبسط النفوذ العثماني فأعلن استعداده لمساعدة الأطارشة وإعادتهم ضمن الشروط التالية[2] :

١ـ أن يقبل إبراهيم الأطرش ببناء قلعة في السويداء.

٢ـ أن يقبل بتثبيت ملكية الأرض وتطويبها لأن ذلك يزيد من كمية الضرائب التي تجبيها الدولة.

٣ـ الاعتراف بحق الفلاح في امتلاك الأرض التي يستعملها وعدم ترحيله.

---

[1] محافظة السويداء ص ٧٢.

[2] محافظة السويداء ٧٣.

وقد حاول السيد هزيمي هنيدي التوسط بتكليف من الدولة ، فرفض العامة وساطته لاعتقادهم أنها خدعة من الوالي ولعدم ثقتهم بإبراهيم الأطرش الذي وافق مع الدولة على بناء قلعة في السويداء لمصلحتها المتعارضة مع مصلحة أبناء الجبل.

معركة الشقراوية ١٨٩٠

بعد ما فشلت الوساطة مع العامية الذين أصروا على موقفهم، أرسل الوالي إلى الجبل حملة كبيرة بقيادة ممدوح باشا مؤلفة من ست كتائب مشاة وألاي فرسان مع المدافع[1] تمركزت جنوب الثعلة ثم تقدمت نحو ولغا ، واشتد القتال شمال غرب السويداء (موقع الشقراوية) حيث تمكن الجيش من دخول السويداء على جثث مئات القتلى من الفلاحين وقادة العامية مصطحباً معه الأطارشة ، وسارع لبناء القلعة بالسويداء. هذا وقد وصف شبلي الأطرش معركة الشقراوية بقوله:

ظهر عقبها عسكر على أرض السويداء ... ممدوح باشا قائد الجيش حازم

وقال المشايخ يا ربع رجعوهم ... حقن الدما عَ ذمة الكل لازم

ردوا جواب الكل بعد المشاورة ... ما عاد إلنا شخص منهم يلايم

يوم الخميس الصبح جر العراضي ... إلى شرق ولغا جودل الجيش زاحم

يوم إن وطي وعرة الشقراوية ... قال الدروز اليوم خبط العمايم

وتواصل الجمعان في حومة الوغى ... صارت ضبيبي واختلطها كتايم

بزر الفرنجي كالبرد من مزونها ... ودوي المدافع كالرعود الروازم

من غير طولة شرح راحت كسيرة ... كم خفرة تبكي دموعاً سواجم[2]

---

[1] خطط الشام جـ٣ ص ١١٠.

[2] ديوان شبلي الأطرش ص٨٧. يا ربع: يا رفاق، جر العراضي: زحف الجيش، جو دل : انتشر والتف، ضبيبي: ضباب، كتايم: سواد، بزر الفرنجي: الرصاص، مزونها: المطر الغزير، الروازم: الهدير القوي، خفرة: امرأة مصونة، سواجم: غزيرة.

قد كان من نتائج هذه المعركة أن عاد آل الأطرش إلى قراهم وزعامتهم وحصل الشعب في الوقت نفسه على مطاليبه الآنفة الذكر كما تمكنت الدولة من بناء قلعة في السويداء وتعيين حاكم على جبل العرب، كما أن الانقسام بين عائلات الجبل استفحل واستمر زمناً غير قصير[1]. وفي أواخر عام ١٨٩٢ اعتقلت الدولة العثمانية شبلي الأطرش وحاولت نفيه من الجبل لأن أخاه إبراهيم اتهمه بمحاولة تحريك العامية وإثارة المشاكل بقصد الوصول إلى الزعامة بدلاً منه فحرض الدولة عليه حتى اعتقلته[2] وبينما هو في طريقه إلى معتقلات دمشق هاجم عدد من أبناء الجبل الجنود المرافقين وأجبروهم على الالتجاء إلى قلعة المزرعة وعندما اشتد الحصار عليهم. اضطرت الدولة العثمانية لإطلاق سراح شبلي بعد أن قبلت وضع ابنه محمود مكانه كرهينة في القلعة.

ز- انتفاضة عرمان ١٨٩٧م

بالرغم من كثرة الطوابير والجنود وبناء قلعة السويداء استمرت الحوادث تتكرر بين جنود السلطة وأحرار بني معروف الذين يأبون الضيم ولا يسكتون على الظلم. ففي سنة ١٨٩٦م حصل شجار عشائري لأسباب مادية بين جماعة من أهل قرى صلخد ونجران والحراك فاغتنمت الدولة العثمانية هذه الفرصة وأرسلت حملة كبيرة بقيادة أدهم باشا، إلى الجبل لتطويع سكانه، فاشتبك معهم في معارك عديدة في قراصة والسجن ونجران، وأم العليق ثم تمكن بعدها من دخول السويداء والتمركز في قلعتها، ولكنه شعر بحراجة موقعه بعد أن تكررت هجمات الأهالي على القلعة. فأرسلت إليه الدولة حملة بقيادة ممدوح باشا الذي جعلته حاكماً عسكرياً للمنطقة الجنوبية، وعندما فشل بإخضاع الثوار بالقوة أصدر عفواً عاماً خدعهم به حتى سلموا أسلحتهم واستكانوا ثم غدر بهم وألقى القبض على أكثر الزعماء ليلقي بهم في غياهب السجون وينفيهم بعيداً عن وطنهم[3]. فنفى شبلي

---

[1] محافظة السويداء ص٧٤.

[2] نفس المصدر ص٤١.

[3] محافظة السويداء ٤١-٤٢.

الأطرش الذي تولى الزعامة بعد وفاة شقيقه سنة ١٨٩٢ ووهبي عامر، وحوالي مائتين من الزعماء لبلاد الأناضول وقد وصل بعضهم جزيرة رودس، فتردت الأوضاع بعد ذلك في الجبل كثيراً وزاد الظلم والقهر وحصلت معارك متعددة تمكنت السلطة بعدها من إخضاع الجبل وفرض هيمنتها عليه وتقسيمه لخمس نواحي لكل منها مدير ناحية وهي:

السويداء ـ صلخد ـ شهبا ـ ملح ـ عاهرة. وشعر الناس بضيق خانق من انتشار الظلم والفساد والرشوة وراح الشعراء خاصةً المنفيون في سجون تركيا يصفون الحالة السيئة ويحضون الناس على الثورة ضد الأتراك ومظالمهم بقصائد متعددة سجلت تاريخ تلك الحقبة ووصفت المعارك الكثيرة التي حصلت بين الجيش والسلطة المستبدة وبين الأهالي نقتطف منها ما يلي:

فهذا شبلي الأطرش يصف غدر الأتراك[1] بقوله:

اللي وثق بهم لا شك مجنون	**من أمن الثعبان مالو سلامه**

كما يصف ظلمهم بعد سيطرتهم على الجبل[2] فيقول:

أول طلب قالوا علف للمواشي	**شعير وتبن شندي مع الصبح لازم**
هاتوا حطب هاتو فحم للعساكر	**برغل وآت وياغ جامد وعايم**
ستين ليلة والمطاليب قائمة	**كلونا مثل خطو السنين الهشايم**
ولما وصلنا الحبس بالذل والشقا	**كان الدم من كل المحابيس عايم**
من بعدها صارت على الناس ثقله	**طلبوا أموال من السنين القدايم**

---

(1) **محافظة السويداء ص ٤٢،٤١.**

(2) **ديوان شبلي الأطرش ص٨٩. شندي بالتركي: حالاً، آت: لحم، باغ: سمن، الهشايم: المهشمة المجدبة، الغجر: النور، الحوالة: الجباة، قشط: ساق، لاما: إلى أن، محوجة: خليط.**

عـدو الحـلال وطوبـوا الأرض كلـها	**وصـــرنا مثـــل الغجـــر للظلايـــم**
صــار الحوالــة يــسحب الجيــد منــا	**ويقـــشطونا مثـــل قـــشط الـــسوايم**
يقلـوا اللحـم بالـسمن والجـاج مثلـه	**مـــن غـــير هـــذا فحـــشهم بـــالكلايم**
شـركس وكـرد وتـرك علبـة محوجـه	**لا مـــا دعـــوا حـــوران للحـــشر نـــايم**

الانتفاضة الهادرة ١٨٩٧

بعد تقسيم الجبل إلى مناطق إدارية وتعيين المدراء والقائمقام ظن الأتراك أنهم وطدوا أقدامهم في الجبل خاصة بعد نفي زعمائه وإرهاق فلاحيه بالأتاوات والغرامات والضرائب. ويبدو أن ممدوح باشا قد ملأه الغرور وتمادى في الظلم والتنكيل وإشاعة الرعب والإرهاب معتقداً أن هذا أفضل أسلوب مع سكان الجبل لإخضاعهم. لكن هذا الظلم الشديد ولّد ثورة عرمان العارمة سنة ١٨٩٧م.

وهنا يذكر سعيد الزغير ابن عرمان في كتابه ص٤٦٢ ـ ٤٦٣ ما يلي:

يبدو أن هذا الظلم كان متزامناً مع حادثة ميثاء أرملة محمد الأطرش شيخ صلخد، إذ كان قائد الجيش ممدوح باشا قد فتن بجمالها عندما قابلته لتحافظ على حق ولدها من أخويه نسيب وجاد الله وقد طلب الزواج منها فرفضت والتجأت إلى والدها حسين الأطرش شيخ عرمان فتعهد رجاله بحمايتها. وعندما علم ممدوح بذلك أوعز للبدو كي يعتدوا على مزروعات عرمان ويتشاجروا مع نواطير البلد وتتاح له الفرصة للتدخل بحجة القبض على النواطير وتأديبهم لكنه كان في الحقيقة يريد اعتقال وجوه هذه القرية الذين سبق لهم أن اجتمعوا سراً مع وجوه القرى المجاورة لمعالجة مظالم الأتراك وسوء معاملتهم للسكان[1].

---

[1] **محافظة السويداء ص٤٢.**

وفعلاً عندما عاقب نواطير المزروعات الرعاة على اعتدائهم اشتكى هؤلاء الرعاة إلى السلطة في السويداء فأرسلت مفرزة من ثلاثين جندياً بقيادة ضابطين أحدهم مشرف رضوان لاعتقال النواطير بناءً على شكوى الرعاة.

وكان الضابط مشرف ماراً عندما كان محمود بيك أبو خير يجلب الطعام لضيوفه الجنود فدعاه للغداء قائلاً:

تفضل للغداء لاحق تأخذ زلم فأجابه مشرف: أخذ زلم وسأخذ رأسك أيضاً. فغضب محمود وامتشق سيفه وهجم على الضابط لكن جنوده عاجلوه بإطلاق النار فأردوه قتيلاً. عندها ثار أهل عرمان يريدون الانتقام من العساكر الذين التجأوا إلى مضافة إبراهيم الجرمقاني واحتموا فيها خوفاً من انتقام الفلاحين الذين حاصروا المضافة طيلة يوم كامل. وكان الجنود يطلقون النار على كل من يقترب منهم فقتلوا ثلاثة شهداء من الأهالي على باب المضافة الذي لا يزال قائماً حتى الآن، وآثار خردق طبنجات الفلاحين لا تزال باد ية للعيان[1] وعندما فشل الأهالي باقتحام المضافة قاموا في المساء بنقب السطح من الأعلى وقتلوا الجنود بالسيوف والخناجر ما عدا مشرف رضوان الذي احتمى بالحريم فعفوا عنه، وكان قد هرب جندي خيال فأخبر ممدوح بما حل بالجنود والمدير.

جهز ممدوح بعد ذلك جيشاً كبيراً مزوداً بأحدث الأسلحة والمدافع. وتوجه في مطلع تشرين الأول سنة ١٨٩٦ لتدمير عرمان وقتل أهاليها، وكان الدليل سليم الجاري الذي تزود بأمر إدخال الجيش إلى عرمان ليلاً لقتل السكان رجالاً ونساءً. لكن الدليل تاه بالجيش طوال الليل بين حيطان الخراب المهدمة على بعد ساعة من مشارف البلد (خربة عيون) وما بزغ الفجر حتى انقضَّ عليه الثوار برصاصهم وسيوفهم وخناجرهم تنخيهم النساء وتقدم لهم الطعام والماء وتزغرد لهم حتى الضحى حيث وصلت النجدات من صلخد والقرى المجاورة، فبدأ تراجع الجيش أمام شدَّة الهجوم باتجاه الغرب الذي بقي مفتوحاً لهروب العساكر. وكان الثوار يتسابقون على قتل الجنود بالسلاح الأبيض والعصي والفؤوس. فتحول التراجع إلى هزيمة

---

[1] **عبد الله حنا ص ٢٣٩.**

نكراء ووهنت عزائم الجنود من الخوف وأصبح هم كل جندي النجاة بنفسه، وعندما التقت هذه الفلول الهاربة غرباً بفرقة ثانية كان قد أرسلها ممدوح باشا لتعزيز قواته بقيادة محمد الجارودي الذي هرب مع فرقته ممتطياً فرسه الصفراء قبل الوصول إلى ساحة المعركة. فراح الثوار ينشدون:

صــــــفرة جـــــارودي غربـــــــت قـــــــوطر يحــــــث ركابهـــــــا

يــــا محمــــــد خــــبر دولتـــــك حنـــــــا خـــــــذينا طوابهـــــــا

(مدافعها)

يقول محمد كرد علي (خطط الشام جـ٢ ص١):

أحدق الدروز بالقوات التركية من كل جانب وقتلوا نحو ألفي جندي بالفؤوس والسيوف بمحل يدعى (عيون) غرب عرمان وغنموا مدفعين وجميع الأسلحة، والذخيرة واستشهد من أبناء الجبل أقل من مائتين بينهم[1] عقاب البربور، محمود غزالة، منصور الشوفي، جبر الحجلة، حمد الزغير، حسن أبو خير، يوسف ياغي، عباس المتني، سليمان طربيه[2] زحف الثوار بعد ذلك باتجاه السويداء وحاصروا قلعتها مدة ٢٨ يوماً مستخدمين بواريد الباليك وأم زر التي غنموها. لكن تركيا جردت حملة كبيرة سنة ١٨٩٧ نحو ٥٤ كتيبة بقيادة طاهر باشا لمساعدة ممدوح تمكنت في البدء من الانتصار على الثوار في معركة تل الحديد غرب السويداء، ثم شرع الجيش بعدها بالتقدم باتجاه قنوات وهنا باغته الفلاحون بما عرف بـ (كبسة قنوات) وأبادوا معظم جنوده وغنموا ٥٠٠ حصان. ثم جرت عدة معارك بعد ذلك

---

[1] الزغير ص ٤٦٤.

[2] يذكر سامي أبو شقرة في كتاب مناقب الدروز ص٢٦٦ ما يلي: السيدة سعدي ملاعب أعادة المنهزمين أمام الحملة العثمانية سنة ١٨٩٦ فارتدوا إلى القتال وحققوا انتصاراً رائعاً في معركة عيون قرب عرمان وعادوا يهزجون:

عشانك سعدي ملاعب نفني كل الكتايب

ما بيرجع لقرابوا السيف حتى يسوي العجايب.

تراجع الثوار على أثرها إلى اللجاة قلعتهم الحصينة. وهاجموا الجيش بمعركة قرب شهبا دامت ست ساعات استشهد فيها فرحان عامر، يوسف أبو عساف، سعيد نصر، هاني وعبد السلام الحناوي وغيرهم[1].

وقد أرسل عبد الله كمال هذه القصيدة إلى شبلي الأطرش في منفاه في أزمير يصف فيها بعض ما جرى، وهذه مقتطفات منها:

أبديت باسمك يا عظيم الأسامي	**يا باسط الخرسا بسهل وسهامي**
رافع سبع فلاكها بالتمامي	**تسمع دعا المظلوم وأهل الكرامي**
من عقبكم يا بيك صرنا ذليلين	**من حكم هاللي بلغاهم مهينين**
لا ما غدوا قلوب النشاما ملانين[2]	**وعدنا استحينا بلبسنا للعمامي**
نخبرك عن عرمان واللي جرى بيه	**تقدم درك عبدو أفندي نداويه**
يوم إن طغى كان ربك يجازيه	**هوي وربعو شرب كاس الحمامي**
نهار الخراب تشيب أطفال المراضيع	**وسعدى[3] تنخي بالعيال المفاريع**
مثل الحطب منا ومنهم مضاجيع	**مرحوم هاللي مسكنه بالرجامي**
حين الظهر ربك فرجها علينا	**مثل ليوث الغاب واحنا غدينا**
هني قفوا واحنا وراهم حدينا	**مثل الجرس تسمع رنين الحسامي**
هم جردوها من حجايا وسلانيك	**بتل الحديد صارت علينا المعاريك**

---

[1] **الزغير ص ٦٦٤.**

[2] **مملوءة غيظاً.**

[3] **سعدى: سعدى ملاعب كانت تشجع الثوار.**

عيـال الـسويداء لزموهـا المـداريك[1]	بـالعون أعطوهـا حقهـا بالتمـامي
ووجـوه ربعـك يلكـدوا عـالطوابي	يتقـاطعوهم كـالغنم والـذيابي
يابيـك لـو تـشوف صـفر النيـابي[2]	ورزم المـدافع مثـل يـوم القيـامي
بتنـا وتلينـا علـيهم كـسيرة	بهوجـاس بـاتوا وأصـبحو لـك بحـيرة
وتـشاوروا الـضباط ويّـا المـشيرة	دعنـا نفـوز بروحنـا بالـسلامي
ثـاني سـعدنا يـوم كبـسة قنـوات	يامـا ذبحنـا مـن العـساكر باشـوات
ويامـا خـذينا مـن الـسلايل نجيبـات	بحـساب كامـل خمـس مايـة لجـامي

وقد ورد في كتاب محافظة السويداء ص٤٤ ما يلي:

(ومع كل هذه المعارك لم يستطع ممدوح باشا أن يخضع الثائرين تماماً فمال إلى مصالحتهم، وبعد أن عقد الثائرون عدة اجتماعات في عرمان وقنوات والسويداء وطالبوا الدولة بتحقيق ا لمطالب التالية:

١ـ إعادة جميع المنفيين إلى الجبل.

٢ـ رفع التجنيد الإجباري عن بني معروف.

٣ـ تخفيف الضرائب.

٤ـ إخراج المساجين من دمشق.

٥ـ تقليل عدد الجنود في الجبل وعدم بناء قلاع جديدة.

٦ـ عدم إلقاء السلاح قبل تنفيذ هذه المطاليب.

---

[1] المداريك: الملاجئ.

[2] البعيني ص٢٧٧.

ومما يروى في هذه الفترة عن المرحوم أحمد المغوش أنه اتكأ على سيفه وقال لرئيس الوفد العثماني المفاوض: (يا أفندينا: أكلنا كمش، وحكينا دفش، وقرعة ما فهش، وقلاع ما نعمرش، وأهل البلاد غائبين مسركلين، منفيين. الدولة لها بلاد وما لها عباد. ما نرمي سلاحنا ولا نرجع عن الثورة قبل أن يعود أهل البلاد المنفيون إليها).

{وعن رواية للأستاذ صلاح مزهر في تلك الأثناء}

حوالي سنة ١٩٠٠م أخذ السلطان عبد الحميد يشعر بوطأة المعارضة السرية المتصاعدة ضده فارتأى أن يكسب ود القوى المتنوعة في سوريا ومنها زعماء الجبل. وبعد وساطات مختلفة[١] (الأمير شكيب أرسلان، غليوم امبراطور ألمانيا) أُمر بإطلاق سراح المنفيين، وسمح لشبلي الأطرش وعدد من الزعماء المنفيين معه بمقابلة السلطان عبد الحميد الذي أكرمهم وقدم لهم الهدايا وأنعم على شبلي الأطرش بعباءة موشاة بخيوط الذهب بقي زعماء الأطارشة في عرى يتناقلونها مدة طويلة. وقد علق محمد كرد علي كما يذكر عبد الله حنا على هذه الحادثة بالجملة التالية:

لقد نفتهم من الشام ثم أرجعتهم مكرمين من الآستانة فابتاعو بالدراهم التي نالوها من إحسان الدولة سلاحاً في طريهم ليقاتلوا عمالها[٢] أي موظفيها.

لقد أدت عملية الصلح مع الدولة العثمانية بعد إطلاق سراح المنفيين والمعتقلين إلى حلول وسطية كان في طليعتها قبول التنظيم الإداري لعام ١٩٠٠ الذي قسم الجبل إلى ثلاث قائمقاميات[٣] مرتبطة بمتصرفية حوران وإعفاء شباب الجبل من الخدمة العسكرية مدة عشرين عاماً وزيارة الوالي حسين باشا للسويداء حيث ثبت الشيخ الهجري بمنصبه كشيخ روحي للجبل ووزع الهدايا والهبات مما حسن العلاقات مع الدولة، واستقرت الأحوال هادئة حتى سنة ١٩١٠ وقد قويت شوكة أبناء الجبل في

---

[١] البعيني ص٢٧٧.

[٢] عبد الله حنا ص٢٤٠.

[٣] عبد الله حنا ص٢٤٠.

هـذه الفـترة ولم يـتمكـن الأتـراك مـن أن يحركـوا سـاكناً عنـدما التجـأ سـلطان ابـن الرشيد أمير نجد إلى الجبل هرباً من ظلمهم[1].

ح ـ حملة سامي باشا الفاروقي سنة ١٩١٠ والمشانق

ورد في كتاب محافظة السويداء ص ٤٥ـ٤٦ ما يلي: (في عام ١٩١٠ قررت الدولـة العثمانية إخضاع الجبل بعد أن كثر لجوء المتمردين إليه فاغتنمت فرصة شجار وقع بين الأهالي في قرى حوران والجبل وأرسلت حملة مؤلفة من ثلاثين ألـف جنـدي بقيـادة سـامي باشـا الفـاروقي[2]، الـذي اعتمـد أول الأمـر علـى الحيلـة حيـث اسـتطاع القـبض على يحيى الأطرش شيخ عرى وأودعه السجن. ثم زحف على الجبـل مـن ذرعـا، ووزع منشوراً وعد فيه بالعفو العام عن كل من يلقي بسلاحه.

ولهذا وقعت البلبلة في صفوف بني معروف واجتمع بعضهم في قرية الكفـر بينمـا اجتمع بعضهم الآخر في قرية مفعلة، فهاجمهم سـامي باشـا في هـذين الموقعين، غير أنـه هـزم ولم يـستطع الـسيطرة علـى الموقـف إلا بعـد التظـاهر بـاللين إغـداق الوعـود الجميلـة للمـسالمين الـذين راحـوا يـؤدون الـسلاح ويعلنـون الـولاء للدولـة. ومـا أن اطمـأن القائد التركي لضعف مقاومتهم حتى اعتقل المئات منهم وأرسلهم إلى سجون دمشق وعكـا، ونفذ حكم الإعدام شنقاً في كل مـن ذوقـان الأطـرش والـد سـلطان ويحيـى ومزيد عامر وهزاع عز الدين ومحمد القلعاني وحمد المغوش. (ساحة المرجة بدمشق في آذار سـنة ١٩١١) أمـا يحيـى الأطـرش فقـد تمكـن مـن تبـديل حكـم الإعـدام إلى النفي إلى رودس بدفع مبلغ ٤٥٠٠ ليرة ذهبية[3]. وبهذا الإرهاب سيطر العثمانيون على الجبـل وراحـو يحـصون نفوسـه ويـسوقون شـبابه إلى الجنديـة، ويـستوفون الأعـشار ورسـوم الأغنـام. وفي هـذه الأثنـاء نـشبت ثـورة الكـرك في شـرق الأردن الـتي اسـتمرت تتعاون مع ثوار بني معروف في الجبل حتى الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين سنة ١٩١٦.

---

[1] محافظة السويداء ص٤٤.

[2] كرد علي خطط الشام جـ٣ ص١١٢.

[3] عبد الله حنا ص٢٤٤.

قصائد حربية للمرحلة

١ـ بقية قصيدة أبو علي قسام الحناوي يفتخر بقومه ويصف معاركهم مع الأتراك:

وأيضاً القبر صلي أتانا مجرد	آلايات لا يحصى لها مقدار
نزل في الكتيبة والعراضي تنصبت	وصار الطراد وحارت الأفكار
صارت وقايع حرب دهم مهولة	ما يلزم التعداد والتذكار
وكوان ازرع لا شك شاعت أخبارها	في المدن والبلدان والأقطار
وجرت آلايات الثقيلة على ازرع	جيش عرمرم يدهش الأبصار
فلاقوه فتيان أشداء بواسل	صناديد في يوم الوغى شطار
وصاحت على الأتراك صيحة عناتر	كرت عليهم من عشوش أحرار
أخذنا المدافع وأدبر الجيش منكسر	ولّى على الأعقاب والأدبار
هد ورحل من أول اللليل ساري	من دون ما يطلع عليه نهار
وهذي مواضينا وهذي أفعالنا	وهذا بقوة قادر قهار
ضراغم بني معروف ذباحة العدا	يا مالنا في المعركات غبار
وكم فارس منا صميدع[1] غضنفر	يبيد العدا بالصارم البتار
وكم ليث منا باع روحو بلا ثمن	بسوق المنايا في الوغى كرار

[1] صميدع: شجاع.

وكم من أسد خلّى نطيحوا ممدداً — وتجعر عليه النايحات جعار

وكم بطل منا خلاوي إذا لكد — عالجمع مثل الضيغم الهدار

يفعل بهم ما يفعل الذيب بالغنم — بضرب اليماني الصارم البتار

وشبابنا بارودهم بكفوفهم — زلازل في المتراس هجمة نار

قساور[1] أسود الغاب في ملقى العدا — يسيل الدما من ضربهم فوار

وقعة مسيكي كيف ما تذكرونها — ولُّون من طعن الأسود فرار

ولا يرهبوا من كثرة الجيش في اللقا — ولو كان تعداده الألوف كثار

ولا راعهم ضرب المدافع والكلل[2] — وراحت آلايات الملوك دثار

وعركات ما يلزم تفاصيل ذكرها — وكل الأمم في فعلنا خبار

ولا هو بقوتنا ولا هو بعزمنا — إلا بعناية واحد ستار

وقام الحريري الآن في البغض والحسد — ضيق علينا دائرة البيكار

وقام الحضر والبدو والجيش والدول — فتحوا أبواب الحرب والأضرار

والله بالمرصاد واللي قبيلو — يجازيه فيما من فعالو صار

وركب خيل إبليس دايم ولم يزل — عمال ينفخ مثل صل الغار

ونحنا نحط الله نظيرو يقاتلو — ويسحق جيوشه سحقة الفخار

---

[1] قساور: أسود

[2] الكلل: القنابل.

ما يعلم أنا قوم من خاص ما خلق   وخير القبايل فرقةً أخيار

نحنا صناديد نسبنا ممنع   عالحرب في يوم الوغى صبار

وأفخر نسب في الأرض تلقى نسبنا   ومتجنبين العار والمعيار

ترى جدنا النعمان خلفة سما لخم   وهاني وعنتر سادة أخيار

سلمان والمقداد أيضاً جدودنا   أبا ذر ورفاعة وكذا عمار

وحنا بني معروف أمة جليلة   وما قط خنا في حمانا جار

ودوماً نصون العرض ولو كان للعدا   إذا ما العج في يوم الكريهة ثار

ونصبر كما صبر الكرام على البلا   وفي الملتقى من مثلنا صبار

شبلي الأطرش من منفاه يرسل هذه القصيدة.

قصيدة حرب عرمان

قلبي على فقد المحبين ولهان   وأحر قلبي من العلوم التوالي

وهمي سمك من يوم فرقاي حوران   وعيني بديران الرفاقة الخوالي

دمعي دفق من مقلة العين غدران   يا ويل من جارت عليه الليالي

علمي بهم يوم أنا كنت طربان   يا حيف أيام الهنا والدلالي

علمي بهم من نمرة الحيص لمتان   لدامة العليا بركن الشمالي

من برد لذيبين لشبيح[1] سكان   حتى رياض بلادنا والمفالي

وأنا أتحرى العلم والقلب حزنان   أرجو الفرج من رب خلاق عالي

جانا خبر من يم صلخد وعرمان   نعمين يا وجوه الذياب المتالي[2]

عبدو أفندي[3] شارب الخمر سكران   جاهم يهادر مثل فحل الجمال[4]

يطلب من سباع البر بناً ودخان   ويريدهم مثل الغجر[5] للحوالي[6]

جوه النشاما وبعد لليوم ما بان   هدوا عليه قصور شمخ عوالي

وللحين تحت الردم من غير دفان   مع مشرف آغا[7] لجهنم يوالي

من عقبها صارت معاريك وكوان   تشيب الولد الرضيع الموالي

وتضعضعت حوران من كل الأركان   عافت لحاها والدبش[8] والحلال

وتوالموا للهوش[9] طلقين الإيمان   وتعاون الصبيان من كل جالي

صاحوا عليهم وانطرب كل سكران   واقفوا مثل غيم حداه الشمالي

---

[1] برد وذبين وشبيح: أسماء قرى ومزارع في الجبل.

[2] الذياب المثالي: الذئاب الفتية القوية.

[3] عبدو أفندي: قائد تركي.

[4] فحل الجمال: الذكر القوي.

[5] الغجر: النور.

[6] الحوالي: دورية الجيش.

[7] مشرف آغا: من الضباط الأتراك.

[8] الدبش: المواشي.

[9] وتولمو للهوش: تهيئوا للقتال.

الفـين مـن حمـر الطـرابيش سـقمان "بعيـون" ذبحـو مـن القـروم العيـال

ضـبع الكـويرس عـازمو ضـبع حـبران وصـار اللحـم "بعيـون" مثـل الـتلال

جــرد عيالـــك والثعالـــب ووبـــوان وافلـــح هـــداك الله عمـــا يـــوالي

مـن فعـل ربـع ينطحـوا الـضد بطعـان صـــلفين يـــوم الهـــوش يـــوم القتـــال

بـــبلاد ســـوريا بـــلا شـــك فرســـان مـــن غيرهـــم إيَّـــاك تحـــسب رجـــال

الله يعـــز بلادنـــا بجـــاه ســـلمان ويفكنـــا مـــن أشـــرار شـــقا وســـالي

قصيدة الدار

شبلي الأطرش

يــا دار قلــبي دايــم الــدوم يطريــك[1] وإن نمـت أشـوفك بـا لهواجيس يـا دار

يــا درا مــا ظنيــت عــالعمر نجزيــك[2] لكـــن حكـــم الله علـــى الخلـــق ينـــدار

يـــا دار رحنـــا بالمـالـــك تـــشاريك[3] مـــا تنـــدبينا بتنـــاويح وأشـــعار

يا كبر همـي إن كـان غيري مراعيك وحنَّـا بحـبس الـروم جـوات البحـار[4]

وأنـــا أتـــذكر شـــوفتي لجواريـــك اللـــي لمـــع خـــدودهن مثـــل القمـــار

---

[1] يطريك: يذكرك

[2] نجزيك: نغادرك.

[3] تشاريك: ضياع.

[4] مراعيك: مراقبك.

ياما حلا جمع الرفاق بعلاليك[1]	والبن يزهى والفناجين دوّار
يا دار كنت من القبايل معذيك[2]	ولاني بحال اللي على الحرب صبار
لعبوا بك الحساد وأهل التحاريك[3]	لا ما غديت للمخاليق معيار
يا دار كانوا ينحروك المهاليك	وكنتِ مزار ودايم الدوم ينزار
كم أمير وبيك ياما احتمى بيك	من ديرة سعود لبلاد سنجار
سطام بن شعلان جانا احتمى بيك	يوم ان لفى من ضيقة الحبس فرّار
من قبل فيصل وابن دوخي ودواليك	وأهل الشمال اللي على الخيل شطار
ما عمر طوط[4] الروم خوّف أهاليك	ولا يوم بتي بهواجيس وأفكار
كثرت شيوخك قام ربك يجازيك	سلط عليك الترك صلفين الشوار
عفناك لو كان النفل بمفاليك[5]	من يوم شاخ البيك أبو سيف جرار[6]
شاخ الأبازة وابن صوّان والديك	وشيخ القريا ولد غنّاج مختار[7]
شاخوا الشباب ولزّموها المداريك	أهل المعاني مالهم ملك وجذار[8]

---

[1] علاليك: الغرف العالية.

[2] معذيك: مخلصك.

[3] التحاريك: الفساد.

[4] الطوط: البوق.

[5] مفاليك: مراعيك.

[6] أبو سيف جرار: هو حمد الكريدي من قادة العامية ـ استشهد بمعركة خراب عرمان.

[7] الأبازة: ابن صوّان ـ الديك ـ ولد غناج: أسماء متزعمين من العامة.

[8] المداريك: الأخطار، الجذار: الأرض القريبة.

أهـل العهـد بلاعـة الحجـج ذوليـك　　قامـــت تثارينـــا بثـــارات عمّـــار[١]

والله لـولا الخلـف مـا ظـن يوليـك[٢]　　لا وحـــق ربّـــي خـــالق الخلـــق قهّـــار

لـو جردوهـا مـن حلـب للكـرك ذيـك　　وجـابوا عراضـي مـع طـوابير وأنفـار

لكـــن حـــسبي الله عَ مـــن فـــسد بيـــك　　رايـاتهم عنـدي مـن الجـاز[٣] وشـحار

مـن بعـد ذا يـا راكـب اللـي تواتيـك[٤]　　حـراً زعـاع[٥] وعـدّها الطـير لـو طـار

انـــسف عليهـــا شـــدادها والمباريـــك[٦]　　وأكـرب بطانهـا مـع حقبهـا والوسـار

خـــرج العقيلـــي زاهيـــاً بالتحابيـــك　　شـغل الطمـوح لـشوقها بـريش وزرار

مـن بعـدها يـا طارشـي[٧] أريـد وصـيك　　خـوذ الزهـاب[٨] ألما يتركـب علـى النـار

إن ثـــورت عقـــب المنـــاخ ومباريـــك　　زيـن النظـر دوبـو يحـوك[٩] بالأبـصار

وتمـد مـن عنـدي تـدور مـشاحيك[١٠]　　مـن أزمـير دربـك يـا فتـى الجـود دوار

---

[١] أهل احجج بلاعة العهد: كناية عن المراوغين.

[٢] يوليك: يتولى عليك.

[٣] الجاز: زيت الكاز.

[٤] تواتيك: تناسبك.

[٥] زعاع: سريع.

[٦] المباريك والحقب والوسار: أجزاء من شداد المركوب.

[٧] طارشي: رسولي.

[٨] الزهاب: الطعام.

[٩] دبو يحوك: بالكاديري.

[١٠] مشاحيك: مقاصدك.

منهـا علـى قونيـا عـسى الله يهـديك	دربـك يمـين وحـط مـرعش عاليـسار
عـــديار بكـــر ومـــاردين بمحاريـــك	عَ حلــب الــشهبا عقــب شــهر ونهــار
حمـص وحمـاه وانحـر الـشام قبليـك	وسند[1] على اللي يكرموا الضيف لوزار
مـن عقـب ربعـات[2] الفـرج والمهاليـك	تلفـــي عربـــعٍ يطبخـــوا الـــبن وبهـــار
جبلـــي علـــوم خبـــار هـــك المعاريـــك	يـا هـالترى بغيابنـا شـو جـرى وصـار
مرحـوم يللـي حاضـر الكـون[3] هونيـك	يـسكن عـدن[4] بيهـا بـساتين وثمـار
أهـــل المعـــاني مثـــل زمـــل المعاريـــك	يـــا رب لا تـــثلم علـــى كـــل شـــوّار
يـــا الله تفـــك بلادنـــا بجـــاه نبيـــك	المـصطفى مـن كـل ظـالم وجبّـار

ط ـ الثورة العربية الكبرى في الجبل

في مطلع هذا القرن بدأ تفتح الوعي العربي السياسي يتفاعل على أرض الواقع، فتشكلت الجمعيات القومية التي تدعو للتحرر من الاستعمار التركي الثقيل الذي جثم على صدر الأمة العربية أكثر من أربعة قرون، ذاق الشعب خلالها الويلات من المؤامرات الدينية والفتن الطائفية والمعارك الدموية والحروب المحلية التي أهلكت البلاد والعباد....!! وعندما عين جمال باشا السفاح (قائد الجيش الرابع التركي) حاكماً على سوريا في مطلع الحرب العالمية الأولى، تودد إلى العرب أوَّل الأمر، وتظاهر بعطفه على أمانيهم القومية، ولكن سرعان ما كشف عن نياته المبيتة ونفسيته الحاقدة، فبطش بأحرار العرب واستخدام أبشع أنواع الظلم والاستبداد

---

[1] سند: عرّج

[2] ربعات: مواقع.

[3] الكون: الحرب.

[4] عدن: جنة عدن.

أثناء حكمه. يقول محمد كرد علي: ولم يسلم من بطشه إلاّ دروز جبل حوران الذين خدعوه بوعودهم ولم يتجندوا بحجة العمل في أراضيهم على الرغم من إلحاح القائد العام عليهم، ولو خرجت دولته ظافرة لأرسلت حملة على هذا الجبل تهلكه وتخربه، تحسّباً من ثورتهم ضده، زار الجبل وتودد إليهم ووافقهم على طلب إعفائهم من الجندية وقدم لزعمائهم الخلع والأسلحة وسمح لهم بالتسلح

ويضيف كرد علي: ومأثرة أخرى عظيمة تعد من مآثر الدروز وهي:

إنهم أووّا في جبلهم نحو عشرين ألف لاجئ من العرب على اختلاف مذاهبهم فراراً من الجندية وبطش الأتراك وظلمهم، وأطعموهم مدة الحرب بلا عوض، فكانت مضافات الرؤساء منهم أشبه بفنادق ومطاعم مجّانية خدَّامهما أصحاب تلك البيوت من أعيان الجبل، فمثلوا بعملهم القرى[1] العربي والمروءة والشهامة[2].

وبسبب ظلم الدولة العثمانية لبني معروف وما قاسوه منها في حروبهم الطويلة ضدها، وما أقدمت عليه من التنكيل بهم وإعدام عدد من زعمائهم، دعم أكثر أبناء الجبل الثورة العربية الكبرى، وعملوا على الخلاص من حكم الأتراك الحافل بالظلم والفساد...! وما كاد الشريف حسين يطلق الرصاصة الأولى إيذاناً بإعلان الثورة على الأتراك، حتى أصبح جبل العرب ممراً للمناضلين ومقراً للسياسيين الهاربين من ظلم الأتراك وملجأ للفقراء الذين منعتهم ظروف الحرب من الحصول على قوت يومهم......!!

وقد جرت بعد ذلك مراسلات واتصالات عديدة بين فيصل ابن الحسين وأعيان الجبل للتهيئة للثورة العربية والاستعداد لها، وقد نقل على أثرها السيد نسيب البكري قرار الشريف بإعلان الثورة العربية على الأتراك، ورغبة الأمير فيصل بالتعاون مع أبناء الجبل، خاصةً وقد كان الكثيرون منهم أعضاء في الجمعيات العربية الوطنية القومية التي زاد نشاطها عندئذ في مختلف أنحاء الوطن العربي وحتى

---

[1] **القرى: إقراء الضيف أي إكرامه.**

[2] **خطط الشام المجلد الثالث ص١٤٦-١٤٧.**

في العاصمة العثمانية الآستانة، وكلها كانت تدعو لمقاومة التتريك والاستعمار التركي الغاشم...

وورد في مذكرات سلطان الأطرش

إنه في ربيع سنة ١٩١٧م قررت المعارضة في الجبل الجهر بالثورة ضد الأتراك ورفعت أعلام الثورة العربية الكبرى فوق مكتب الارتباط بدار حمد البربور في أم الرمان وفي القريا بلدة سلطان باشا الأطرش، وسارت الحملة التي أعدت من أبناء الجبل حوالي ثلاثمئة خيال وهجان[١] . سارت لتلتحق بالجيش الفيصلي وعلى رأسها من أعيان الجبل حمد البربور، معذى المغوش، وعبد الله العبدالله.

وقد توجه الفرسان نحو العقبة يترنمون بأهزوجة معذى المغوش الآتية:

يـــا مـــير مـــا ودهـــا[٢] ســـكوت	**لازم تـــــــــزور بلادنـــــــا**
لابـــــد[٣] عَ جلـــــق تفـــــوت[٤]	**وتـــــشو ف عـــــج طرادنـــــا[٥]**
عيـــال الجبـــل أحـــرار ثبـــوت[٦]	**يفـــــني العـــــدا ملكادنـــــا[٧]**
مـــن مـــصر لـــساحل بـــيروت	**لنجـــــــد لبغـــــــدادنا**
مـــن أجلـــها نحيـــا ونمـــوت	**ونحمـــــي حمـــــى أجـــــدادنا**

---

[١] في برقية من الأمير فيصل لأخيه زيد يقول: وصلنا المير نوري الشعلان مع خيالة الدروز ١٥٠٠ خيّال.

[٢] ما ودها سكوت: أي الصمت غير لازم.

[٣] لابد: بالتأكيد.

[٤] تفوت: تدخل.

[٥] طرادنا: منافسة الفرسان الراكضين.

[٦] ثبوت: أي يثبتون على قرارهم.

[٧] الملكاد: هجوم الفرسان.

رجـــال العـــرب يـــا هـــل البخـــوت[1]   بالـــــسيف نحمـــــي أمجادنـــــا

وعندما تقدم الجيش الفيصلي نحو الأزرق وصلت إلى سلطان باشا الأطرش في القريا رسالة من الأمير فيصل يقول فيها: أخي سلطان... الملقى درعا غداً...

وبناءً على هذه الرسالة جرت الاتصالات والمفازيع إلى قرى الجبل الموالية للثورة وما هي إلا ساعات حتى كان عج الخيل وأهازيج الفرسان والبيارق تموج خفاقة مع الأغاني الحماسية مثل:

يـــا الله يـــا معبودنـــا   يـــا حـــاكم عالقبايـــل..   يـــا اللهـــة يـــا معبودنـــا

ترشـــد مـــان يقودنـــا   عـــالعزبين الحمايـــل   ترشـــد مـــان يقودنـــا

والـــــشور لكبارنـــــا   والفعـــــل لزغارنـــــا   بـــالكون يربـــوا الهوايـــل

والـفعـل لـزغـارنـا

سارت الحملة من القريا فاستولت على حامية بصرى التركية وتقدمت نحو الشيخ مسكين يخفق فوق طليعتها الأولى العلم العربي بألوانه الأربعة حيث التقت عدة فصائل عربية من عشائر عنزي والحويطات وقبائل بني صخر، والحورانيين وفصيل الجبل إلى العقبة، وتقدم الجميع بقيادة الشريف ناصر يطاردون فلول القوات العثمانية والألمانية المتراجعة حتى توقفوا قرب الكسوة أمام خط دفاعي حصين وقوي أقامه الأتراك في تلول المانع، تساقطت منه قذائف المدفعية بغزارة ودون انقطاع على المطاردين ففتحت بصفوفهم ثغرات واسعة أدت لتشردهم وانسحاب أكثرهم، وفي المساء عرّج فرسان الجبل على أقاربهم في الدير علي للمبيت ووضع الخطة المناسبة للتنفيذ في اليوم التالي، حيث قاموا بحركة التفاف ونازلوهم بالسلاح الأبيض بالخنادق فقتل من قتل واستسلم الأحياء أسرى كان من بينهم ضابط كبير هو رضا باشا الركابي أسره فرسان قرية الغارية، ولما عرف سلطان باشا هويته العربية أعاد

---

[1] **البخوت: ج بخت وهو النصيب.**

له سلاحه وجواداً مناسباً رافق الثوار عليه حتى دخلوا مدينة دمشق ووصلوا ساحة المرجة في ٣٠ أيلول سنة ١٩١٨م[١]. مع أهزوجة:

وسّـــعوا المرجـــة تـــرى المرجـــة لنـــا وسّـــعوا المرجـــة تتلعـــب خيلنـــا

ثم تقدمت مواكب الثوار حتى رفعت فوق دار الحكومة العلم العربية الذي كان يرفرف فوق طليعتهم منذ انطلاقها من الجبل. وراحوا يرددون بجوفية[٢] كبيرة:

عَ قبـــة المـــريخ وشـــكّينا العلـــم هـــذي ديـــار العـــرب ونحنـــا رجالهـــا

مـــن الجزائـــر لمـــراكش لحلـــب حنـــا حمـــاة ســـهولها وجبالهـــا

دخل الأمير فيصل دمشق في ٢ تشرين أول سنة ١٩١٨ واستقبل المهنئين بدار فخري البارودي الواقعة بحي القنوات، وشكلت أول حكومة فيصلية برئاسة رضا باشا الركابي نفسه[٣] الذي سمي أيضاً بحاكم دمشق العسكري وعين الأمير عادل أرسلان معاوناً له ومستشاراً للأمير فيصل كما عين رشيد طليع مديراً للداخلية واعتذر سلطان باشا كما ورد بمذكراته عن أي منصب حكومي. وقد نظم السيد برجس المغوش أهزوجة شعبية في ذكرى هذه الثورة فيما بعد هذه بعض أبياتها:

ذكرى الثورة العربية

طـــاب المـــوت يـــا عـــرب فيـــــصل الأول قالهـــــا

لمّـــا الجـــرح لحـــق القتـــب[٤] والظلـــــم زاد أهوالهـــــا

---

[١] مذكرات سلطان باشا الأطرش الحلقة الرابعة.

[٢] الجوفية: أهزوجة حربية تغنى بشكل جماعي.

[٣] رضا الركابي: الضابط الذي أسره فرسان قرية الغارية.

[٤] القتب: القسم المعدني من شداد البعير الذي يجرح سنامه إذا مسّه.

ســــــلطان أول مـــــــن وثــــــب لّحـــــــدْ وأنــــــي خيّالهــــــا[1]

صـــــاح أشـــعلوا نـــار الحــــرب فـــــــوق القمـــــــم وجبالهــــــا

نحــــــرر بهــــا بـــــلاد العـــــرب ونجمـــــــع شــــتات رجالهــــــا

معـــــذى حـــــداّها بالعقـــــب[2] يـــــا فيـــــصل شــــد رحالهـــــا

قــــول وفعـــل ســــوق الحــــرب بنــــــو معـــــــروف أبطالهـــــــا

تركيــــا ولّـــــت بالغـــــصب[3] وفرنـــــسا يلعـــــن فالهـــــا[4]

واليــــوم أميركـــــا بالنهـــــب تغـــــزل علــــى منوالهـــــا[5]

تغتــــــال حريــــــة الـــــشعب تبتــــــز قـــــوت عيالهــــــا

وتــــضحك علـــى عــــبي القـــصب تـــــــسلب غزيـــــــر أموالهـــــــا

ويتــــــآمروا شـــــرق وغـــــرب ويتقـــــــــــاسموا بترولهـــــــــــا

القـــــدس أعياهــــا الغــــضب تنـــــــدب مـــــصير أطفالهــــــا

يـــــا حيـــــف أمجـــــاد العـــــرب ضــــــاعت عَ يــــــد أنـــــــذالها

السويداء ١٩٦٦ برجس المغوش

---

(1) لحد وإني خيّالها: عبارة نخوة يطلقها المغامر الذي يتكفل بقضية صعبة.

(2) معذى حداها بالعقب: إشارة لأهزوجة معذى المغوش بالعقبة.

(3) تركيا ولت بالغصب: ذهبت مكرهة.

(4) يلعن فالها: هنا يتشاءم من ذكرها.

(5) تغزل على منوالها: تعمل مثلها تماماً.

أخيراً نقول لقد حققت:

هذه الحروب الكثيرة ضد الأتراك العثمانيين وإبراهيم باشا المصري انتصارات باهرة للمواقف الوطنية والقومية التي تثبت عندها بنو معروف بالرغم من سلاح الطائفية والتكفير الذي استعمله الأتراك ضدهم، وهكذا بقيت مواقفهم وأفكارهم في أعماق الضمير القومي والوطن العربي مما ساعد على استمرار ثباتهم وانتصاراتهم.

الباب الرابع

المصادمات الأولى مع الفرنسيين والجبل

بعد الثورة العربية الكبرى

الفصل الأول

المصادمات الأولى مع الفرنسيين

أ ـ الحكومة الفيصلية بدمشق

بعد دخول الأمير فيصل إلى دمشق قامت الاحتفالات وعقدت المهرجانات والأعراس ابتهاجاً برفع العلم العربي بسماء دمشق وتحرير البلاد بعد قرون من الظلم والاستبداد وحكم الأجانب. فأخذت الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية تنشط بالنوادي والمحاضرات والصحف داعيةً للوحدة الوطنية والحياة الاستقلالية الجديدة التي بدت كأنها تسير في مجراها الطبيعي..!

من جهةٍ ثانية بدأ موقف فرنسا وانكلترا من القضية العربية يتكشف على حقيقته وبدأت تظهر على الساحة أسرار معاهدة سايكس بيكو، ويتوضح معها الخطر المحدق بالبلاد من جراء تقسيمها لمناطق نفوذ بين فرنسا وانكلترا.

في ٨آذار ١٩٢٠ أعلن المؤتمر السوري استقلال سوريا بحدودها الطبيعية من طوروس إلى رفح تحت تاج الملك فيصل بن الحسين حسماً للاتفاقات السرية والتآمر بين الحلفاء على تجزئة سوريا واقتسامها بين فرنسا وبريطانية وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وأبلغ المؤتمر قراره لجميع دول العالم لكن اعتراف الدول بهذا الاستقلال كان محدوداً، قد فرض المنتصرون بالحرب على سوريا والعراق انتداباً جاءت به المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم وقرارات مؤتمر الصلح المنعقد في شهر نيسان في باريز ١٩١٩.

وكانت هذه المادة والميثاق وسيلة لتنفيذ أحكام معاهدة سايكس بيكو السرية ووعد بلفور وخداع الشعوب المستضعفة باسم جديد للاستعمار وهو الانتداب. يقول الدكتور الشهبندر: "المقالات ص٢٣٠".

في ٢٠ أيار سنة ١٩٢٠ تشكلت حكومة فيصلية على الشكل الآتي:

هاشم بيك الأتاسي رئيساً. علاء بيك ا لدروبي للشورى. رضا بك الصلح للداخلية. يوسف بيك العظمة للحربية. فارس بيك الخوري للمالية. ساطع بيك

الحصري للمعارف. يوسف بيك الحكيم للتجارة والزراعة والأشغال العمومية. جلال بيك زهدي للعدلية. الدكتور الشهبندر للخارجية:

واستبشر المواطنون خيراً وطفحت الأفئدة بالأمل خاصةً عندما تسلمت القيادة في البلاد شخصيات وطنية مشهودُ لها بالإخلاص والجرأة والصلابة بموجهة التحديات الفرنسية مثل هاشم الأتاسي وفارس الخوري وعبد الرحمن الشهبندر وغيرهم.

استمرت الحكومة الفيصلية حوالي السنتين بدمشق قضتها بالمحاورات والمباحثات المعقدة مع السلطة الفرنسية التي بدأت من بيروت بإصدار الأوامر والإنذارات لتسهيل بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة حسب قرارات معاهدة سايكس بيكو السرية.

ب ـ كارثة ميسلون وانسحاب فيصل

في أواخر تموز ١٩٢٠ أصدر الجنرال غورو إنذاره إلى الحكومة العربية بدمشق وتبع الإنذار عدوان قوض استقلال سوريا وفرض عليها الاحتلال الفرنسي بعد استشهاد وزير الحربية يوسف ا لعظمة في معركة ميسلون مع عدد من المجاهدين الذين ضمخوا تراب الوطن بدمائهم الطاهرة، وقد أدى ذلك لانهيار الجبهة الوطنية وبلبلة الأوضاع في الداخل. وقد كانت حملة سلطان الأطرش لدعم الجيش الوطني في الداخل قد وصلت إلى قرية السجن غرب المزرعة عندما وصلتها أنباء دخول الجيش الفرنسي إلى دمشق وانسحاب الملك فيصل وحاشيته تجاه "درعا"، فأرسل سلطان وفداً من حمد البربور وصياح الأطرش وعبد الله العبد الله للاتصال بالملك فيصل ودعوته إلى الجبل لدراسة الموقف معه ومتابعة الكفاح ضد الفرنسيين من الجبل "مذكرات الحلقة ٤".

وقد حاول الوفد اللحاق به حتى فلسطين فلم يتمكن من مقابلته. حيث كان قد سافر إلى أوروبا، وعاد الوفد دون أن ينجح بمهمته.

وبعد اجتياح الجيش الفرنسي للبلاد في أواخر تموز سنة ١٩٢٠ فرض الانتداب عليها، ثم قام بتجزئتها إلى دويلات أسماها فلسطين ـ شرقي الأردن ـ تحت الانتداب البريطاني. ودولة لبنان الكبير ودولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز وحكومة لواء الاسكندرون المستقل تحت الانتداب الفرنسي.

جـ ـ الثورات الأولى ضد الاحتلال

بدأت مقاومة الشعب العربي في سوريا للاحتلال والاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أراضيها. فنشبت ثورة في شمال سوريا يوم كانت فرنسا تحتل منطقة الساحل وحدها. وقد شملت هذه الثورة منطقة أنطاكية والأقضية التي تحاذي المنطقة المحتلة في الشمال كجبال الزاوية والجبل الوسطاني في قضائي حارم وإدلب وقضاء الحفة وجسر الشاغور.

❁ ثورة الشيخ صالح العلي

وقد عمَّت قرى العلويين في جبال اللاذقية. وتوصلت في كثير من الأحيان إلى المدن الساحلية. ومن المعارك الهامة التي دارت هنا بين الثوار والجيش الفرنسي: معركة الشيخ بدر تكبد فيها العدو العشرات من القتلى والجرحى، ومعركة وادي ورور، ومعركة قرية بودي التي استمرت عدة أيام خسر فيها العدو الكثير من القتلى والعتاد والذخيرة مع استشهاد عدد من الثوار. إلى جانب هذه الثورات كانت ثورة في جبال بعلبك ثم ثورة رابعة في جنوب لبنان مسرحها وادي التيم ويمتد حتى حدود فلسطين بزعامة الأمير محمود الفاعور شيخ عشيرة الفضل في الجولان جنوب غرب دمشق.

❁ ثورة الزعيم إبراهيم هنانو

وهو من بلدة كفر تخاريم في حلب جبل الزاوية، انتخب عضوا في المؤتمر السوري سنة ١٩١٩ أعلن الثورة على الفرنسيين الذين احتلوا المنطقة الغربية من سوريا، تركزت أعماله الحربية في جبل الزاوية وما حوله وقد ألحق بالفرنسيين هزائم متعددة. أنفق الكثير من أمواله على شراء السلاح والذخيرة، آزره من حلب فاتح المرعُي، طاهر الرفاعي وسعد الله الجابري وغيرهم. بعد معركة ميسلون والتفاهم التركي الفرنسي اضطر هنانو للرحيل إلى الأردن عن طريق جبل العرب "سلطان باشا الأطرش وعلي عبيد". وقد قبض عليه الانكليز وسلموه للفرنسيين الذين حاكموه وكانت محاكمته تاريخية انتهت بإعلان براءته وإطلاق سراحه سنة ١٩٢٨. وكانت الحكومة العربية بدمشق تغذي هذه الثورات المسلحة وتمدها

بالأسلحة والعتاد والمال وأحياناً بضباط يعملون معها بأسماء مستعارة هدفها إظهار مقاومة الشعب العربي في سوريا لمحاولة استعمار بلاده وتقسيمها غنائم حرب وإرهاب المستعمرين أنفسهم بتكبيدهم الخسائر الفادحة.

❁ ثورة الفرات ودير الزور

يضاف إلى ذلك الثورة التي نشبت في الفرات الأعلى ومنطقة دير الزور، لعب فيها رمضان شلاش من شيوخ عشائر الفرات دوراً كبيراً. أرغمت الانكليز على الجلاء عن لواء دير الزور وضمه إلى سوريا. وقد عمت وادي الفرات كله حتى جنوب العراق.

❁ الدماء تسيل في حوران

غادر الملك فيصل وبعض الأحرار السوريين دمشق إلى فلسطين وشرقي الأردن بطريق حوران مما أثار نفوس الحورانيين فقاموا بمظاهرات مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي لم تهدئ من شدتها المنشورات التي ألقتها الطائرات الفرنسية على حوران وما فيها من إنذار وتهديد. مما اضطر الفرنسيين إلى إرسال بعض أعضاء الحكومة التي ألفوها بدمشق بالقطار لتهدئة الوضع. وعند وصول القطار إلى محطة خربة غزالة هاجمته الجموع المحتشدة بالرصاص فقتلت علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء والوزير عبد الرحمن اليوسف ونجا الوزير عطا الأيوبي من القتل عندما أنقذه أحد أصدقائه من حوران. وجرَّ المتظاهرون جثة الوزيرين في أرض المحطة. فاندثرت الوزارة التي ألفها الفرنسيون بعد دخولهم إلى دمشق وتمرغت سمعة فرنسا بالوحل. فأرسلت جيشاً كبيراً اشتبك معه الحورانيون في عدة معارك دامية كبيرة كبدوه فيها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، خاصة في المعركة الكبيرة التي وقعت قرب نبع الكتيبة. حتى تغلب عليهم الجيش أخيراً بالكثرة والأسلحة الحديثة الفتاكة فخضعوا مكرهين يترقبون الفرصة السانحة للانقضاض والثأر.

وهكذا لم ينس الشعب العربي في سوريا قضيته على الرغم من خمود الثورات أمام القوة الكبيرة والأسلحة الحديثة. واستمرت مقاومة الاحتلال تظهر في ثورات وانتفاضات محلية ما تكاد تخمد واحدة حتى تشتعل أخرى . ففي الكتاب الذهبي

لجيوش الشرق الفرنسي اعتراف صريح بنشوب العديد من الثورات المسلحة في سويا من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣٦ مع ذكر الكثير من الخسائر. وفي الكتاب إشارة إلى ثورة عشيرة الموالي في أطراف حماه وحتى معرة النعمان، وإشارة لثورة بدوية أخرى في الفرات ومعارك كبيرة سجل فيها الجيش الفرنسي الكثير من الخسائر. وقد ورد بمذكرات الجنرال ويغان أن الثورات السورية المسلحة في عهده زادت على ثلاثمائة ثورة بين كبيرة وصغيرة وتمرد وعصيان.

د ـ زعزعة غورو في الجولان

أما الجنرال غورو[1] الذي احتلت قواته سوريا الداخلية وقوض معالم استقلالها وسرح جيشها فكان اول عمل له قام به أن سار بموكبه إلى قبر البطل صلاح الدين الأيوبي بجوار الجامع الأموي بدمشق وطرق بسيفه على صفائح القبر وقال:

"ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين" إشارة إلى الجيوش الصليبية التي هزمها السلطان صلاح الدين، وقد هز أعماقه المجاهد أحمد مريود بالحادث التالي:

ـ كان الثائر أحمد مريود من جباتا الخشب قضاء قطنا قد لجأ مع أحرار سويا إلى شرقي الأردن في أعقاب الاحتلال الفرنسي ودخول قوات الجنرال غورو المتهور المغرور دمشق. وقد أقام في قرية كفرسوم قضاء إربد القريبة من الحدود السورية.

جاءه رسول في حزيران سنة ١٩٢١ يخبره أن محمود باشا الفعور رئيس عشيرة الفضل سيقيم مأدبة غداء للجنرال غورو في قرية واسط من أعمال قضاء القنيطرة، عندما كان الجنرال برحلة تفتيشية بمنطقة القنيطرة.

وفي صباح ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ كمن رجال أحمد مريود بلباس الدرك في منعطف على طريق القنيطرة ـ دمشق قرب خان أرينبة ـ وعند وصول موكب الجنرال سار ببطء على المنعطف أمام دورية الدرك الخمسة الذين أمطروه بوابل رصاصهم فجرح وانبطح بأرض السيارة وقتل الضابط المرافق وأخذ الثوار قبعته ظناً أنها للجنرال. وانطلق السائق بقوة سريعة ليجتاز الحاجز يهرب منقذا الجنرال من الموت،

---

[1] **كان الجنرال غورو أعور. أكتع ـ أفصع.**

وقد جرح حقي العظم رئيس دولة دمشق الذي كان جالساً إلى يسار الجنرال بكتفه وفخذه وشفته. واخترقت الرصاصات قوائم الجنرال ونزعت شاراته عن كتفيه لكن ذراع الجنرال وساقه كانتا مبتورتين بحرب الدردنيل إلى جانب فقد إحدى عينيه. فذراعه كانت صناعية كساقه وعينيه لا يؤذيها الرصاص إذا اخترقها. وفر الثوار هاربين دون أن يصابوا بأذى، فاهتزت أركان السلطة الفرنسية حتى باريز بعد هذا الحادث وراحوا كالمجانين يدمرون القرى التي مرت بها العصابة ويملأون السجون بالأبرياء والنساء والأطفال وينكلون بأهلها أبشع تنكيل [1].

---

[1] منير الريس ص١٤٠.

الفصل الثاني

الجبل بعد الثورة العربية الكبرى

من سنة ١٩١٩ ـ ١٩٣٣

أ ـ نشاط السلطة الفرنسية في الجبل

عندما كان الفرنسيون في بيروت يخططون لاحتلال سوريا الداخلية أرسلوا جواسيسهم وعملاءهم لجميع المناطق السورية خاصة الجبل والمحافظات التي تسود فيها العشائر والعشائرية يدعون سراً إلى بيروت المتنفذين في قومهم من زعماء وشيوخ عشائر لمساعدتهم على تنفيذ صك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم مقابل الهدايا والآتاوات والأصفر الرنان الذي راحوا يغدقونه على العملاء بدون حساب، ومن بينهم الكثير من وجهاء الجبل. لذلك زادت المشاورات والمناقشات بين كافة الأقطاب والزعماء في الجبل لتقرير مصير جبلهم في خضم هذه المستجدات على الساحة السياسية فاتفقت أكثر الآراء تقريباً على عقد اتفاقية مع فرنسا تضمن للجبل الحرية في ظل الانتداب إلى جانب حق الجميع في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الدينية مع بقاء أسلحتهم في أيديهم للدفاع ضد عدوان البدو والعشائر المجاورة في البادية ووعرة اللجاة. وأن يكون حاكم الجبل من أبنائه ينتخبونه حسب عاداتهم وتقاليدهم.

وافقت فرنسا على هذه المطالب، ووقع المفوض السامي مع عدد من زعماء الجبل اتفاقية اعترف فيها باستقلال الجبل في ظل حاكم من أبنائه. وأن تراعي فرنسا التقاليد والعادات المختلفة لسكان الجبل.

ثم كانت تصرفات الفرنسيين السيئة ومحاولة فرض سيطرتهم المباشرة بأي شكل ونشطت دعايتهم وتعميماتهم منها:

توثيق:

في ١٩٢٠/١١/٣ عمم القومندان كاترو رئيس البعثة الفرنسية بدمشق على زعماء الجبل وشيوخه الرسالة التالية:

"حين عهدت إلي رئاسة البعثة الأفرنسية بالشام أوعز إلي فخامة المندوب السامي الصديق المخلص للجبل بأن أسعى بقدر جهدي للاهتمام بكل ما يؤول لخير بلادكم وشعبكم . وأبلغني بتأكيد وعده السابق لكم بمنح سكان الجبل الاستقلال الإداري الواسع وجعل جبل الدروز حكومة مستقلة تدير ذاتها بذاتها تحت الانتداب الفرنسي واستعداد الحكومة الفرنسية لتقديم المستشارين والاختصاصين لنهضة الزراعة واستنتاج ثمرة البلاد المدفونة بالوسائل الفنية ، وتوطيد الأمن بواسطة حكومة البلاد المحلية ، وفتح الطرقات وتسهيل المواصلات وإحياء التجارة التي هي حياة البلاد ، ومد الخطوط الحديدية وتقديم ما يلزم من المساعدة المالية اللازمة بواسطة الشركات الأفرنسية الفنية.

وإن الشعب الفرنسي هو من أشد الشعوب في المحافظة على التقاليد الشعبية واحترام الأديان والمذاهب وعادات البلاد ، ودليلي على ذلك هو أن جعلنا لكم اختيار مصيركم وإبداء مطالبكم بكل حرية تامة حسب موافقة الرأي العام علانية على رؤوس الأشهاد ، وأني أتأمل بفضل الزعماء والرؤساء أو المشايخ أن تنبذوا من بينكم كل من يرغب التفريق والشقاق.

ب ـ مقررات اجتماع السويداء سنة ١٩٢٠

واضح أن السلطة الفرنسية بهذه الرسالة تحاول أن توهم المؤيدين بسياسة جديدة تنوي اتباعها ، كما أنها تدعو لنبذ المعارضين ومحاربتهم (مذكرات).

بناء على ذلك كثرت اللقاءات والاجتماعات في قرى الجبل حتى كان آخرها في مدينة السويداء بتاريخ ١٩٢٠/١٢/٢٠ تقرر فيه المطالبة رسمياً باستقلال الجبل في ظل الانتداب الفرنسي، فتشكل وفد برئاسة الشيخ محمود أبو فخر مهمته الاتصال بالبعثة الفرنسية بدمشق والتفاوض معها بشأن صورة برنامج الاستقلال الذي اتفق عليه في الاجتماع الأخير في السويداء.

وهذه أهم بنوده: كما ذكرها حنَّا أبو راشد "جبل الدروز ١٦٥"

١ـ حكومة جبل الدروز هي حكومة شورية مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً.

٢ـ تقبل حكومة جبل الدروز الانتداب الفرنساوي بشكل لا يمس استقلالها.

٣ـ تسمى هذه الحكومة مشيخة جبل حوران ويدخل ضمنها كامل وعرة اللجاة والصفاه وتمتد حتى حدود الدير علي من الجهة الشمالية وحدود الأزرق من الجهة الجنوبية.

٤ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي ينتخبه الأهالي وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير يُنتخب أعضاؤه وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات.

٥ـ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل عدد أعضائه عن الثلاثين عضواً.

٦ـ تعين وتحدد صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم أهل البلاد بجمعية عامة.

٧ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج إليه من المساعدة الفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة.

٨ـ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية ولا تجنيد أهالي حوران ولا نزع سلاحهم.

٩ـ مشايخ العقل منصبون لمدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية أو المنتدبة المداخلة بوظائفهم الدينية بالإضافة لبعض مواد تحدد الواردات والنفقات وبعض الصلاحيات.

وبعد أن تعرضت صورة هذا البرنامج لكثير من التعديل والتبديل بدمشق صدرت بصياغة جديدة عرفت بالنظام الأساسي لاستقلال الجبل أو اتفاقية "أبو فخر دي كاي" وقد وقعها أيضاً خمسة عشر وجيهاً من وجهاء الجبل بدمشق. وقد وردت بالحرف بكتاب البعيني ص ٤١٩ ـ وحنَّا أبي راشد ص ١٦٨.

جـ ـ النظام الأساسي لاستقلال جبل الدروز سنة ١٩٢١

نسخة طبق الأصل للنظام الأساسي الذي تم الاتفاق عليه في ٤ مارس سنة ١٩٢١ بين زعماء جبل الدروز والمسيو "روبيردي كاي" بالوكالة عن الجنرال غورو المندوب السامي الفرنساوي.

صورة فوتوغرافية للنص الأصلي الموضوع بالعربية قبل أن يسلم الأصل إلى الجنرال ساراي في دمشق حيث قال: "هذه الاتفاقية هي حبر على ورق" في ٧ إبريل سنة ١٩٢٥.

❀ بند ١ـ تتشكل في جبل دروز حوران حكومة وطنية مستقلة، استقلالاً إدارياً واسعاً، تحت الانتداب الفرنسي، إنما حدود هذه الحكومة الجديدة تعينها لجنة، ثم تقررها الدولة المنتدبة.

❀ بند ٢ـ تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من أبناء البلاد، ويكون طراز إدارتها منطبقاً على العوائد المحلية، وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين إفرنسيين، يقيمون لدى الحكومة الوطنية، لأجل تدريبها بالأمور القانونية والإدارية، ويكون مرجعهم رئيس البعثة الفرنسية في الشام. أما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن بينما يتم الاتفاق عليه مع المندوب السامي.

❀ بند ٣ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي يصير انتخابه بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة أربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد. ولا يصبح انتخابه نهائياً إلا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه.

❀ بند ٤ـ يساعد الحاكم بمهماته مجلسان. يدعى الأول مجلس الحكومة والثاني اللجنة الإدارية، ينتخب مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلو الأمة الشرعيون وفقاً لقانون خاص فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة، لأجل تدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على حسابات السنة الماضية، ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة.

❀ بند ٥ـ سينظم قانون خاص يعين وظائف الحاكم وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الإدارية.

❁ بنـد ٦ـ الحكومـة المنتدبـة وحـدها دون سـواها تقـدم لحكومـة جبـل الـدروز المساعدات الفنية والإدارية.

❁ بنـد ٧ـ تتعهـد الحكومـة المنتدبـة باسـتثناء سـكان جبـل الـدروز مـن الخدمـة العسـكرية الإجباريـة.... أمـا قـوات الـدرك والـشرطة اللازمـة لحفـظ النظـام العمـومي فيـصير تـشكيلها بطريقـة التطـوع...... ويـسمح لـسكان الجبـل بإبقـاء الأسـلحة بـين أيديهم داخل حدود الحكومة الدرزية.

❁ بنـد ٨ـ الحكومـة المنتدبـة هـي المولجـة لوحـدها بمـصالح الحكومـة الدرزيـة وتمثيلها في الخارج.

❁ بنـد ٩ـ تتعهـد الحكومـة المنتدبـة بعـدم إجبـار حكومـة جبـل الـدروز بـالوحـدة المحتمل حصولها بين البلاد السورية إلا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية.

❁ بند ١٠ـ مـصادر الإيـرادات: الـضرائب والرسـوم المختلفـة الـتي يفرضـها مجلس الحكومة ولا يصير دفع أعشار.

❁ بند ١١ـ لا تصبح ميزانية حكومة جبل الدروز نافذة إلا بعـد مـصادقة المندوب السامي عليها.

❁ بنـد ١٢ـ لا تقـام حـواجز جمركيـة بـين حكومـة الجبـل وحكومـة منطقـة دمشق.

❁ بند ١٣ـ يمكن لمجلس الحكومة أن ينظر بصلاحية الحاكم ووظائفه وتتخذ الدولة المنتدبة قراراً بهذا الشأن.

❁ بنـد ١٤ـ إن الحكومـة المنتدبـة ومجلـس حكومـة الجبـل واللجنـة الإداريـة لا تتدخل على الإطلاق بالأمور الدينية.

❁ بند ١٥ـ تتعهد الدولة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بحفظ حقوق الأقليات داخل حكومة الجبل هـذه، فضل الله هنيـدي"ختم" ، نـسيب الأطـرش"ختم" ، سـليم الأطـرش "خـتم"، توفيـق أبـو عـساف "خـتم" ، عقلـة القطـامي "خـتم"، قفطـان عـزام "ختم"، فخر الدين الشعراني "ختم"، مسعود غـانم "ختم"، جبر شلغين "ختم"، نـايف

أبو فخر "ختم". روبير ديكية "ختم المفوضية"، محمود أبو فخر بالأصالة والنيابة عن المشايخ الرُّوحانيين "ختم محمود أبو فخر".

شوهد من قبل روبرت ديكيه ٤ آذار سنة ١٩٢١.

APProuve .P.I.Robert Decaix ٤ / Mars /١٩٢١

د ـ حكومة جبل الدروز[1]

ابتدأ الحكم النظامي في الجبل يوم أعلنت دولة الانتداب استقلاله الإداري في ٥ نيسان سنة ١٩٢١.

وفي العشرين منه تم الاتفاق على الأمير سليم لتشكيل الحكومة وانتخب توفيق الأطرش قائداً للدرك ووديع تلحوق مديراً للمخابرات، و٢٥٠ نفراً من الدرك و٥٠ رجلاً برئاسة حسني صخر ومحمد كيوان، ثم قبل نهاية عام ١٩٢١ تمت تسمية ١٣ضابطاً و١٣ مديراً للنواحي.

وتألفت حكومة الجبل من المديريات التالية:

الملكية:

مؤلفة من مديرية الداخلية وقائم مقامتين ومديريات نواحي مديرها توفيق بيك الأطرش والقائم مقامان: طلال باشا عامر شهبا وفهد بيك الأطرش صلخد.

العدلية:

مديرها محمد بيك الحلبي. ومحكمة استئناف رئيسها منصور بيك عبد الصمد. وثلاث محاكم صلحية: علي بيك عبيد في السويداء، وصياح بيك الأطرش في صلخد، وحسين بيك الحلبي في شهبا.

المعارف:

مديرها السيد النجار يتبعها عشرون مدرسة منها مدرسة عليا في سنتها الأولى.

---

[1] **ورد هذا التوزيع في كتاب البعيني ص٤٢١ وأيدته المذكرات ح ٤.**

المالية:

مديرها السيد صادق الترزي.

الدرك:

قائده السيد حسني صخر ورؤساء سرايا نايف وإبراهيم الأطرش وفوزي الحلبي.

النفوس:

مديرها جاد الله بيك الأطرش.

المخابرات:

مدير قلمها السيد نجم الفقيه.

المعتمدية:

للجبل معتمد بدمشق هو نسيب بيك الأطرش.

الشرعية:

قاضي المذهب الذي يتقاضى من الحكومة راتبه هو الشيخ محمود أبو فخر.

نواحي حكومة جبل الدروز ومديروها وضباطها[1]

اسم الناحية	مديرها	ضابطها
عرى	هلال درويش	نصر الدين صلاح
القريا	صياح الحمود الأطرش	فرحان العبد الله
صلخد	جاد الله الأطرش	حمد الأطرش
ملح	فضل الله النجم الأطرش	هلال أبو مغضب
سالة	سليمان نصار	عبد الكريم سلام
المجدل	سلمان هنيدي	مصطفى الشعراني
نجران	خليل أبو فخر	إبراهيم نصر
عاهرة	حمد عزام	نسيب القنطار
وادي اللوى	شبلي عز الدين	سليم الحلبي
الهيت	جميل عامر	مهاوش عامر
شهبا	سلمان عامر	جبر شلغين
نمرة	سلمان القلعاني	حمود الصحناوي

[1] ورد هذا التوزيع في كتاب البعيني ص٤٢١ وأيدته المذكرات ح ٤.

الفصل الثالث

ثورة سلطان الأولى سنة ١٩٣٣

أ ـ أدهم خنجر والاصطدام الأول في الأصلحة

بالرغم من سيطرة السلطة الفرنسية على حكومة الجبل المحلية بضباطها ومخابراتها الذين عينتهم ـ في السويداء ـ "ترانكا ـ كارابيه" موريل ـ في صلخد "ماكينيه" ـ وفي شهبا "فيرنييه" ـ بقيت تتعمد إثارة المشاكل ووضع العراقيل في وجه هذه الحكومة المحلية لإظهار عجزها وإلغاء دورها لتصل لإقامة حكم فرنسي مباشر وبسط نفوذها الشامل على الجبل مما أثار غضب الأهالي فتشكلت معارضة قوية حتى من بعض عناصر الحكومة تعمل على مقاومة هذه السلطة بعد أن أخذت تتدخل بكل كبيرة وصغيرة[١].

بينما كان سلطان الأطرش يقوم بجولة على قرى المقرن الجنوبي أخبره شكيب وهاب في أم الرمان أن أدهم خنجر جاء إلى بيته في القريّا مستجيراً من مطاردة الفرنسيين ....!!

فخف عائداً من أم الرمان ليجد أن السلطة الفرنسية اعتقلت أدهم خنجر وهو يهمُّ بالنزول أمام البيت وساقته مخفوراً إلى السويداء وكان قد ترك رسالة لسلطان الأطرش يخبره فيها أنه جاء إلى بيته مستجيراً وحياته مهددة بالخطر لذلك يستحثه على إنقاذه قبل فوات الأوان.

أوفد سلطان الأطرش فوراً أخاه علي لمقابلة "ترانكا" كما بعث برسالة إلى سليم الأطرش رئيس الحكومة بدمشق وإلى عمه فارس النائب يخبرهم فيها أن الفرنسيين تجاوزوا حدودهم واستهانوا بعادات الجبل وتقاليده حين ألقوا القبض على

---

[١] هذه المعلومات مأخوذة من مذكرات سلطان الأطرش الحلقة ٢ حيث يذكر أن رئيس الحكومة سليم الأطرش وبعض النواب اتصلوا معه يشكون أعمال السلطة الفرنسية ويطلبون التفاهم لاتخاذ مواقف موحدة منها.

رجل استجار في بيته واحتمى بداره. وطلب التدخل لإقناع السلطة الفرنسية بإخلاء سبيل ضيفه فوراً وإلا تدبر أمر إنقاذه بطرقه الخاصة...!!

كانت إجابة "ترانكا" تتضمن كل معاني الإثارة والتحدي حيث قال للسيد علي:

إن الرجل في القلعة ليأتِ أخوك ويأخذه ....!! أنتم عندكم المحافظة على الضيف وعند الجند المحافظة على الجاني...!!

أجابه النائب فارس الأطرش أن أدهم أمام سلطة القانون ولم يعد لأحد الحماية إلاّ به.

برقية سلطان الأطرش للمفوض السامي في بيروت:

"إن السلطة الفرنسية عندنا لم تراعِ البند القائل أن فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا، أطلب من عدلكم التدخل لأن "ترانكا" يصر على موقفه الخاطئ. الضيف قاصد ليطلب مني أن أتوسط له وأطلب العفو من فخامتكم[1]".

لم يصل أي جواب لهذه البرقية، يلاحظ أن سلطان الأطرش استنفذ جميع الوسائل السلمية لإنقاذ ضيفه بالطرق الحكيمة والسلطة الفرنسية أخذت تتحدّى.

وبعدها جمع سلطان أهالي القريا وتدارسوا الموضوع من جميع جوانبه فثارت ثائرتهم وهبوا لإنقاذ ضيفهم بحماسة منقطعة النظير.

وقد ورد في مذكرات سلطان الأطرش أن الأمور سارت كما يلي:

- إرسال المفازيع إلى القرى المجاورة والجموع تزحف لتطويق السويداء مع البيارق والأهازيج مع فرسان عشيرة السردية بقيادة خلف الكليب.
- تكليف مصطفى الأطرش وخيالته بمراقبة طريق السويداء الثعلة النافذة على درعا.
- تمركز القيادة في بيت نجم عز الدين في الثعلة.

---

[1] **مذكرات حلقة ٢.**

ـ برقية من سلطان الأطرش إلى الأمير سليم للتدخل وإنقاذ الموقف.

ـ تدخل شيوخ العقل و"المشايخ أحمد الهجري ـ حسن جربوع ـ علي الحناوي" والشيخ محمود أبو فخر قاضي المذهب. تدخلوا مع سلطان الأطرش ليكف عن استعمال القوة في قضية أدهم خنجر ويتركها للقضاء . فلم يوافق...!!

معركة الأصلحة في ٢٢٢ تموز سنة ١٩٢٢

بينما كان سلطان الأطرش في بيت ظاهر القنطار بكناكر سُمعت طلقات الرشاشات والبنادق..!! فأسرعوا لمكان الحادث في الأصلحة قرب تل الحديد فإذا المعركة دائرة بين مصطفى الأطرش وخيالته من جهة وثلاث مصفحات قدمت من درعا لنقل الضيف السجين إلى دمشق من جهةً ثانية. فاستولى المجاهدون على مصفحتين وهربت الثالثة باتجاه درعا[1] قُتل ثلاث جنود والضابط بوكسين **Bouxin**، وأسر أربعة جنود. كما أصيب الأمير علي بجرح بليغ عند الإنقضاض مع رفاقه على المصفحات والوثوب عليها من على صهوات جيادهم.

وقد وصف الشاعر رشيد سليم الخوري حادثة الهجوم الصاعق على المصفحات بقصيدة طويلة جاء فيها:

خففتَ لنجدة العاني سريعا ... غضوباً لو رآك الليث ريعا

وحولك من بني معروف جمعٌ ... بهم وبدونهم تفني الجموعا

كأنك قائدٌ منهم هضاباً ... تبعن إلى الوغى جبلاً منيعا

اتخذتهم لدى الجلّى سيوفاً ... لها لعن الفرنسيُّ الدروعا

ألم يلبس عداك التنك درعاً ... فسلهم هل وقى لهم ضلوعا

فلما صرت من مهج الأعادي ... بحيث تذيقها السم النقيعا

---

[1] مذكرات حلقة ٥.

وثبـــــت إلى ســـــنام التنـــك وثبـــــاً	**عجيبـا علـم النـسر الوقوعـا**
فخــــرَّ الجنـــد فـــوق التنـــك صـــرعى	**وخـــرَّ التنــك تحــتهم صــريعا**
فيالــــــكِ غــــــارة لـــــو لم يـــــذعها	**أعادينــــا لكــــذّبنا المـــذيعا**
ويالـــــك أطرشـــــاً لمـــــا دعينـــــا	**لثــأر كــان اسمعنــا جميعــا**
فتــــى الهيجـــــاء لا تعتــــب علينـــــا	**وأحــسن عـذرنا تحـسن صـنيعا**
إذا مــــا شـــئت رفـــع الـــضيم فأضـــرب	**بـسيف محمــدٍ وأهجـر يـسوعا**

وبعد تدمير المصفحتين وصل إلى ميدان المعركة أعضاء المجلس النيابي وسليم ونسيب الأطرش من دمشق وتم الاتفاق بعد نقاش حاد على ما يلي:

١ـ فك الحصار عن السويداء وإبعاد القوات المرابطة حولها.

٢ـ تسليم الأسرى الأربعة.

٣ـ ترك قضية أدهم خنجر ليعالجها الوفد بجو هادئ وودّي.

٤ـ تعهد الوفد بتسليم أدهم خنجر للمجاهدين سالماً في اقرب فرصة ممكنة[١].

جـ- سلطان الأطرش في الأردن

دخل الثوار إلى الأردن ونزلوا في خربة رحاب بديار بني حسن فاستقبلتهم العشائر الأردنية بالترحاب خاصة حديثه الخريشا ومثقال الفايز وطراد بن زبن من شيوخ بني صخر الذين كانوا قد ارتبطوا معهم بصداقة حميمة من أيام الثورة العربية ورحبت بهم الحكومة الأردنية.. إلا إن الإنكليز لم يكونوا راضين عن وجودهم في الأردن وقد حاولوا إخراجهم وتسليمهم للفرنسيين لولا تدخل الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وشيوخ العشائر[٢].

---

[١] مذكرات حلقة ٥.

[٢] مذكرات حلقة ٥.

توصيف معركة برد ـ ومعركة سمج

د ـ معركة برد

علم الثوار بأن السلطة الفرنسية ترسل قواتها إلى القريا وبرد وأم الرمان لمصادرة محاصيلهم ونهب مواشيهم. فقرروا القيام بجولة استطلاع للتحقق بأنفسهم:

يذكر سلطان الأطرش في مذكراته أن مرافقيه في هذه الجولة هم "حمد البربور ـ خلف الكليب السردي ـ فارس مفرج ـ مصطفى الخليلي من درعا ـ محمد البربور وولده جاد الله ـ نصار ورشيد البربور ـ وغيرهم"[١].

ويضيف وصلنا برد صباح ٧ آب سنة ١٩٢٢ ، أخفينا الخيل في الدار وكمنا قرب البيدر. حلَّقت فوقنا الطائرات الفرنسية لكنها لم تكتشفنا ، أوعزت الطائرات للقوات بالتقدم من بصرى نحو برد.." كوكبة من الفرسان وعدة شاحنات ناقلة للجنود". وعندما اقتربت من برد أمطرناها بوابل من رصاص بنادقنا فتراجعت تاركة وراءها عدداً من القتلى والجرحى ـ وفقدنا فرسين وأصيب أخي علي بجرح بليغ..!!

هـ معركة سمج

حاول الفرنسيون القبض على الثوار بمؤامرة فدعوهم للتفاهم في سمج. لكن الثوار قبل دخول سمج كمنوا بمضارب المساعيد عند عواد السرور "الشيخ" وناموا حتى يجدوا في صباح اليوم التالي قرية سمج مطوقة بالجند وهكذا أفلتوا من المؤامرة. وتقدموا ليكمنوا في دير الخريبة على الطريق بين سمج وبصرى، وبعد قليل كانت القوة الفرنسية تعود من سمج تسوق مواشيهم وأبقارهم التي صادرتها من سمج. وعندما أصبحوا في متناول اليد أمطرهم الثوار بوابل غزير من الرصاص وشردت جميع الأبقار والمواشي. لكن فريقاً من الجند تمركز على رشاش كبير "هوشكيس" يصلي الثوار ناراً حامية فشد أزر الجنود وعادوا يقاتلون بضراوة، عندئذٍ تناخى الثوار[٢] وهجموا منقضين على الجنود مع صيحاتهم المرعبة بالسلاح الأبيض فشتتوهم واستولوا على الرشاش والأبقار والمواشي واثني عشر بغلاً محملة

---

[١] مذكرات حلقة ٥

[٢] تناخى الثوار: أي حمَّس بعضهم بعضا.

بالسلاح والذخيرة وفر الجنود تاركين عدداً من القتلى والجرحى بأرض المعركة. وعاد الثوار إلى سمج ليسوقوا كافة مواشيهم إلى الأردن.

أما محمد البربور فيصف المعركة بقوله:

في غفلتنا ركب سلطان فرسه الصفراء وهجم على الجنود شاهراً سيفه فردهم عن البقر وساقه نحونا دون أن يصاب بأذى وقد كان انتصارنا عليهم فريداً من نوعه.

تسعة رجال يفتكون بقوة يزيد عددها على مائة جندي ويشتتونها تاركة قتلاها وجرحاها في الميدان وتتخلى عما سلبته من الأبقار والمواشي والبغال دون أن يصاب أحدٌ منا بأذى.

أما حسني صخر الذي حدث فيما بعد عن المعركة فقال:

لقد وصلت إلى مكان الحادث وعرفت أن الحملة الفرنسية كانت تعتقد أن المجاهدين في سمج وكان عدد قتلاها تسعة جنود وأكثر من عشرين جريحاً وقد فقدت الحملة أربعة عشرة بغلاً محملة بالأسلحة والذخيرة والتموين.

عاد ا لثوار بعد ذلك فرحين بنشوة النصر يردد بعضهم أغاني الهجيني والبعض الآخر حداء الفرسان" غناني الخيل" حتى وصلوا في الهزيع الثاني من الليل إلى منازلهم في رحاب[1]. كما كانوا يرددون الأغاني التي انتشرت في الجبل بعد مغادرتهم إلى الأردن:

سلطان وربعوا نصون بلاد الأجناب	**من بعدهم خربت قصور العماير**
يا مصطفى يشبهٍ لفرخ العقاب	**يلكد عالمدرعة والمدفع ثاير**
يا باشا ويا للي لدم العدا شراب	**يا مشبع الطير من لحم العساكر**

---

[1] **مذكرات حلقة ٥.**

يعلق سلطان الأطرش بمذكراته على نتائج هذه المعركة بما يلي:

لم تلبث أخبار اصطدامنا مع الفرنسيين أن انتشرت بين عشائر الأردن. فجاءت وفود عديدة لتهنئتنا والسلام علينا غير أن بعضهم لم يخفِ عنا قلقه من مؤامرة "إنكليزية ـ فرنسية" قد تدبر ضدنا للتخلص منا وإخماد ثورتنا. ولما تداولنا بهذا الموضوع مع الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وحديثه الخريشا وغيرهم من أحرار العرب في الأردن فأشاروا علينا بالتزام الهدوء وعدم القيام بغارات أخرى على الفرنسيين في الجبل لا لأنهم على وفاق مع الإنكليز في كل ما يتعلق بنظام الانتداب وبشؤون الأمن على الحدود الخاصة. حتى أنني سمعت من عطيوي المجالي ومثقال الفايز وحديثه الخريشا أن الأمير عبد الله كان يتصل بهم وبغيرهم من شيوخ القبائل ويحثهم على طلب الاستقلال الناجز ويقول لهم بحرارة:

"إنني لا أستطيع مقاومة الإنكليز إلا بكم، وقد نكثوا كما تعلمون، بالعهود التي قطعوها لوالدي، وإنني أخشى على نفسي من غدرهم....."

وإن أقواله هذه كانت تصل إلى الإنكليز فيتشددون بمراقبته ويتدخلون بشؤون الحكم بإماراته، ويعملون على إبعاد المخلصين عنه والتضييق على أحرار العرب الذين لجأوا إلى بلاده[1].

و ـ المصالحة والعودة من الأردن ٥/نيسان/١٩٢٩

دُهشت السلطات الفرنسية العليا في دمشق وبيروت من هذه الغارة الأخيرة وارتعدت فرائص الجميع، فحركوا مساعي الصلح من جديد حيث قام عدد من أعيان الجبل وشيوخه بمساعٍ صلحية أدّت لعودة سلطان ورفاقه إلى الجبل يوم عيد الاستقلال في الخامس من نيسان سنة ١٩٢٣ حيث دخلوا إلى ساحة الاحتفال بالسويداء وفيها الضباط الكبار "ترانكا وشوفلر" مع الأهازيج الشعبية وزغردة النساء والشباب، رافعين رؤوسهم فخورين بنضالهم في سبيل الحرية والاستقلال، مما أزعج الفرنسيين، وجاء دليلاً على أن هؤلاء الثوار قد أصبحوا أبطال التحرير

---

[1] **نفس المصدر السابق حلقة ٥.**

بنظر أبناء الجبل والعشائر البدوية والعربية. كما تعالت أصوات التحدي للسلطة الفرنسية من حناجر الجماهير التي كانت تردد مثل هذه الأغنية:

زلّـــــوا عــــــن الــــــدرب زلّـــــوا لتمـــــــرق خيـــــــل التحريـــــــر

مـــــا منتنـــــازل عـــــن وطنـــــا واللـــــي بـــــدو يـــــصير يـــــصير

"وقـد زار سـلطان الأطـرش بعـد ذلـك في القريـا حقـي العظـم حـاكم دمـشق والجنرال كاترو الذي عرض عليه ألف ليرة ذهبية تعويضاً عن داره المهدّمة، فأبى استلام المبلغ بعزة وأنفة قائلاً: إن داراً تعجز عن حماية ضيوفها ليست جديرة بأن تظل قائمة[1]".

كذلك الكابتن كاربييه في كتابه "وقائع شاهدتها وعشتها" المطبوع سنة ١٩٢٦ يذكر ما يلي:

لقد جئت إلى الحكم في الجبل "نائب الحاكم" سنة ١٩٢٣. فوجدت من واجبي أن أقوي الصلات مع الجميع خاصة المعارضة وعلى رأسها سلطان الأطرش الذي كان قد قتل لنا الضابط بوكسين وبعض الجنود في حادث الأصلحة، فقمت بزيارة شهبا ثم صلخد والأمير علي في متان حتى وصلت إلى القريا، فقادني زيد وعلي أخوة سلطان إلى بيت الشعر الذي كان يقيم فيه خارج القريا - " في دفن[2] " - وبعد العشاء والاستقرار آخر الليل في جلسة انفراد مع سلطان، قلت له لا يجوز أن تبقى في بيت الشعر هذا لذلك سنعمر لك الدار وندعمك حتى تعود لتعيش فيها بالقريا، فأجابني سلطان قائلاً:

"دار لا تحمي دخيلها ليست جديرة بأن تعمر فلا أريد ذلك....!!"

---

[1] **الدكتور البعيني عن روز اليسف العدد ١٨ تاريخ ٣آذار سنة ١٩٢٦.**

[2] **المؤلف.**

وهذه المقاطع من قصيدة طويلة لنجم العباس قالها عندما جاء يسلم على سلطان بعد عودته من الأردن. القصيدة من نوع مخمس مردوف يتجلى فيها فن البديع في الأدب مما لم يأتِ به أفحل الشعراء ونترك للقارئ تفسير المعاني:

أبـــديت بـــنظم القـــوافي المعـــي ببيـــوت تطـــرب كـــل عـــارف المعـــي

مـــا قـــال شـــبلي في بيوتـــو والمعـــي عـــسراً علـــى الـــشعار قـــافي لـــو انقـــرا

مـــن حـــد تـــونس للجزائـــر لانقـــرا مـــن كـــل فـــرد لـــوذعي مـــدّعي

مـــن بعـــد ذا يـــا راكـــب اللـــي عـــالمنى تـــشدي نـــواعير المرســـى عالمينـــا

فوقـــه غـــلام اللـــي يـــورد علمنـــا لـــدار القريـــا ســـريعاً بـــشرا

بقـــدوم هـــاليبغوا المنايـــا بالـــشرا طـــوبى لـــكِ حيثـــك قـــساور تجمعـــي

ســـلطان ركـــن بلادنـــا قبـــل وبعـــد هجـــرو ضـــنا لفؤادنـــا لمـــا بعـــد

مـــن قبـــل دور أجـــدادنا واحكـــوا بعـــد مـــا علّمـــوا حـــراً فقـــع مثلـــه تـــرى

مـــا قـــول أنـــا وحـــدي تـــرى كلـــه تـــرى اسمـــو عجـــسموا خالطولمـــا وعـــي

* * * * *

الباب الخامس

بدء الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥

الفصل الأول

الأسباب المباشرة ومعركة الكفر

أ ـ الأسباب المباشرة

توطئة

بعد اجتياح الحلفاء لبلاد الشام أدرك جميع الأحرار الحاجة الماسة لهيئة تنظم الكفاح من أجل الحرية والاستقلال، فدعى حزب الاتحاد السوري برئاسة عميده الجليل ميشيل لطف الله جميع العناصر السياسية والأحزاب والجماعات لعقد مؤتمر في جنيف منذ مطلع سنة ١٩٢١م وقد عقد هذا المؤتمر في أيلول سنة ١٩٢٢م وأصدر بياناً مسهباً عن القضية السورية وزعه على أعضاء جمعية الأمم مفاده طلب استقلال البلاد وسيادتها القومية وممارستها جميع الحقوق السياسية وكان ختامه المواد الخمسة التالية[١]:

١ـ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسوريا ولبنان وفلسطين.

٢ـ الحق لهذه البلاد بأن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب.

٣ـ إعلان إلغاء الانتداب حالاً.

٤ـ جلاء الجنود الفرنسيين والإنكليز عن سوريا ولبنان وفلسطين.

٥ـ إلغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين.

وفد تشكلت لجنة تنفيذية من أعضاء المؤتمر لمتابعة وملاحقة القضية العربية السورية لدى جامعة الأمم المتحدة والمحافل الدولية. وقد ذهب وفد من اللجنة إلى مؤتمر لوزان لجمعية الأمم المتحدة من أعضائه الأمير شكيب أرسلان وسعد الله الجابري وسليمان كنعان وطلب السماح ببسط القضية رسمياً أمام المؤتمر في ٢٣

---

[١] محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية ص١١٥.

نوفمبر سنة ١٩٢٣م وبما أنه لم يسمح له بالدخول إلى قاعات المؤتمر اغتنم الاجتماع السنوي المعتاد لجمعية الأمم في أيلول سنة ١٩٢٣م وقدم فيه الوفد بياناً في القضية السورية العربية كما فعل مثل ذلك سنة ١٩٢٤م وكان يلاحق القضية في كل المحافل الدولية.

وفي نهاية عام ١٩٢٤م وصل إلى بيروت الجنرال ساراي مفوضاً سامياً بدلاً من الجنرال ويغان، وكان يقال إنه رجل علماني ضد الأكليروس وقد ألغى الأحكام العرفية في لبنان التي فرضت عليه منذ سنة ١٩٢٠م وأصدر عفوه عن خمسين محكوماً من لدن المحاكم العسكرية الفرنسية، وأصدر بلاغاً قال فيه إنه مستعد لسماع الشكاوى من أي كان وإجابة المطاليب. لذلك تألف وفد من الوطنيين بدمشق وسار إلى بيروت فقابل المفوض السامي في ١٧كانون الثاني سنة ١٩٢٥.

وقدم له مظبطة تحمل تواقيع عديدة وتطالب بما يلي[1]:

١ـ أن تكون البلاد السورية بحدودها الطبيعية التي كانت عليها قبل الحرب العالمية بما فيها بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الإسكندرون والأراضي الملحقة بلبنان الصغير وطناً واحداً في اللغة القومية.

٢ـ انتخاب جمعية تأسيسية تضع للبلاد قانونها الأساسي ـ وحل المجالس التمثيلية الحالية.

٣ـ تأييد قاعدة مسؤولية الحكومة أمام البرلمان وإلغاء الإدارة العسكرية ومنع تدخل المستشارين العسكريين.

٤ـ احترام الحرية الشخصية بجميع أنواعها لأنها من الحقوق الطبيعية المقدسة.

٥ـ وضع حد لأعمال الاعتقال والإبعاد بدون محاكم وإصدار عفو عن جميع المحكومين والمبعدين السياسيين، بالإضافة لعدة مواد تطالب بتوحيد القضاء وتوحيد أسعار النقد وتوحيد الأنظمة الإدارية واستخدام أهل البلاد بالوظائف الرسمية.

---

[1] السفرجلاني ص١١٩.

وبعد أن تعرف المندوب إلى رجال الوفد قال لهم: يظهر لي أنكم تمثلون طبقات الشعب المختلفة وأراني سعيداً بالتحدث إليكم.. وعندما دار البحث عن الوحدة أجابهم: إن الوحدة بيدكم فاتحدوا مع بعضكم عليها ثم طالبوني بتطبيقها ـ فأجابوه إن الوفود بأسرها مجتمعة على طلب تحقيقها وإذا أردت أن تتأكد عليك بالاستفتاء. فأعاد قوله لهم: وحدوا الصفوف أولاً وبعد إذٍ لكل حادث حديث.

وجاء إلى بيروت بعد ذلك وفد من حلب برئاسة إحسان الجابري وقدم للمندوب السامي مطالب حلب التي لا تختلف عن مطالب دمشق، ودارت بين الوفد والمفوض السامي مناقشات ردد فيها المندوب قوله بتوحيد الصفوف أيضاً، فعاد الوفد من بيروت واجتمع في طريقه في دمشق إلى رجال السياسة وبحثوا بضرورة توحيد المطالب والمواقف لتحقيق الأهداف.

تلا ذلك في نيسان سنة ١٩٢٥م وصول بلفور صاحب الوعد المشؤوم إلى عاصمة الأمويين فاستشاط الشعب غضباً واستمرت المظاهرات والاحتجاجات حتى غادر البلد بطلب من السلطة التي خشيت غضبة الجماهير ونضالها. وفي أيار كانت زيارة المسيو برونه النائب في الندوة الفرنسية واطلع بنفسه على مطالب الشعب في دمشق وسوريا ونقل ذلك للمراجع الفرنسية بباريز.

كما كان في نفس هذا الشهر أيار سنة ١٩٢٥م وصول وفد من الجبل لإعلان السخط على سياسة الثورة الفرنسية والبحث في الوحدة والاستقلال والتحرير.

وكان الاجتماع الأول مع الوطنيين بدمششق بدار الأستاذ قاسم الهيماني بأوائل أيار سنة ١٩٢٥م[١] حضره الأمير حمد الأطرش وبحثت فيه الثورة وإضرامها[٢]. ثم تلا ذلك اجتماع آخر في منزل الزعيم الشهبندر حضره لفيف من زعماء الجبل منهم: نسيب الأطرش وعقلة القطامي وصياح الأطرش وفؤاد عز الدين الحلبي ونجم عز الدين الحلبي وفضل الله هنيدي. وأسعد مرشد ويوسف العيسمي ومتعب الأطرش.

---

[١] السفرجلاني ص١٢٤.

[٢] كما ورد خبر هذا الاجتماع بمذكرات سلطان الأطرش ج٥.

ويذكر السفرجلاني: أنهم أقسموا عهداً فيما بينهم على العمل لتحقيق الوحدة والاستقلال وتأمين مطالب الشعب ولن يرضوا عن ذلك بديلاً حتى الموت[1].

طلائع الثورة في الجبل

شكلت دولة الدروز بقرار من الجنرال غورو[2] وقد حققت هذه الدولة التي لم يتجاوز عدد سكانها ٥٠ ألفاً لها علماً بخمسة ألوان ومجلساً تمثيلياً يكاد يكون أكثر أعضائه أميين أعيد انتخابه عدة مرات.

توفي الأمير سليم الأطرش في (١٥ أيلول سنة ١٩٢٣) حاكم الجبل. وهو في ذروة شبابه ورجولته، وقيل إن الفرنسيين دسّوا له السم في الطعام ليتخلصوا من عهد قطعوه على أنفسهم "حاكم الجبل من أبنائه"[3].

بدأ بعد ذلك كاربييه يعمل بسلب أبناء الجبل حق تعين الحاكم منهم بالتآمر والدس. وكان الحاكم ينتخب من قبل المجلس الإداري الممثل لمناطق الجبل وعائلاته الكبرى وكانت الزعامة السياسية للأمير حمد الأطرش بدار عرى دار الزعامة ((المتنافسون على منصب الحاكم" عبد الغفار السويداء - متعب رساس - حمد عرى "وكلهم من آل الأطرش)) يقول منير الريس: لما شمَّر كاربييه لسلب منصب الحاكم من أبناء الجبل. أخذ يستدعي كبار آل الأطرش ويقابل كل واحد على انفراد، فيقول لكبيرهم سناً عبد الغفار الأطرش مثلاً:

لماذا يكون حمد الأطرش الشاب الغرّ حاكماً على الجبل!؟. ولا تكون أنت الحاكم العاقل الرزين الذي ترغب فرنسا بأن تتعاون معه!؟؟. وعندما يتحدث عبد الغفار عن تقاليد الجبل وحصر الزعامة بدار عرى يجيبه المستشار: ولكن هذا شيء سخيف!! ثم يضيف قائلاً لكن اتفاقنا مع زعماء الجبل ينص أن يكون الحاكم من أبناء الجبل فحسب وليس من إشارة إلى دار عرى وفرنسا ليست مقيدة بتقليد يأتي بيافع غر إلى منصب الحاكم. ثم استدعى لمقابلته عميد آل عامر ليقول له: إن

---

[1] السفرجلاني ص١٢٤

[2] مذكرات: ج٦.

[3] الريس ص١٤٦.

عائلتكم أكبر من عائلة الأطرش ونحن نرغب أن تكون أنت الحاكم في الجبل وأنها لفرصة سانحة لنقل الزعامة لآل عامر وهم أكبر عائلة في جبلكم.

وهكذا أوقع بذور الفتنة بين آل الأطرش أنفسهم وبينهم وبين آل عامر، وخلق عدداً من المنافسين للأمير حمد الأطرش على منصب الحاكم ظن كل واحد منهم قابله كاراببيه أنه الأمير لدى فرنسا؟

لقد ظهرت الخلافات جلية في أول اجتماع عقد لتسمية خلف للحاكم الراحل وقد ازدادت الخلافات وتشعبت الآراء في المجلس التمثيلي فاقترح كاربييه عند ذلك تأجيل الموضوع بسبب اختلاف الآراء، واقترح تعين نفسه وكيلاً للحاكم حتى تتفق الآراء فظنَّ كلٌّ واحد من الطامعين أن التأجيل لصالحه. واستغل كاربيه بعد ذلك سلطته لتعميق الخلافات حتى كادت تؤدي إلى حرب أهلية في الجبل للخلاف المستعصي على منصب الحاكم، فأوحى للذين يخافون من تطور الخلاف أن يقترحوا الوكيل أصيلاً فكان له ما أراد[1].

هنا يذكر الدكتور قرقوط: إن كاربييه عندما جمع المجلس الوطني الصوري في أكتوبر ١٩٢٤ ـ وعدد أعضائه ١٢ عضواً فقال لهم: وهو يضع يده بقبعته السوداء "من يريد انتخاب حاكم وطني يضع ورقة سوداء ومن يريد اختياري أنا يضع ورقة بيضاء" فاختير بالإجماع حاكماً للجبل وقطع الخط على حمد الأطرش "دار عرى وعبد الغفار "دار السويداء"

دكتور قرقوط ص٦٥.

هكذا انتزع كارابييه هذا المنصب من أبناء الجبل وبدأ يحكم بالضغط والتهديد والوعيد والاعتقال والسجن. ليذل بظلمه الرؤوس التي وقفت بجانب الحق ويرهب سائر أبناء الجبل.

وهنا نذكر قول الشهبندر بمذكراته: "هذا الحاكم الجديد الذي طبقت شهرته "الخافقين بفضل نوادره القرقوشية وسيرته الأبيقورية "الكابتين كاربييه" سار في بادئ الأمر سيرة لين وعطف حتى تمكن من العض فنهش. وكان إذا ذهب

---

[1] نفس المرجع ص١٤٩.

إلى قرية ولم يخرج أهلها لاستقباله بالمواكب والمهرجانات فرض على أهلها الغرامات الباهضة وحشاها في جيبه كما فعل في قرية عرمان مثلاً...!!

وحكاية هرة الملازم "موريل" مشهورة عندما ضاعت في السويداء فغرم الأهلين بسببها بعشرة ليرات ذهبية، وعندما انكسر مصباح للبلدية فغرم الأهالي بعشرة جنيهات ـ ثمنه مضاعفاً ـ وإن "دي بوشل" الجندي العريف أطلق النار على محمد بيك عز الدين الحلبي مدير العدلية لخصومة بينهما فأخطأه ولم يحاسب الجندي على جنايته المشهورة ولو بكلمة تأنيب ...!! وقد استاء مرة من فهد بيك الأطرش خريج الأستانة قائم مقام صلخد فضربه بيده ورجليه بالسياط على مرأى ومسمع جميع الناس: وعند ما جاء وفد من نجران يشكو البدو السلوط الذين تسلطوا على مزروعاتهم يتلفونها ويسرقونها طردهم قائلاً: "هالعلة الملعونة يلزمها هالدواء الرزيل"[1].

وكان إذا سمع وشاية من أحد الجواسيس على أحد الأعيان أو شيوخ العقل أرسله حالاً إلى السجن ومن غير محاكمة أو استنطاق وشغله بتكسير البحص على الطرقات كما فعل بسليمان بيك نصار شيخ قرية سالي وعين أعيانها. وبالشيخ صالح طربيه وهو علم من أعلام الفقه والصلاح بالجبل. ونكّل بآل الأطرش وجميع زعماء الجبل الكبار لسحق نفوذهم. ومن نوادره المشهورة ان بعض الجواسيس ذكر له أن الدروز إذا تنحنحوا، فإنهم يقصدون بتنحنحهم لعن من يمرون به أو شتمهِ. فالويل عندئذ لمن يصاب بالزكام أو التهاب الجيوب. وقد منع الاجتماعات العامة واستقبال الضيوف بالمضافات. ويضيف الدكتور الشهبندر قائلاً: كثيراً ما كنا نقول في مناطق الثورة إن الاعتراف بالجميل يقضي بوضع صورة للكابتين كاربييه مع مجموعة صور المؤسسين لنهضة سوريا لأنه من العوامل الرئيسية التي لفتت الأنظار إلى سر المستعمرين وسرّعت الخطا للوصول إلى الحرية[2]....!!

---

[1] من مخطوطة للمجاهد نايف عجاج نصر.

[2] الشهبندر: الثورة السورية الوطنية ص١٢.

وصف الأوضاع السيئة في الجبل قبيل الثورة

هلال عز الدين الحلبي من المجاهدين الأوائل الذين أبلوا بلاءً حسناً في كثير من المعارك كتب عدة قصائد لزميله من قادة الثورة المجاهد علي عبيد والقصائد والأجوبة فيها تصوير دقيق لأوضاع الجبل السيئة قبيل ثورة سنة ١٩٢٥.

القصائد من ديوان علي عبيد "ربابة الثورة".

أولاً: مقتطفات من قصيدة للمجاهد هلال عز الدين

أمس المسا نطيت روس العرازين	**وراعيت بالبيداء يمين ويسارا**[1]
حدثت قلبي بالأمور الصعيبين	**بركان يسعر داخل الكبد نارا**
يا حيف يا دروز الجبل يا شياهين	**عقب البياض موشحاً بالسمارا**
عقب الطرب والكيف وسط الدواوين	**لعبت بها الطمّاع وأضحت دمارا**
يا حيف يا صحاب السيوف الشطيرين	**الطمع خلّى حالكم بالعزارة**[2]
الذل حاق كباركم والغلامين	**الحصن المنيع اندك هدم سوارا**
وأبو الحصيني شاخ والذيخ ياشين	**وسبع العرين ملوبداً بالمغارا**[3]
وشبابنا هلّي على الحرب صلفين	**يا حيف نقل سلاحهم يا خسارا**
ولا بد ما تمضي سنين الرديين	**ويزول هلّي قاعد عالصدارا**

[1] الشرح[1]: [1] العرزال: المكان المرتفع.

[2] العزارة: الذل والإهانة.

[3] الذيخ: ذكر الضبع - ياشين: يا صاحب.

واللـــي قرضـــنا يـــا علـــي مـــستعدين   نــــوفي ســـــداد الحـــــرعَ دور بــــارا[1]

جواب علي عبيد يصف الأحوال السيئة في الجبل

جتنـــا هــــدايا مـــا لهـــن مثــــالي   حيـي الهـدايا والهـدى وكـل مـن سـاس

كثـر التعـب يـا شـيخ هـذا جهـالي   ما زال أصل العيب كله من الساس[2]

مـــات الـــشريف وســـاد أهـــل الرزالـــي   ولأهـل النميمـة صـاير اليـوم فرنـاس[3]

ربـــك حكـــم بالـــدور لأهـــل الـــسفالي   دوراً قـــصير ونفتكـــر زرعهـــم قــــاس

ربـــك حكـــيم وعـــالم بكـــل حـــالي   وبعـد الحـصيدة يـا فتـى موسـم دراس

حالــة جبلنــا اليــوم كلــه خجــالي   أكـبر رجالـه بـالطرق صـار كنـاس

واللـــي بغـــزو اليـــوم بـــذل المـــوالي   ونـشر الكتابـة عـالملا وسـاير النـاس[4]

وتعريـف أهـل الحـل هـذي العمـالي   مـا ظـن سـنَّها الزيـر بقـوم جـسَّاس

مجـرد فـساد إنـسان صـاحب جهـالي   ضـرب وإهانـة وكـسر حجـار بالفـاس

وتعـــودوا يــــا شــــيخ عـــا هالفعـــالي   حتـى الغرامـة مـن ثمـن سـت البـساس[5]

ويتزاحمـــوا ويتمرمغـــوا كـــالموالي   وعبعـــضهم يمـــشون بـــسلاح وقـــواس

---

[1] عدوربارا: سداد كامل غير منقص. والقرضة هنا: الإساءة المسبقة.

[2] الشرح٢ :[5] من الساس: من الأساس

[3] فرناس: الأسد الضاري

[4] الحث على بذل المال للتعريف بمساوئ الأجنبي.

[5] إشارة إلى "هرة" اليوتنان موريل.

وإن قلـــت للإنـــسان أكتـــب مقـــالي ولا ترجـــى بمـــسألة تكـــون نومـــاس

صـــدَّ وقفـــى بحقوقنـــا لا يبـــالي وعنـــد القـــضية يـــدعى ســـيد النـــاس

إعلان الثورة السورية الكبرى ومعركة الكفر

تعتبر الثورة السورية الكبرى التي تفجرت سنة ١٩٢٥ من أهم العوامل التي أدت لطرد الاستعمار الفرنسي وتحقيق الجلاء، بشمولها كافة المناطق في سويا ولبنان وبمعاركها الضارية التي كلفت مئات الشهداء وبأهدافها العامة التي طرحتها في الوحدة والحرية والاستقلال.....!!

فمنذ وطأت أقدام الفرنسيين أرض الوطن تواترت الثورات من لبنان وجبال العلويين في الغرب حتى البوكمال ودير الزور في الشرق ومن حلب وحمص وحماه حتى ذرعا والسويداء في الجنوب.

- ففي مطلع سنة ١٩٢٥ حل الجنرال ساراي محل الجنرال ويغان المفوض السامي في بيروت وكانت الحركة الوطنية داخل سوريا على أشدها عندما حصلت الاتصالات بين الأقطاب في دمشق والمدن السورية الأخرى، وكان حزب الشعب برئاسة الدكتور الشهبندر قد وجه أنظاره إلى الجبل واتصل بزعمائه المعروفين بوطنيتهم وعقدت المواثيق الجازمة بأن يتحد الجميع بالعمل على إخراج الفرنسيين وضم الأجزاء السورية بعضها إلى البعض. وأصبح نضال الجبل مقترناً بمعنى جديد لم يتضح أيام مقاومة الأتراك وهو أن مقاومة الاستعمار ترتبط بالعمل القومي الشامل في خطة واحدة لجمع أجزاء سوريا واستقلالها. وكان الكابتين كارابييه الحاكم في الجبل قد تمادى في ظلمه واستبداده وبالغ في تحديه للوجوه والأعيان وإجبار المواطنين على توقيع عرائض تأييد يستند إليها لتنفيذ خطته في القضاء على خصومه.

- في ٧نيسان ١٩٢٥ اعتقلت السلطة الفرنسية بعض أعيان الوفد الذي كان يفاوض الجنرال ساراي بدمشق لرفع المظالم وتنفيذ الاتفاقية التي ورد فيها أن يكون حاكم الجبل من أبنائه، وكان بطليعة المعتقلين عقلة القطامي، وقد

استشاط ساراي غضباً عندما شاهده مع الوفد لأن وجوده كان يمثل التعاون بين المسلمين والمسيحيين على طرد الفرنسيين من الوطن وهذا لم يكن يتوقعه ساراي.

في ١٨ حزيران سنة ١٩٢٥ سافر وفد كبير من أعيان الجبل برئاسة الشيخ يوسف الهجري لمقابلة ساراي في بيروت بناءً على توسط "أوغست برونييه" أحد نواب البرلمان الفرنسي، وكان يحمل عريضة جاء فيها:

إن الجبل جزء لا يتجزأ من سوريا وتجمعه بها جامعة اللغة والجنس، وتربطه بها روابط اقتصادية محكمة الحلقات، ونطلب من فرنسا أن يسود القانون في الجبل وأن تسمع شكاواه وأخيراً نرجو إبدال كارابييه بحاكم آخر يعمل على تنفيذ مطالب الناس العادلة. لكن ساراي رفض استقبال الوفد وهدد أعضاءه بالاعتقال والنفي إن لم يعودوا في الحال على أعقابهم، لذلك زادت النقمة على الفرنسيين بعد وصول الوفد إلى السويداء، كما زادت عزيمة الثورة على التحرك ضد السلطة الفرنسية لطردها......!!

ـ في ١٨ تموز سنة ١٩٢٥ تم إعلان الثورة على الفرنسيين وذلك بعد أن يئس جميع الوطنيين الأحرار من تغير سياسة السلطة الفرنسية إتجاه الوطن وإصرارها على تطبيق سياسة الظلم والإذلال، فتداعوا إلى اللقاء في القريّا في ١٨ تموز وأعلنوا الثورة على الفرنسيين مباركين خطوات سلطان الأطرش والقادة الوطنيين في سبيل الدفاع عن كرامة الشعب وحفظ الشرف والعرض والسير في البلاد نحو الوحدة الوطنية.

وكانت القريّا تعج بالجماهير والفرسان والبيارق وحداء الأغاني الحماسية وصهيل الخيول والنخوات والهتافات التي تعلن كلها الثورة على السلطة الفرنسية الجائرة..!! وتوجه الركب كما كان مقرراً إلى المقرن القبلي: إلى بكا ـ أم الرمّان ـ الغارية ـ المشقوق ـ متان.

كان التحاق المجاهدين قليلاً حتى قرية عرمان التي استقبلتهم بحماسها المعهود، وكثر عددهم بعد الاتصال بالجهة الشرقية من الجبل، وحلّقت فوقهم طائرتان حربيتان أسقطوا واحدة منها برصاص البنادق. وكانت حملة نورمان

انطلقت من السويداء وهي مدججة بمختلف أنواع الأسلحة لملاحقة الثوار في المقرن القبلي، وعندما اقتربت من القريا حذرها علي شقيق سلطان من دخول البلد فاتجهت شرقاً إلى الكفر وخيمت فيها قرب عين موسى.

وقد أنذر أسعد مرشد من مشايخ الكفر القائد نورمان ثلاث مرات متوالية كما سلمه رسول سلطان الأطرش رسالتين خطيتين تطلب إليه الأولى تجنب الاصطدام وفتح الطريق أمام الثوار إلى السويداء والثانية موجهة للسلطات الفرنسية العالية تحملها مسؤولية المصادمة.

ومع ذلك لم يحفل نورمان بالإنذارات ولا بالرسائل وكل ما قام به هو أنه ترفع بجنوده إلى موقع وعر مستدير يشرف على الطرقات، واستعمل من أنواع التهديد والوعيد للذين أنذروه ما يدلّ على غبائه وغروره عندما قال لهم: إنه بمجرد الرشاش الذي يحمله قادر على قتل آلاف من الثوار.

ـ الكفر الملحمة الأولى: في ٢١ تموز سنة ١٩٢٥

سالت الجموع من عرمان مشاة وبيارق وفرسان يصحبهم بعض المحاربين من بدو الجبل، وبما أن الثوار في صلخد أعفوهم من حرق البعثة الفرنسية فيها حيث أنهم نفذوا ذلك بأنفسهم، فقد استمرت الجرود بمسيرها حتى العيّن، وقد كان مقرراً إقامة معسكر للثوار في خربة العيّن لكن سببين ألغيا هذه الفكرة: أولهما الخوف من طائرات العدو التي يمكن أن تدمر هذا المعسكر، والثاني وصول بيرق ملح بمشاته وفرسانه المتحمسين للقتال والذي استمر زاحفاً باتجاه الكفر دون التوقف بالعين وراحت تسابقه كافة البيارق والجموع. وهنا يقول الدكتور الشهبندر:[1]

الموقع التي حصلت قيه الملحمة من أوعر وأحصن ما رأت عيني، فقطع الصخر مصطفة فيه بشكل مستدير اصطفافاً يكاد يكون مصطنعاً وكل واحدة منها متراس قائم بنفسه، ويؤلف مجموعها شكل بحيرة جافة لا قبيل لأحد بمفاجأتها ومهاجمتها اللّهم إلاّ من أوتي إيمان الأنبياء وعزم الجبابرة.

---

[1] **الثورة السورية الوطنية ص٢٢.**

ـ انقسم أشاوس بني معروف بقيادة سلطان باشا الأطرش إلى قسمين وخفوا من جهتين متقابلتين، وكان منظرهم وهم يقتحمون نيران البنادق من أرهب المناظر، ومن أراد أن يقدر حرارة الحماسة التي كانت تغلي في صدورهم فحسبه أن يتذكر أنهم قطعوا تلك المسافة من صلخد إلى الكفر عدواً لم يقفوا إلاّ حيث أوردوا خيولهم ماء في منتصف الطريق وأوردوا سيوفهم دماء في منتهاه.

ـ لم يمض عشرون دقيقة على الملحمة بالسلاح الأبيض حتى قضوا على الحملة قضاءً مبرماً فلم يفلت منها إلا بعض أفراد استطاعوا نقل خبر الكارثة إلى تومي مارتن في السويداء. تجاوز عدد الجنود المئتين والستين، وكانت خسائرنا أربعين شهيداً بينهم مصطفى الأطرش شقيق سلطان.

ـ إن الداخل اليوم إلى هذه البحيرة أوائل أيلول سنة ١٩٢٥ وقد جفت دماؤها يرى فيها أرجل الجنود مستترة وراء الصخور ومن هنا وهناك جماجم تبصبص وهي مكشرة عن أنيابها كأنها منكمشة من هول الضربة التي نزلت بها. ويؤكد الثقاة أن الجمجمة التي على الباب هي جمجمة الكابتن نورمان كأنها تحرسها من سباع البر وطيور الفلاة...!!

وكان لهذه الملحمة شأن خطير في تاريخ النهضة السورية:

أولاً: لأنها جعلت الثورة أمراً مبرماً لا رجوع عنه.

ثانياً: لأنها دلت على أن الحق الصريح ولو نقصته العدة والعدد قادر في كثير من الأحيان على مقاومة القوى ولو أيدتها الآلات الضخمة والجحافل العظيمة.

نتائج معركة الكفر

كان من نتائج هذا النصر المؤزر في الكفر ما يلي:

١ـ جعل من الثورة أمراً مبرماً وأغلق الطريق بوجه كل من يسعى للتوفيق بين المطالب الوطنية والغايات الاستعمارية.

٢ـ أبيدت الحملة الفرنسية عن آخرها تقريباً وقتل القائد ومعاونوه في مكانهم وطارد المجاهدون بقايا الحملة الشاردة فلم يصل إلى قلعة السويداء إلا أنفار

قلائل أخبرو القيادة بما حصل، وفقد الفرنسيون جميع مناطقهم الدفاعية في الجبل ليتحصنوا في قلعة السويداء مع عائلاتهم، وحاصر المجاهدون القلعة، كما نفخوا في جميع قرى الجبل روح الثورة فهبت القرى بأجمعها تلبي نداء الوطن وتجاوبت أصداء هذا النصر في كافة المدن السورية وأريافها.

٣ـ على الصعيد الوطني، أذكت الروح النضالية في كافة المناطق السورية واللبنانية ومهدت الطريق لانتشار الثورة بعد أن قدمت الدليل القاطع على أن أبناء الجبل على اختلاف هيئاتهم وطبقاتهم وطوائفهم لا يتخلون بسهولة عن مبادئهم الوطنية ورسالتهم القومية مهما تضافرت على مجتمعهم وحاولت تشويه سمعتهم قوى الشر والفساد داخل البلاد وخارجها.

٥ـ يضيف الدكتور الشهبندر في مذكراته نتيجة هامة لهذه المعركة إذ يقول: ألقت هذه المعركة يعبء القيادة العامة في الجبل مدة الثورة على عاتق الزعيم الذي انتصر فيها هذا الانتصار الباهر، معنى ذلك أنها أوجدت من الفوضى التي يعشقها السوريون نواة صالحة للنظام وتوحيد المساعي لبلوغ غايات حربية معينة. ولولا ذلك لكان عدد الذين يتسنّمون غارب القيادات الحربية بحق وبغير حق لا يحصى لأن عاداتنا أن من آنس في نفسه قمحة من الحياة توهمها جبلاً من القوة.

جـ ـ قصائد للمعركة

وقد خلد الكتاب والشعراء هذه المعركة بكثير من المقالات والقصائد منها قصيدة الفن التي يغنيها خمسة أو ستة أشخاص في صف واحد يدورون حول نقطة محورية. الشخص الأول هو القصاد يغني منفرداً ويردد البقية اللازمة وهي المقطع الأول مثل:

يــا راكــب ســوهجاً[1] فــات　　مـــن بكـــار النجـــديات

قـــوطر[2] ودّيلـــي كتـــابي　　بالعجـــل إيّـــاك تبـــات

قـــــــل للفرنـــــــساوي　　كنّـــو عـــالحرب نـــاوي

مـــش بعقـــب المهـــاوي　　يزهّـــب ويطيلـــع حمـــلات

حملاتـــو مـــا بيلـــهونا　　قـــــروا لا تنكرونـــــا

بـــــالكفر جربتونـــــا　　ســبعة مــن القــواد ومــات

مـــشوا علينـــا هـــالقوات　　تهـــدر معهـــا الـــدبابات

وبالـــــسما هالطيـــارات　　مـــــدافع والرشاشـــــات

أول حملـــــة جيناهـــــا　　بـــــالكفر ليناهـــــا[3]

بواريـــــد كـــــسبناها　　ومـــــدافع نقاليـــــات

روح يتغطـــــرس نورمـــــان　　يهـــدد بـــذبح الفرســـان

بريـــع ســـاعة بخـــبر كـــان　　هـــو وعـــسكرو مـــا بـــات

اسماعيل بيك وشهاب صقور　　مـــصطفى يـــنطح طـــابور

كفـــو[4] نـــصّار البربـــور　　جـــاهم مـــن كـــل الجهـــات

---

[1] السوهج: المطية السريعة، حصان أو ذلول.

[2] قوطر: ذهب.

[3] ليناه: استولينا عليها.

[4] كفو: فيه الكفاية.

ـ ومن القصائد الجيدة التي قيلت في معركة الكفر قصيدة شاعر الثورة صالح عمار[1] :

عرمان سالت عالكفر....

وقد وصف الشاعر صالح عمار هذه المعارك بقصيدته المشهورة التي تعتبر من أهم الأغاني التي رددها الفرسان: "أغاني الجبل" ٢١/تموز/١٩٢٥.

وصف ملحمة الكفر

البارحة جانا خبر   ريّك فتل دولابها

عرمان سالت عالكفر   ذبح العراضي[2] دابها

صربة[3] ملح توطا الخطر   حس المصوّت[4] جابها

فرسان لو عجّة عكر[5]   جمع العدا ماتهابها

الحملة غدت مثل الشجر   لمّا غوي حطابها

ما ظل منها ولا نفر   وتشالخوها[6] ذيابها

المقون القبلي انتصر   ضربة خبطها[7] وصابها

[1] الثورة السورية الكبرى ص٢٣ الشهبندر.

[2] العراضي: فيالق الجيش

[3] السربة: الجماعة.

[4] الصربة: نذير الخطر.

[5] عجّة عكر: أثارت الغبار.

[6] تشالخوها: قطعوها.

[7] خبطها: رماها.

موريـــــل[1] بالقلعـــــة انحـــــصر	ســــكّر حــــصون أبوابهـــــا
جـــرّد علينـــا مـــن البحـــر	عـــــساكراً و طوابهـــــا[2]
ســــلطان عالـــصايح أمـــر	صـــاح وجــــذبها وجابهــــا
وتقـــابلوا عنـــد العــــصر	كثـــر العطــــب[3] بجنابهــــا
بــــرق ورعــــد هــــل المطـــر	دم العــــــدا ســــــحابها
يــــا ذبحــــة شـــرقي بــــصر	تــــاه القلــــم بحـــــسابها
وســــيوف مـــــن دم الحمـــر	ترعــــف لحــــد نـــصابها[4]
ولينــــا[5] المــــدافع والزخـــر[6]	ومـــــــدرعات جابهـــــا
قولــــون للــــي مـــا حـــضر	حنـــا كفينـــا غيابهـــا
ســــلطان حريــــب الـــــوزر	نـــار الحــــرب شــــبّابها[7]
لينـــا[8] المراجـــل عـــن صـــغر	وليــــوث[9] تحمـــي غابهـــا

---

[1] موريل: حاكم الجبل الفرنسي.

[2] طوابها: مدافعها.

[3] العطب: الإصابات.

[4] نصاب السيف: مقبضه.

[5] ولينا: استولينا على .

[6] الزخر: الذخائر.

[7] شبابها: مولعها.

[8] لينا: لنا.

[9] ليوث: أسود.

مرحـــــوم مـــــن زار القـــــبر　　لحقوقنـــــــا طلابهـــــــا

يـــا مـــصطفى أنـــت القمـــــر　　يـــــا حيـــــف زرت ترابهـــــا

صالح عمّار أيضاً في جوفية

يـــا خـــالق علـــم الوكـــاد　　وانتـــصب ســـوق المـــزاد[1]

وأســـعرت نـــار الحرايـــب　　ثـــارت بكـــل البـــوادي

عاضـــدوا ســـلطان الأطـــرش　　وانتخـــوا عيـــال النـــوادي

واعتلـــوا مـــن فـــوق ضـــمّر　　مثـــل غـــزلان الحمـــادي

والبيـــارق حمـــرا تـــومي　　تحتهـــا علـــق الحـــداد

يـــوم عـــالعيّن لفينـــا　　وبـــالكفر صـــار الميعـــاد

مـــرقعين العـــبي[2] صـــالوا　　كـــارهم[3] ذبـــح الأعـــادي

استبـــسلوا بريـــع ســـاعة　　روّحـــوا الحملـــة سمـــادي[4]

---

[1] سوق المزاد: سوق الحرب.

[2] مرقعين العبي: عامة المقاتلين.

[3] كارهم: عاداتهم.

[4] روحوا الحملي سمادي: أي أبادوها.

الفصل الثاني

معركة المزرعة

أروع معارك العرب ضد الاستعمار في النصف الأول من هذا القرن

بعد معركة الكفر أخذ الفرنسيون يحشدون جنودهم وأسلحتهم في محطة أزرع وسهول حوران المجاورة للزحف على الجبل وغسل عار هزيمتهم في ملحمة الكفر الموجعة. وقد قام سلطان الأطرش ومرافقوه بجولة على قرى المقرن الغربي لاستثارة الهمم وتقرر على إثر ذلك عقد اجتماع عام على نبع قراصة لدراسة الموقف بصورة عامة والبحث بمسألة الحشود الفرنسية التي زاد عددها على اثني عشر ألف مقاتل حسب تقدير الخبراء، عدا الدبابات والمصفحات والطائرات الحربية والمدافع الثقيلة والخفيفة وكأن الشاعر قصدهم حين قال:

ملأن الجو أسلحة خفافاً   ووجه الأرض أسلحةً ثقالا

أ ـ مؤتمر قراصة[1] تموز ١٩٢٥

ما كاد يأتي موعد الاجتماع حتى أخذت بيارق القرى تتوارد إلى المكان من مختلف أنحاء الجبل حتى بعض أفراد من بدو المساعيد والسردية. وهنا وصل عبد الغفار الأطرش الذي أطلق سراحه الفرنسيون ثم مروا به على جيوشهم الجرارة وقواتهم الحربية الضاربة الكثيرة للرعب والخوف، وطلبوا إليه طرح موضوع الصلح مع الثوار. فوقف على مرتفع (كوم قراصّة) وخطب في الناس حسب ما ورد بمذكرات سلطان الأطرش قائلاً:

إن فرنسا الدولة القوية الجبارة أطلعتني قبل أن أصل إليكم على جيوشها الجرارة وقواتها الضاربة المختلفة وطلبت مني أن أكون وسيطاً بينهم وبينكم لوقف العمليات الحربية وعدم التعرض للجيش الزاحف بقيادة الجنرال ميشو إلى مدينة

---

[1] مذكرات ح٨.

السويداء، وقطعوا لي عهداً بالعفو عن جميع الثوار الذين اشتركوا بموقعة الكفر دون قيد أو شرط ما عدا سلطان حيث اشترطوا أن يغادر البلاد ريثما يصدر قرار بالعفو عنه بعد مدة قصيرة.

وفي هذه اللحظة وصل إلى المكان المجاهد مصطفى أبو الحسنين من حوران وقدم لسلطان الأطرش رسالة من بعض الزعماء في حوران يقولون فيها أنهم لا يستطيعون في الوقت الحاضر المشاركة بالثورة (مذكرات الحلقة ٨) فطوى الرسالة ووضعها في جيبه، غير أن أنظار الجمهور ظلت متجهة نحوه كأنها تستفسر منه بإلحاح عما جاء فيها.

وقد أنقذ الموقف سليمان نصار بذكائه وسرعة بديهته إذ طلب من الباشا الرسالة، ففتحها وارتجل نصاً آخر من عنده وهو ينظر إليها فقال:

حضرة ابن عمنا سلطان باشا الأطرش الأفخم، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمكم أننا رهن إشارتكم في سبيل خدمة الوطن ونحن بانتظار العلم منكم لنلتحق بجيشكم والله يحفظكم وينصركم على الأعداء... ثم تلا من ذاكرته أسماء زعماء حوران المعروفين، فأثار بقراءته هذه حماسة الجمهور حتى كانت أصوات النخوات والعراضات تشق عنان السماء.

وما أن عاد الهدوء إلى الجمهور من جديد حتى التفت الباشا إلى عمه عبد الغفار وقال له على مسمع الجميع وكجواب للفرنسيين:

إننا لم نعلن هذه الثورة كي نرضخ لشروط الفرنسيين ونسمح لجيوشهم الجرارة بالدخول لبلادنا دون مقاومة ليغدروا بنا ويسومونا سوء العذاب وينفوك وغيرك من الزعماء ظلماً وجوراً.

إننا أعلنا الثورة لنصون العرض والكرامة ونحقق بحد السيف حرية البلاد واستقلالها، ثم اقترب من عمه وقال له: أنك تخرج الآن من السجن والمنفى الحمد لله على سلامتك، وأنت أحوج حالياً لرؤية أفراد أسرتك الذين ينتظرون عودتك بفارغ

الصبر في قنوات[1] . ثم اختلى القائد بأعيان الثوار على جناح السرعة واتخذوا القرارات التالية بالإجماع:

قرارات مؤتمر قراصة

١ـ متابعة الثورة والوقوف في وجه الجيش الفرنسي الزاحف لمنعه من الوصول إلى السويداء.

٢ـ اعتبار القوات المحاربة التي حضرت الاجتماع نواة الجيش الوطني المنوي إعداده وتنظيمه في ا لمستقبل.

٣ـ اتباع تقاليد الجبل الحربية المتوارثة باعتبار بيرق كل قرية وحدة حربية كاملة يؤمن كل محارب فيها وعلى نفقته الخاصة سلاحه وذخيرته ومؤونته وأن تكون قيادة كل وحدة مرتبطة مباشرة بقيادة الثورة العامة.

٤ـ فتح جبهة حربية تمتد على جانبي طريق أزرع السويداء من قرية تعارة وقراصة شمالاً حتى قريتي الدور وسميع جنوباً.

ب ـ المناوشات الأولى: ٣٠ تموز سنة ١٩٢٥

انتشرت قواتنا فعلاً في المواقع المعينة لها على خط متعرج بطول ٨كم تقريباً وكان مقر القيادة في قلب الجبهة شمال رقة الصقر، وفي تموز بدأت المناوشات الأولى قرب بصر الحرير عندما تقدمت القوات تدعمها المصفحات والمدافع لاحتلال جسر قرب بصر الحرير فهاجمها الثوار بمعركة حامية التحموا معها بالسلاح الأبيض واضطروها للتقهقر، وخسر الفرنسيون باعترافهم ضابطاً وسبعة جنود قتلى وأربعة عشر جريحاً (منير الريس عن كتاب جيوش الشرق) وكانت خسائرنا ثلاثة شهداء هم قاسم عزام محمود غيث وسليم سلام وجريح واحد هو حمزة درويش.

---

[1] مذكرات ح٨.

جـ ـ الكمين الغادر

بدأت القوات بزحفها من أزرع وبصر الحرير في أول آب سنة ١٩٢٥. فما وضح النهار إلا والجيش الفرنسي يزحف بنسق الحرب منتشراً على يمين ويسار طريق السويداء لعدة كيلو مترات ــ تحمي جناحه الأيمن قوة كبيرة من الخيالة، يتقدم قبله رتل من السيارات المدرعة والمصفحة بمدافعها ورشاشاتها ويكشف مجاهل طريقه سرب من الطائرات الحربية، تقصف كل تجمع للثوار بطريقه. تقدمت قوات العدو بسرعة حتى مفرق طريق الدور عندما صب عليه الثوار رصاص بنادقهم وهنا حمي وطيس المعركة فراحت الطائرات تقصف تجمعات الثوار ومتاريسهم بقنابلها الكبيرة التي زلزلت الأرض وبعثت الذعر في الخيول التي ازداد صهيلها، وكان الضغط كبيراً على جناحنا الأيمن قرب قرية الدور، حيث حصل الكمين الغادر بمعركة تل الخروف عندما حفر العدو خنادق بالسهل شرق تل الخروف كمن فيها الجنود برشاشاتهم وبنادقهم، ثم استدرج فرساننا الفرسان السباهيون هاربين أمامهم حتى وقعوا بالفخ بين الخنادق حيث القناصة ومرابض الرشاشات العسكرية فأنصب على فرساننا الرصاص كالمطر وسقط منهم ثلاثون شهيداً دفعة واحدة من خيرة فرساننا. يقول سلطان الأطرش: إنهم كانوا ذخيرة أملنا بالنصر ـ من بينهم حمد البربور وأخوه أجود وابن عمه أحمد ... وكان من الجرحى الشيخ صالح طربيه من السويداء وزيد عامر من البثينة.

ء ـ مفتاح النصر ٢ آب سنة ١٩٢٥

بعد كمين تل الخروف فتحت ثغرة في جناحنا الجنوبي تقدمت منها كوكبات الخيالة وسرايا المشاة وعربات النقل المعادية والدبابات المصفحة مما اضطر قيادة الثورة للانتقال أمام الجيش نحو المزرعة لإقامة خط دفاعي جديد يمنع تقدم الحملة من الجناح الجنوبي. التقت على نبع المزرعة بنفر من المجاهدين من السويداء على رأسهم المجاهد الكبير حسين مرشد فأخبروهم أن طريق السويداء سدها الأهالي وأقاموا عليها الحواجز وأقسموا على عدم التزحزح من مواقعهم ولو مرت آليات الجيش الفرنسي على أجسادهم. وعندما بلغوا نبع الفارعة قرب المغيب، وكانوا قد

أهلكهم الجوع والتعب اقترح الأكثرية الانتقال إلى قرية سليم. وهنا يقول سلطان الأطرش بمذكراته: وبينما نحن بمضافة يوسف مسعود سمعنا جلبة خيول تدخل القرية وصيحات فرسان تقول: البشرى لنا.....البشرى لنا. هبينا بسرعة لاستقصاء الخبر، فدخل علينا بعد لحظات، فرحان زيتونة وعبطان النجم وفارس مفرج وهم بحالة تعب وانفعال شديدين، وبادرنا الأول بقوله: نعلمك يا باشا أن أهالي نجران المقرن الغربي ومن بضيافتهم من المجاهدين قاموا بهجوم مظفر على مؤخرة الجيش الفرنسي فقتلوا عدداً من ضباطه وجنوده واستولوا على جميع أسلحتهم وصناديق الذخيرة والدواب وعطلوا عربات النقل وأحرقوا بعض السيارات وعادوا لقراهم سالمين.

تحمس جمهور الحاضرين وتعالت الهتافات بحياة الثورة خاصة بعدما تتابع وصول الغنائم والمعدات مع الثوار إلى القرية. فأيقن القائد أن ساعة النصر قد أزفت بعون الله وهداية من لدنه. وأسرع بإرسال المفازيع والرسل إلى السويداء وقنوات وكافة القرى ومعهم الغنائم ليذيعوا الخبر السار ويستنفروا المقاتلين من جديد ضاربين موعداً للجميع على المزرعة في الحال....

وقد وصلت بعد ذلك تفاصيل عن ذلك الهجوم المظفّر على مؤخرة الجيش الفرنسي الذي كان مفتاح النصر والعامل الأساسي في اندحار حملة ميشو وإبادتها.

- بدأ الهجوم من أبطالنا الثوار المرابطين في قرية نجران وحول نبع قراصة الذين انقضوا بعد الظهيرة على جناح الجيش من الجهة الشمالية وقد كان مؤلفاً من لواء من المشاة وعدد كبير من السيارات والدواب تحمل الذخيرة والمؤن تحرس جميع الرشاشات والسيارات المصفحة وتحوم فوقه الطائرات الحربية، ويروى أن زوجة المجاهد عباس أبو عاصي في نجران قد حرضت المجاهدين على الهجوم عندما رفضت أن يقدم أي ثائر على الزاد الذي أعدته لهم إلا إذا وعد بالعودة إلى ساحة القتال، وذلك حسب ما ورد في كتاب الأستاذ سلامة عبيد (الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر). وهكذا فقد كان الانقضاض صاعقاً عنيفاً استسلمت على أثره الفرقة الفرنسية استسلاماً تاماً وأسر ضباطها ومن بقي حياً من جنودها ثم أحرق المجاهدون ثلاث مصفحات مع ذخيرتها وكسبوا الأرزاق والدواب والبنادق

والرشاشات والذخيرة وانطلقوا إلى قراهم عند الغروب وهم يملأون الفضاء حداءً ورصاصاً مرددين أهازيج النصر بحماس وافتخار: أهزوجة المجاهد نايف عجاج نصر:

يـــا فرنـــسا والله مــا نطيــع   وانهــــوش عنــــد ديارنـــا

لعـــين زغــــردة البنــــات   ذبـــح العــــساكر كارنـــا

هـ ـ المعركة الحاسمة: ٣ آب ١٩٢٥

سرت أنباء النصر والغنائم في كافة أنحاء الجبل سريان النار في الهشيم فتحمس الثوار من جديد وزحفوا من كل حدب وصوب نحو المزرعة مسلحين بالمناجل والفؤوس والعصي والسيوف وبعض البنادق والمسدسات. وراحوا يحيطون بالحملة من كل الجهات في ظلمة الليل الساتر حتى كان البعيد يسبق القريب للقضاء على الحملة الأجنبية بالرغم من دباباتها ومصفحاتها ورشاشاتها وأسلحتها.

وبعد أن علم الجنرال ميشو بما حل بالمؤخرة من الجنود الفارين باتجاه المزرعة أصدر أوامره لتشديد الحراسة وإنارة سماء المزرعة بالأسهم النارية خوفاً من هجوم مفاجئ. وقد استفاد الثوار من الإنارة في تركيز مواقعهم وراحوا يزحفون على بطونهم لسد الثغرات وإحكام الطوق جيداً حول المعسكر. وهنا نترك للقائد الذي جاء إلى قلب الهجوم ليصف لنا هذه المعركة العظيمة الفاصلة حيث يروي بمذكراته ما يلي:

(تحركنا من سليم عند بزوغ الفجر يوم الاثنين ٣ آب سنة ١٩٢٥ وحين وصولنا إلى المزرعة وجدنا الحملة الفرنسية في حالة تأهب واستعداد لتستأنف زحفها نحو مدينة السويداء، وفي نفس الوقت رأينا بيرق السويداء بمواجهة مع أرتال الحملة المستنفرة في سهل المزرعة، وعلى الطريق العام من الجهة الجنوبية الشرقية لمكان انتشارها، وكانت بعض الآليات المدرعة تناوش المتقدمين من مشاتنا بنيرانها القوية عند مسيل الفارعة، ثم أخذت بيارق القرى تصل تباعاً وتتوزع في جبهة طويلة منحنية حول المزرعة، تمتد من قرية السجن غرباً حتى الفارعة شرقاً، ووادي ولغا في الجنوب حيث كانت بعض فصائل خيلنا متجمعة.......

قبل طلوع الشمس بدأ بيرق السويداء هجمته الصاعقة الأولى، فاخترق خطوط العدو من جهة القلعة القديمة والتحم مع مشاته وبعض مصفحاته التحاماً مريعاً، ثم أخذت البيارق الأخرى تضع ثقلها تباعاً في ميدان المعركة وتوسع الثغرة لتنازل الجنود في خنادقهم ومرابض رشاشاتهم بالسلاح الأبيض في أكثر الحالات. كانت الآليات المدرعة تجول وتصول أمام الخنادق والاستحكامات التي حفرها العدو حال وصوله إلى المزرعة في الليلة الفائتة وتمطرنا بقذائفها ورصاص رشاشاتها بصورة متواصلة، كما ازداد نشاط المدفعية التي كانت تقذفنا بحممها من مرابضها الواقعة خلف خطوط العدو. وكذلك الطائرات التسع التي بدأت تحوم فوق مواقع الثوار وتقصف مراكز تجمعهم منذ انبثاق الفجر، ثم اقتصر نشاطها بعد الالتحام الشامل مع جنود الحملة على التحويم المنخفض ولكنها كانت تستأنف القصف بسرعة فائقة كلما شاهدت مجموعة من الثوار قادمة إلى ميدان المعركة.

ـ كنت أسمع وأنا بمكاني أراقب سير المعركة أصوات النخوات الهادرة تنطلق من حناجر المجاهدين تقول:

وين راحو النشاما..... عليهم، اليوم ولا كل يوم، ومنهم من كان يردد هذه الأهزوجة:

يا أم الوحيد وابكي عليه　　والموت ما يرحم حدا

لا بد ما تنعي عليه　　إن كان اليوم ولاّ غدا

أو:

لا طال عمرك يا الذليل　　لا بد ما تلقى الردى

أو يقول بلحن عاصف

تايه الشور يا اللي تحاربنا　　من حاربنا يذوق الهوال

كان الشبان يتربصون بالمدرعات ويكمنون لها أثناء تراجعها حتى إذا اقتربوا منها قلبوها بأكتافهم وقتلوا سدنتها بخناجرهم ومسدساتهم وأحرقوها. يضيف الباشا بمذكراته:

وعند الضحى أوعزت إلى فريق كبير من فرساننا لتنفيذ الهجوم فانقضوا على جناح العدو الأيمن وفتكوا بجنوده فتكاً ذريعاً، وقد لعب بيرق الثلعة دوراً عظيماً في تلك الغارة الموفقة. وهنا لاحت لحظة الهجوم على قلب العدو ومراكز دفاعه الرئيسة فاندفعت قواتنا الضاربة من جديد إلى ميدان المعمعة يساندها في الميمنة مشاة البيارق وفي الميسرة فرسانها، فتصدعت بهجماتها الكاسحة جبهة العدو وتمزقت صفوفه وانشلت حركته ودبت الفوضى في مختلف مواقعه، وبذلك فقدت قيادته كل أمل بأخذ المبادهة من أيدينا في تسيير دفة المعركة، كما عجزت عن تنفيذ أية خطة للتراجع المنتظم ومع ذلك فقد أبدى جنود الحملة الفرنسية بطولة خارقة في مواجهة الثوار والثبات في خنادقهم حتى نازلهم فرساننا بالسلاح الأبيض، وقد أبدوا مهارة بالفروسية وأساليب الكر والفر تدعو للدهشة والإعجاب، لكنهم وجدوا أمامهم أبطالاً من فرساننا لا يشق لهم غبار، وقد برهن فرسان بني معروف وأبطالهم للفرنسيين والعالم أجمع أنه ما زال في عرب القرن العشرين من يجيد استعمال السيف كما استعمله الأجداد في معارك ذي قار وحطين واليرموك).....

هكذا اندحرت الحملة الفرنسية بل اندثرت وتبعثرت جثث قتلاها وهياكل مدرعاتها وآلياتها المختلفة وأسلحتها الثقيلة على السهول الممتدة من المزرعة شرقاً حتى قرية الدور وبصر الحرير غرباً وقد وصلت فلولها الهاربة تجر أشلاءها في محطة أزرع منهكة ضائعة خائرة القوى، وقد وصفهم بعض المسافرين في المحطة وهم يلقون بأنفسهم على القطار الذاهب إلى دمشق بقوله: كانوا يتمسكون بالمركبات تمسك الغريق بنواتئ الصخور، وكانت الضمادات على جراحهم واللفائف على رؤوسهم توهم المرء بأنهم أهل مشفى كبير فروا منه لحريق أصابه.....

وقد ترك لنا المجاهد هلال عز الدين النادرة التالية التي أوردها الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص ١٣٦.

أ- اقترب هاني الحلبي من إحدى المصفحات وبيده سيف، وكان السائق يطل رأسه من كوة المصفحة ليكشف الطريق لنفسه، فعاجله هاني المذكور بضربة أطارت رأس الجندي ويده، فالتفت ابن أخيه عبد الكريم وقال ضاحكاً:

(هيك يا عم عورت الزلمي) ...... وممن برز وفاق الأقران في هذه المعركة المرحوم الشهيد سليمان العقباني فقد كان حوله ثمانية عشر جندياً مجندلين بضربة سيفه وشقهم من الكتف حتى الخاصرة المقابلة[1].

ب - أما الشيخ حسين العقباني من السجن فيقول: هل شاهدت أجساداً تركض بدون رؤوس كان الجنود الهاربون من المعركة يركضون غرباً خلف بعضهم أرتالاً أرتالاً، وعندما يقابل فارس من الثوار يقطع بسيفه البتار وعزمه القوي رؤوس الجنود الراكضين بالتتالي فتتدحرج الرؤوس على الأرض بينما تستمر الأجساد راكضة عدة أمتار من عزم الاندفاع بدون رؤوس، منظر مذهل قال فيه الشاعر:

عالمزرعة رزم المدافع والقواس	**خرس البرود تقول سوق الحدادِ**
لما لكد فرساننا على المتراس	**عطل الرمي وازدان سوق الطرادِ**
شلفات ترعف دم تغرق بالحواس	**بواتر تبري رقاب تشفي المرادِ**
أجساد تركض هاربة بلا رأس	**وروس تدحل عالأرض غير هادِ**
منظر يطيّر العقل ويشيب الراس	**ويعزز بالعركات دور الهنادِ**
يا الله نحنا دوم للوطن حراس	**يا رب تنصر الأحرار ضد الأعادِ**

المؤلف

---

[1] **الشهبندر ص٢٩.**

هـ ـ نتائج معركة المزرعة

١ـ لقد اختلفت الروايات وتناقضت الأقاويل عن خسائر الحملة وعدد الجنود الذين قتلوا في المعركة كما تناقضت في عدد أفرادها وعوامل هزيمتها وأسباب اندحارها، ويذكر سلطان الأطرش بمذكراته أن عدد الذين استشهدوا من ثوارنا حوالي ٣٤٠ شهيداً عدا الجرحى والمصابين بعاهات دائمة سجلوا على صفحات تاريخ أمتنا العربية أروع صفحات الجهاد والنضال[١].

٢ـ بالنسبة للفرنسيين فقد اتخذت التسجيلات عن هذه المعركة طابع الإيجازحيث ورد في كتاب (المدفعية في المستعمرات ص٢٩٠) ما يلي:

❁ـ "لقد نشبت بين الجيش والدروز معركة دموية خاسرة، سحق على أثرها هذا الجيش سحقاً". ولم يرد في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق، سرد لسحق جيش الجنرال ميشو. إلا أنّه ورد في الصفحة ٢٧٥ من الكتاب وفي خاتمته أنه سقط من رجال جيش الشرق الفرنسي في ساحات القتال التي خاض غمارها في فلسطين وسوريا والشرق ٢٧١ ضابطاً وتسعة آلاف جندي. طبعاً هذا الرقم غير صحيح لأن خسائر الجيش الفرنسي في معارك ٢ـ٣ آب فقط تزيد على ثمانية آلاف سقطوا وظلت جثثهم شهوراً مكدسة على أرض المعركة[٢].

❁ـ يضيف منير الريس في كتابه ص١٧٨ أن صحفيين ألمانيين كانا ضابطين في الجيش الألماني زارا ساحة المعركة بإذن من قيادة الثورة بعد المعركة بقليل، فصرحا بعد عودتهما قائلين:

إن ظفر بني معروف ومصرع الآلاف من الجيش الفرنسي بالأسلحة البدائية التي كان يحملها الثوار أمر لا مثيل له في الثورات التي نشبت في مختلف أنحاء العالم ضد الجيوش النظامية، والأمر الذي لا يكاد يصدقه العقل البشري أن يستطيع بنو معروف بالبنادق العتيقة والسيوف والمناجل أن يستولوا على المدرعات المجهزة بالمدافع

---

[١] مذكرات ح٨.

[٢] الريس ص١٧٨.

والرشاشات ويحطموها ويحرقوها لتقف في ساحة المعركة شاهدة على بطولات ومآثر لم يعرف تاريخ الثورات مثيلاً لها من قبل...

❁ ـ يقول الأستاذ سلامة عبيد في كتابه (الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر ص ١٣٧).

إن انتصار المزرعة كان أبرز انتصار حربي في تاريخ سورية الحديث، إذ لا تجد فيه يوماً أدعى للاعتزاز والخلود من يوم المزرعة ولا تجد نكبة حربية تقض مضاجع الاستعمار قبل تلك النكبة[1].

كانت المزرعة إذن العامل الرئيسي لإثارة الهمم كلما فترت لا في الثورة فحسب بل في تاريخ سوريا الحديث على امتداده، لذلك نجد أهم أهازيج الشباب في العراضات والمظاهرات:

عالمزرعة ويا شباب منهوي منكم نساها ـ وفرنسا صارت خراب بسيوفنا حطمناها

وقد كانت هذه المعركة أيضاً المورد الرئيس لتسليح الثوار بالأسلحة النارية الخفيفة وبعض المدافع الجبلية التي استعملها الثوار فيما بعد، ومن النتائج الهامة الأخرى امتداد روح الثورة إلى كافة المناطق السورية وإلى لبنان وفلسطين والأردن وانتقال زعماء الحركات الوطنية من دمشق ومن لبنان والأردن للمساهمة الفعالة في الثورة.

ز ـ قصائد وأشعار لمعركة المزرعة والمعارك الأخرى

وراح الشعراء والكتّاب والصحفيين يشيدون ببطولات المجاهدين وتضحياتهم وشجاعتهم. فهذا الشاعر خير الدين الزركلي في قصيدة القيت باحتفال لنصرة الثوار في القاهرة يقول:

الأهل أهلي والديار دياري ... وشعار وادي النيربين شعاري

إن كان في ذي قار من شرف لنا ... فنحن هذا اليوم في ذي قاري

---

[1] عبيد ص١٣٧.

وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدته المشهورة:

سـلام مـن صـبا بـردى أرقّ	ودمـع لا يكفكـف يـا دمـشق
ومعـذرة اليراعـة والقـوافي	جـلال الـرزء عـن وصـف يـدق
لحاهـا الله أنبـاء توالـت	علـى سمـع الـولي بمـا يـشق
يفـصلها إلى الـدنيا بريـد	ويجملـها إلى الآفـاق بـرق
دمُ الثـوار تعرفـه فرنـسا	وتعلـم أنـه نـور وحـق
وللحريـة الحمـراء بـابٌ	بكـلِّ يـدٍ مـضرجة يُـدقُّ
ومـا كـان الـدروز قبيـل شـر	وإن أخـذوا بمـا لا يـستحقوا
ولكـن ذادة وقـراة ضـيف	كينبـوع الـصفا خـشنوا ورقـوا
لهـم جبـل أشـم لـه شـعاف	مـوارد في الـسحاب الجـون بلـق
لكـل لبـوءة ولكـل شـبل	نـضال دون غايتـه ورشـق

وهذا الشاعر معروف الرصافي في قصيدة طويلة نقتطف منها ما يلي:

لله در بـني معـروف إذ صـبروا	علـى التجالـد مـا كلّـوا ومـا سـئموا
ولازمـوا الفقـر عاشـوا في مجاهلـه	عـيش القناعـة لا حلـو ولا دسـم
بـذاك حـبّهم الاوطـان يـأمرهم	إذ هـم سمـا حـب المـوطن اتـسموا
باتـت دمـشق لهـم ترنـو نواظرهـا	كمـا رنـا للطبيـب المـدنف الـسقم
أيـام لم يبـق مـن بيـت بغوطتهـا	إلا ذكـت فيـه نـار أو أريـق دم

فاستقتلوا في سبيل الذود عن وطن   صينت له من قديم عندهم ذمم

كانوا أشد مضاء من صوارمهم   فليس يثنيهم ثان إذا هجموا

وهذا الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدة نقتطف منها هذه الأبيات:

فمن غطارفة في جلق نجب   ومن غطارفة في أرض حوران

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم   عز الحياة وعز الموت سيّان

لا يصبرون على ضيم يحاوله   باغ من الإنس أو طاغ من الجان

أما شعراء المهجر فكانوا أكثر تأثراً من غيرهم لدماء الثوار وتراب الوطن، وعندما جئنا كوفد من طلاب الجامعة من أبناء الجبل إلى الشاعر رشيد سليم الخوري في الفندق في دمشق في الخمسينات نشكره على موقفه وشعره الغزير للثورة فأجابنا: أنا الذي يجب أن أشكر أسلافكم لدفاعهم عن تراب الوطن ولأنهم أعطوني المادة الصادقة لتسيل عواطفي شعراً وأدباً. وقد ذكرت له بعض الأبيات من قصيدته التي يقول فيها لقائد الثورة:

وثبت إلى سنام التنك وثباً   جسوراً علم النسر الوقوعا

فخرّ الجند فوق التنك صرعى   وخرّ التنك تحتهم صريعا

فيا لك أطرشاً لما دُعينا   لخطب كنت اسمعنا جميعاً

وفي قصيدة أخرى يقول:

فرنسا ليس في حوران لحم   يسر نبيكِ يا أم الضباع

وهل لاقيت في حوران إلا   مآسد خلتها جهلاً مراعي

رمـــــاح كالأفــــاعي مـــــشرعات وأقــــلام كأنيــــاب الأفــــاعي

أطلّـــي وأشـــهدي مـــنهم هجومـــاً تـــري وثـــب القـــلاع علـــى القـــلاعِ

وهذه مقتطفات للشاعر المهجري الياس فرحات:

يـــا ســـائلي عـــنهم أتجهلـــهم وهـــم الـــذين علـــى العلـــى جبلـــوا

وهـــم بـــني معـــروف همـــتهم بـــين الكواكـــب والـــورى مثـــل

البـــأس يركـــب كلمـــا ركبـــوا والحـــزم ينـــزل حيثمـــا نزلـــوا

والعـــدل يجعـــل شـــيخهم حمـــلاً فـــإذا ظلمـــت استأســـد الحمـــل

هـــم نـــاب ســـوريا ومخلبهـــا وهـــي اللبـــوءة والعـــدا هُمُـــلُ

بعض القصائد الشعبية للمعركة

إن القصائد الشعبية التي قيلت بعد هذه المعركة كثيرة وكثيرة، وكلها تقريباً من النوع الذي يغنى على الرباب أو غناء خيل (أغاني) أو أهازيج حربية (جوفيات) أو قصائد فن....... وكلها تردد في المهرجانات والحفلات والأعراس، وكان الشاعر صالح عمار من أكثر الشعراء الذين ترددت قصائدهم في الموضوع، علماً بأن قصائد نجم العباس كانت بليغة وغزيرة أيضاً: وهذه نماذج من تلك القصائد:

(صالح عمار في قصيدة: يا الله يا رب القدار)

قصيدة فن

يـــــا الله يـــــا رب القـــــدار يـــــا خـــــالق مـــــوج البحـــــار

تخمـــــد نـــــار الأعـــــادي يـــــا ربـــــي تعـــــز الثـــــوار

يـــــا ربــــــي تعــــــز الــــــدروز   عَ فرنـــــــسا خـــــــذون الفــــــور

مــــــــدافع ومتـــــــورة لـــــــوز[1]   وأحرقنـــــــا الدبابـــــــة بنـــــــار

الدبابـــــــــــة وأحرقناهـــــــــــا   والحملـــــــــــة ليناهـــــــــــا[2]

والعـــــــــــسكر خليناهـــــــــــا   مثـــــــل الــــــشمايل وغمـــــــار[3]

مثـــــــل الــــــشمايل صــــــاروا   لمـــــــا النــــــشاما[4] غـــــــاروا

واليتنانيـــــــــــة احتـــــــــاروا   مــــــن ضـــــرب ســـــيف البتـــــار

مــــــن ضـــــرب بـــــني معـــــروف   مــــــا ينحـــــــاهم درب الخـــــوف

يـــــا وقعـــــــة تـــــــل الخـــــروف   تـــــــشبه لوقعـــــــة ذي قـــــــار

يـــــا وقعـــــــة تـــــــل الحديــــــد   تـــــــسمع للمــــــوزر هويــــــد[5]

كـــــسبنا مـــــتر اليــــوز جديــــد   فرنـــــــساوي شـــــغل الــــــشطّار

وأخـــــــتم قـــــــصيدي الغـــــــالي   بحمـــــــــد الــــــــرب العـــــــالي

واللـــــــــي بيــــــصير للتـــــــالي   بيكـــــسب مـــــن قـــــصيد عمـــــار

---

[1] متر اللوز: سلاح يرمي الرصاص رشاً.

[2] ولیناها: استولينا عليها.

[3] الشمايل وغمار: القتلى فرادي ومجموعات على الأرض.

[4] النشاما: الأبطال المغامرين.

[5] هويد: دوي ـ هدير.

جوفية

قمت ابتدي بالخطاب　　عالحرب قاـ في بناها　　قمت ابتدي بالخطاب

بين حقوق الحراب　　واللي علينا أداها　　بين حقوق الحراب[1]

بالكفر من أول باب　　والحملة جاها بلاها　　بالكفر من أول باب[2]

بارودها والطواب　　بالعون علينا هداها　　بارودها والطواب[3]

عالمزرعة ويا شباب　　منهوي منكم نساها　　عالمزرعة ويا شباب

وفرنسا صارت خراب　　بسلاحنا حطمناها　　وفرنسا صارت خراب

اثنا عشر بالحساب　　ولا كاتب منهم حكاها　　اثنا عشر بالحساب

سوريا أم العروبة　　سلطان بسيفو حماها　　سوريا أم العروبة

نختمها برب الأرباب　　هالمعتلي بسماها　　نختمها برب الأرباب

ويفكنا من العذاب　　والعدو يقصر مداها　　ويفكنا من العذاب[4]

من ديوان صالح عمار: الديوان الشعبي بأسماء الشهداء المطبوع سنة ١٩٦١

---

[1] علينا أداها: علينا أن نؤديها.

[2] الحملة: الجيش الفرنسي.

[3] الطواب: المدافع.

[4] يقصر مداها: يضعفه.

جوفية

أرجوزة حماسية سريعة

يـــا الله ويللـــي حـــاجزاً مـــوج البحـــر   يـــا معتلـــي لنّـــك دعانـــا تـــسمعِ

تجعـــل ســـعدنا عاليـــاً فـــوق البـــشر   قيـــدو منـــا يـــشبه شـــبيب التبّـــع

لـــصار حنـــا نجـــوم وســـلطان القمـــر   خمـــس طعـــش[1] نيـــسان ويـــوم يطلـــع

غربـي الـسجن عالمزرعـة وشـرقي بـصر   الـــدم الفرنـــسي بـــالمواطي منقّـــع

أهـــل نجـــران تفـــازعوا عنـــد العـــصر   كـــسبوا الـــذخاير والكلـــل والمـــدفعِ

مـــشروبنا يـــوم اللقـــا الـــدم الحمـــر   عـــدونا كـــأس الـــصبر يتجـــرع

يـــوم اللقـــا منفخّـــت طبـــول الـــوزر   وســـيوفنا بـــروس الأعـــادي قطّـــع

كـم فـارس منـا علـى الخـصم انحـدر   مثـــل الـــصواعق مـــع بـــروق تـــشلع

وقلوبنـــا يـــوم اللقـــا مثـــل الـــصخر   صـــويبنا رد الوصـــايا ومـــا وعـــي

ميـشو[2] هـرب وترانكـا[3] هـج ومـا صـبر   تركـــوا طـــوابير العـــساكر قطّـــعِ

---

[1] خمس طعش: خمسة عشر.

[2] ميشو: قائد الحملة الفرنسية.

[3] ترانكا: قائد فرنسي آخر.

جوفية

أرجوزة حماسية سريعة

يــا الله ويــا ضــابطاً للكــلِّ بحــساب — يـــا رب ويـــا عـــالم بـــسر الخفيّـــا

جتنـا عـساكر مـا تنـضبط بالحـساب — عالمزرعـــة نـــصبوا خيـــام العليّـــا

جانـا المفـزع ينـادي الـوطن يـا أصحاب — يـــا بـــني معـــروف ويـــا أهـــل الحميّـــا

شـدوا البيـارق عالـسفر قبـل الغيـاب — وتحزمـــوا بمـــوزر[1] اليفـــري المنيّـــا

حـين الـضحى غربـوا بقلـب مـا يهـاب — حـــس المـــوازر مثـــل نغـــي القطيّـــا[2]

خاضوا المعـارك والبـزر[3] سكب الـسحاب — رزم المـــــدافع[4] والقنابـــــل دويّـــــا

دمروا التنكات[5] والعساكر والطـواب[6] — كـسبوا الـذخاير واسـتحقوا التحيّـا

عفـي النـشاما يـا وجـوه الأسـد وذيـاب — صـــنتوا هـــالوطن بالـــدما والـــضحيّا

يـا باشـا ويـاللي لـدم العـدا شـراب — يـــا بـــايع الـــروح بـــسوق المنيّـــا

---

[1] الموزر: بندقية الرصاص والجمع موازر

[2] نغي القطيا: إشارة لصوت تتالي الطلقات.

[3] البزر: الرصاص.

[4] رزم المدافع: دوي المدافع.

[5] التنكات: الدبابات.

[6] الطواب: الدافع.

جوفية

صالح عمار

رعــد هــدر قامــت بورقــه تــشلعي تحـدر سحاب مـن الـبرق طـار الـسما

يــا الله ويــا اللــي لــدعانا تــسمعي تظهــر سـعدنا عالخـصيم العايمــا

حنــا الــشمس هــاللي بحــره تــسطعي نــنعش الميــت اللــي بلحــده نايمــا

فرنـسا بغانــا مــن البحــور وفزّعــي[(١)] بالمزرعــة حامــت عليــه الحايمــا

الــذيب ينــده للــضبع كــدوا معــي فعــل بــني معــروف أحــسن ولايمــا[(٢)]

ممــدوح دمــه بــالخراب منقعــي[(٣)] زار اللحــود ولا قامــت لــه قايمــا

اللـي انيـسر[(٤)] واللـي صـويب يـضلع[(٥)] واللــي تــشتت بــالبراري هايمــا

ســامي بغانــا وللعــساكر جمعــي[(٦)] خــش الـوطن نـصب خيامـه وخيمـا

لحقــوا بــه أهــل العــبي المرقعــي[(٧)] جنـب الكفـر حامـت عليـه الحايمـا

الــسيف غــير بيــدنا مــا يــشبعي[(٨)] وفعالنــا تــشهد علينــا دايمــا

المرجلــة[(٩)] مــن راســنا مــا تطلعــي جتنــا وهــب مــن خــالق العوالمــا

---

(١) فزعي: أي جرد الجيش

(٢) ولايما: القتلى وليمة جيدة للوحوش.

(٣) ممدوح: إشارة للقائد اتركي ممدوح باشا الذي اندحر جيشه في منطقة خراب عرمان.

(٤) انيسر: راح اسير.

(٥) يضلع: يعرج.

(٦) سامي: إشارة لحملة سامي باشا الفاروقي سنة ١٩١٠.

(٧) العبي المرقعي: مرقعين العبي الفقراء الذين أجادوا في المعارك.

(٨) يشبع السيف: أي يرتوي من دم الأعادي.

(٩) المرجلة: الحماس للقتال.

الشاعر صالح عمار في قصيدة فن حربية عندما حاول الجيش الفرنسي فك الحصار عن القلعة.

يا فرنساوي شو جابك عَ هالبلاد	**ما منجيرها عادي[1] ونحط عداد[2]**
ما منجيرها عادي بها لبلاد	**منحميها بالهنادي وسيف البولاد**
من القلعة نيح بالك لا تزهى لك	**غير التعب ما ينالك يكفيك عناد**
انكنك صرت مكلفها ومسقفها	**بساعة وحدي نخسفها وندعيها رماد**
بفرد ساعة منحرقها ومنطربقها	**ورجالك منمزقها بسيوف حداد**
عشيرتنا العربية حربجية	**من مصر لسوريا حتى بغداد**
بيهون الموت علينا لو انتخينا	**والموازر بأيدينا تفري الأكباد[3]**
حسبتوها عوامي[4] ولحمة وبامي	**قبلك ممدوح وسامي[5] عافون الزاد**
وفزعتنا[6] لبنانية مع سورية	**فارسهم ينطح ميّي ولاهم بعاد**
للبلاد منحميها ومنفديها	**الرْواح الغالي نضحيها بسوق المزاد[7]**

---

[1] **نجيرها عادي: نمشيها عادي.**

[2] **نحط عداد: ندفع ضريبة مواشي.**

[3] **الموازر بنادق الرصاص.**

[4] **عوامي: حلويات مقلية بالزيت.**

[5] **ممدوح ـ سامي: قادة من الأتراك وخروا في الجبل.**

[6] **فزعتنا: نجدتنا.**

[7] **سوق المزاد: معارك المزاحمة إلى الموت.**

الشاعر البدوي (صبيح السرّاح) من بدو نجران يصف معركتي الكفر والمزرعة:

البارحة ما بت أنا الليل مشطون[1] يا رب لا تثقل علينا المصايب

يا هيه يا اللي للركايب تدنّون[2] شدوا عليهم عزمهم واللبايب

مرباعهم تسعين ليلة على الهون يرعوا الصحايح من رياض العشايب

ريضوا أودعكم شرب غليون وسيروا عليهم مثل النعام الهرايب

أخذوا بوصايتي لو نويتو تمدون عليهم أخو دوسه دليل الركايب

من دون سلطان الجبل لا تحيدون يا ما ذبح للضيف حيلا غصايب[3]

أحييت يا اللي نافل الراي[4] وفنون سلطان ساتر لاويات الذوايب[5]

غيم تحدر يمنا ماله ركون يضفي على روس العلا والجنايب

يمطر على حوران والكفر من دون يسقي رياض معذيات الطنايب[6]

هذول الأرفاض[7] اللي لينا يحكمون جينا وجينا هم على غير طايب

بعين موسى والطوابير حطون قامت تخالط عجهم واللهايب

---

[1] مشطون: مربوط بالحبل .

[2] تدنّون: يهيئون.

[3] الغصايب: الجيدة للذبح.

[4] ناقل الراي: سديد الراي.

[5] لاويات الذوايب: مصففات الشعر.

[6] الطنايب: أعواد الحبال الصغيرة التي تشد بيت الشعر.

[7] الأرفاض: السفلة المرفضون.

بالمزرعة بسوق المنايا يبيعون موزير هلل مثل رشق السحايب

رزم المدافع بأيمن وأيسر الكون تقول رعود الصيف بأول هبايب

البرق يشلع والقصف كان مجنون وصواعق ترمي النار كأنّه سكايب

شرابة الدم الحمر ما يكنون زخراتهم والخيل كله كسايب

قاموا على دهم الطوابير يمشون نار وعلقت بشناق زرع خصايب

عيال مدرز للعساكر يهبدون والدم لقرون النشاما خضايب

بزر المكرر يجعل العظم مسحون لا ماجزون الدور والعج قاطب

راحت على اللي بالفرنسي يرطنون عساكر وضبَّاط ولوا هرايب

أرزاقهم راحت تقطع بميت مليون خيول النقل ومدرعات الحرايب

كم وليد بملعب الجيش مرهون والعمر عند الله والي السبايب

يا شور أخو بلشه به النصر مضمون لولاه بحبس الروم رحنا جلايب

أخوات نصره بالشدايد يسدّون يا مالهم عادات يوم الحرايب

هوشوا [1] عند بلادكم لا تذلون مرحوم من شكوا عليه النصايب

سلطان ياللي دوم باسمك يهرجون كأنك قصر برزان عالي المراتب

وأختم كلامي باسم خالق الكون يا رب تنصر الأحرار ضد الأجانب

---

[1] هوشوا: قاتلوا.

جاد اللّه سلام سنة ١٩٢٥على أثر معركة المزرعة التي انتهت بنصر ساحق لصالح الثورة السورية الكبرى:

يـــا الله نطلبـــك الســـتّر   **يومـــاً فتـــل دولابهـــا**

شـــرابة الـــدم الحمـــر   **والـــذل مـــا نرضـــى بهـــا**

جـــرد علينـــا مـــن البحـــر   **عـــساكراً وطوابهـــا**

يـــوم انتنـــصب ســـوق العـــصر   **والـــسوم عنـــد رقابهـــا**

عـــافوا المـــدافع والزخـــر   **ومـــصفحات جابهـــا**

عـــساكر مثـــل البحـــر   **بـــني معـــروف ذيابهـــا**

وبلادنـــا مـــا هـــي قفـــر   **بالـــدم نـــروي ترابهـــا**

عاداتنـــا ذبـــح الـــوزر   **والمرجلـــة نغـــوى بهـــا**

عينيـــك يـــا للـــي مـــا حـــضر   **حنـــا كفينـــا غيابهـــا**

يـــا بنـــت يـــا عـــين الـــصقر   **ريـــح النفـــل بجيابهـــا**

لا تاخـــذين الماصـــبر   **يـــوم الخـــوي ينخـــي بهـــا**

وخـــذين خيّـــال النـــصر   **والمرجلـــة عيّابهـــا**

ثانية:

مـــن الـــسجن لبـــصر الحريـــر   **والخيـــل تاطـــا بالـــدما**

أهـــل المـــدافع والـــنفير   **للحـــشر ظلـــت نايمـــا**

اللـــــي وقـــع واللــــي أســـير	واللـــــي شـــــرد هزايمـــــا
يـــا ذيـــب والحـــق للعـــشا	طيـــــور المنايـــــا حايمـــــا
بـــــني معـــــروف باللقـــــا	وتجـــــــدعت عمايمـــــــا
ســــلطان باشــــا يـــا شـــوير	عـــــسى ســـــعودك دايمـــــا

* * * * *

الفصل الثالث

بعد معركة المزرعة

أ ـ حصار القلعة في السويداء

بعد معركة المزرعة سارع سلطان الأطرش برسالة مستعجلة إلى دمشق حملها الضابط محمد كيوان، خاطب فيها الدكتور الشهبندر ونسيب البكري وغيرهما من زعماء البلاد والقادة الوطنين، وذكرهم بالاتصالات السابقة معهم وشرح فيها الأوضاع الراهنة في الجبل كي يتخذوا التدابير اللازمة للمشاركة بالثورة الوطنية والنزول إلى ميدان الجهاد المقدس في أسرع وقت ممكن، وقد وقعها مع سلطان باشا الأطرش محمد عز الدين الحلبي وجاد الله الأطرش (مذكرات ح٨) وكان الثوار قد شددوا الحصار على القلعة بالسويداء واستخدموا المدافع الخمسة التي أصلحها العقيد فؤاد سليم بمساعدة المدفعيين من السوريين بعد أن غنموها بمعركة المزرعة، استخدموها لترمي بقذائفها من الجهات المختلفة على القلعة فتشعل فيها الحرائق وتفجر الذخيرة وتفتح في الجدران الثغرات الكبيرة والصغيرة، وقد تدارك الثوار نقص الذخيرة لهذه المدافع بجمع البارود والحشوات من قنابل الطائرات والمدفعية التي لم تنفجر في السويداء والقرى والسهوب التي سقطت عليها......

يذكر منير الريس: في كتابه ص٢٢٩، لقد عجزت الطائرات الفرنسية عن كشف مكان المدافع التي أحسن العقيد فؤاد سليم إخفاءها وتبديل أماكنها وكان أشدها تأثيراً على المحاصرين المدفع الكبير، فقد استطاع المدفعيون العرب بعد أيام من القصف أن يخرسوا مدفع القلعة وأن يحطموه ويقتلوا عدداً من الجنود، كما أن قذيفة من قذائفه اخترقت النافذة إلى مهجع في القلعة يلجأ إليه المحاصرون مزدحم بهم، فقتلت عدداً كبيراً منهم ما عدا الجرحى، فرفع المحاصرون الأعلام السوداء ونكسوا علمهم الكبير الذي كان يرفرف على القلعة لإظهار حزنهم.

ومن أساليب الدروز في تشديد الحصار على حامية القلعة، أن بعض المسلحين منهم كانوا يسيرون مع الفجر إلى المنخفضات القريبة من القلعة والتعاريج الأرضية التي لا يكشفها المحاصرون ويتحصنون فيها بانتظار النهار حتى إذا أقبلت الطائرات الفرنسية لتموّن القلعة وأخذت تحوم وتهبط لتلقي حمولتها، بادروها بنيران بنادقهم وهم الرماة المهرة ليصيبوا الطيار والمحرك، فتسقط الطائرة وتحترق أو تنفجر أمام أعينهم أو تفر تحمل طيارها الجريح، والطائرة البعيدة عن القلعة أو المرتفعة تلقي بحمولتها من مسافات بعيدة لتسقط الطرود والأكياس المملوءة بالمؤن والذخائر بعيداً بين أيدي الثوار ليستفيدوا منها، وكانت هذه الصورة تتكرر كل يوم لأن الطائرات الفرنسية كانت تأتي مضطرة لتموين المحاصرين يومياً (الريّس ص٢٣) ومن المؤسف أن أزمة المحاصرين من قذائف المدفعية لم تدم طويلاً فقد انفجرت سبطانة مدفع الثوار الكبير ونفذت الذخيرة للمدافع الأخرى وبقيت بنادق الثوار السلاح الأساسي لمعاركهم.

مفاوضات الصلح

جاء في مذكرات الحلقة التاسعة ما يلي:

قبل أن تجف دماء الآلاف من الجنود الفرنسيين وبعد معركة المزرعة مباشرة أسرعت فرنسا لطلب الهدنة ووقف القتال تمهيداً للمصالحة مع الجبل قبل اتصال الثوار بدمشق ولبنان والمحافظات الأخرى وخوفاً من الاستجابة للثورة العامة التي تهدد وجود الفرنسيين في المشرق.

في ٨ **آب سنة ١٩٢٥**: وصل إلى الجبل الوفد الفرنسي للمفاوضات مؤلفاً من ثلاثة أشخاص:

- الكابتين رينو: رئيس الوفد المعروف بمعارضته لسياسة كاربييه ومواقفه المعتدلة بالنسبة لمطالب الشعب في الجبل.
- يوسف الشدياق: ترجمان رينو المعروف بميوله الوطنية تجاه بني قومه.

ـ عبد الله النجار: مدير المعارف بدولة الجبل، ويشيد سلطان الأطرش بأنفته وعزة نفسه وخدمته الخالصة لأبناء عشيرته في الجبل واندفاعه الشديد لخدمة القضية الوطنية. في قرية الثعلة وفي اجتماع لأعيان الثورة طلب عبد الله النجار من قيادة الثورة تقديم شروطها للصلح التي قدمت ما يلي:

١ـ تبدأ المفاوضات مع أعضاء الوفد المشار إليهم مع إضافة الأمير فؤاد أرسلان.

٢ـ أقصى مدة للمفاوضات ثلاثة أيام.

٣ـ إطلاق سراح المنفيين والمعتقلين من شبان الجبل لمقابل تسليم أسرى الفرنسيين.

٤ـ توقف ضرب المدفعية وغارات الطائرات على قرى الجبل فورًا.

وقد رفض الجنرال ساراي هذه الشروط خاصةً مشاركة الأمير فؤاد أرسلان وإطلاق سراح الزعماء المنفيين .

في ١٢آب سنة ١٩٢٥ جرى اجتماع مع المندوبين الثلاثة في قرية عرى، ثم آخر في قرية المجيمر، فتقرّر:

ـ إعلان الهدنة وكان من الشروط:

أـ السماح بدفن قتلى الجيش الفرنسي بالمزرعة.

ب ـ مبادلة الزعماء المنفيين والشباب المسجونين بأسرى فرنسيين فوراً.

في ١٥ آب سنة ١٩٢٥. اجتماع المجيمر الثاني: تقرر فيه تشكيل وفد الثورة لدراسة الشروط التي تقدم بها الكابتين رينو باسم الجنرال ساراي من السادة: محمد عز الدين الحلبي ـ هايل عامر ـ سليمان عبدي الأطرش ـ فضل الله هنيدي.

وكانت شروط ساراي:

١ـ إعادة الأسلحة التي استولى عليها الثوار أثناء المعارك الحربية.

٢ـ القبول بعودة الحامية الفرنسية إلى سابق مراكزها في الجبل.

٣ـ التعويض لتجّار السويداء لما نهب من دكاكينهم.

٤ـ دفع غرامة حربية قدرها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية كتعويض عن هدر كرامة فرنسا.

وقد رفض سلطان الأطرش اللقاء مع الكابتين واكتفى بالاطلاع على سير المفاوضات من أعضاء الوفد.

وبعد الدراسة اعترض الوفد العربي على الشروط الفرنسية وتقدم بالشروط التالية:

١ـ إصدار عفو عام مصدق عليه من رئاسة الجمهورية الفرنسية وعدم التحقيق بحوادث الثورة.

٢ـ عدم إدخال قوات عسكرية إلى الجبل لتتمركز فيه.

٣ـ عدم تدخل المستشار الفرنسي بشؤون الحكم على أن يكون هذا المستشار الكابتين رينو نفسه.

٤ـ تشكيل حكومة وطنية جديدة للجبل.

٥ـ ينتخب الشعب حاكماً وطنياً ومجلس أعيان بإشراف لجنة خاصة منتخبة.

٦ـ لا تحول الحكومة الفرنسية دون رغبة أبناء الجبل إذا شاؤوا فيما بعد الدخول في الوحدة السورية.

٧ـ عدم نزع السلاح من أيدي الثوار.

٨ـ إلغاء وظائف المستشارين في الأقضية ووظائف أجهزة الاستخبارات الفرنسية السابقة (م. ج ٩).

يقول سلطان باشا الأطرش بمذكراته عن هذه المفاوضات:

بالرغم من موافقة العديد من وجهاء الجبل على تلك الشروط ورغبة عمي نسيب وعبد الغفار في حقن الدماء وتوطيد السلم ومثلهم أيضاً فريق من زعماء إخوتنا في لبنان الذين بعثوا إلينا بوفد للغاية نفسها مؤلف من المشايخ:

رشيد أمين طليع ـ فايز وفريد العماد ـ قاسم أبو شقرا ـ وهبة طليع ـ محمد عبد الصمد وغيرهم ..... لقد سألني صحفيان ألمانيان عن رأيي في قصة المفاوضات الدائرة

من أجل عقد الصلح مع الفرنسيين فقلت: إن الفرنسيين لا يسعون جدياً إلى الصلح أو السلم إنهم يريدون إلهاءنا ريثما تصل قواتهم العسكرية الجديدة التي بعثوا يستقدمونها من فرنسا ومن مستعمراتهم القريبة. ورفضت إعادة الأسلحة التي غنمناها بالمعارك ما دمنا على قيد الحياة. وقلت إنني لا أرضى إلا باستقلال سوريا ووحدتها الكاملة، وإقامة حكم وطني دستوري فيها.

جـ ـ تجريدة الثورة لتحرير دمشق ومعركة العادلية

من ١٥ـ إلى ١٧ آب وصل الجبل عدد من الوفود التي لم تؤيد الصلح وشجعت الثوار على المضي في الطريق الثوري الصحيح (م ج٩) جاء وبنفس المرجع ما يلي:

١ـ وصل إلى المجمير الشيخ محمد الأشمر يحمل كتاباً من بدر الدين الحسني يدعو فيه للثورة بالتوفيق ويبارك الخطوات الجريئة التي خطتها في سبيل التحرر.

٢ـ وصل إلى قرية الثعلة في ١٦ آب حديثة الخريشا على رأس قوة حوالي ١٠٠ فارس من بني صخر لمساعدة الثوار في الجبل.

وقد جاء بتشجيع السيد رضا الركابي رئيس الحكومة الأردنية.

٣ـ جاء إلى معسكر المزرعة إسماعيل الترك من حوران (الحريري) مع بضعة عشر فارساً معلناً استعداده للانضمام للثورة.

٤ـ في ١٧ آب سنة ١٩٢٥ وصل وفد الحركة الوطنية من دمشق: من السادة:

أسعد البكري ـ توفيق الحلبي ـ زكي الدروبي، وأعلنوا تأييدهم للثورة واستعداد المواطنين بدمشق للمشاركة الفعالة مع الثوار، وقد تم الاتفاق مع قادة الثورة بالجبل على إرسال حملة كبيرة من الجبل تلتقي مع حملة دمشقية مماثلة في جهات العادلية والكسوة لتشكلا جيشاً وطنياً يدخل العاصمة ليستولي على مراكز القوات الفرنسية فيها وتجريدها، وقد اختير موعد قريب لذلك ٢٤آب سنة ١٩٢٥ لكي لا تتاح الفرصة للفرنسيين لتجهيز القوات والجيوش للمقاومة.

أسندت قيادة حملة الجبل للسيد جاد الله الأطرش وكان الإقبال على التطوع فيها منقطع النظير حتى بلغ العدد حوالي سبعة آلاف من الهجانة والمشاة وثلاثمائة من الفرسان فيهم عدد كبير من الجبل مثل: حمزة درويش ـ جادو عزام ـ مؤيد مشرف ـ

سلمان القلعاني ـ معذى المغوش ـ زيد عامر ـ جبر شلغين ـ زيد الأطرش، كما انضم إليها نحو ثمانين فارساً من بني صخر قادمين من الأردن يقودهم عرقوب الخريشا ومثقال الفايز، وفريق من قبائل المساعيد والحسن بقيادة عودة السرور ومطر العدواني، وما كادت الحملة تقترب من الكسوة والعادلية حتى وجدت نفسها أمام قوات فرنسية كبيرة تسد عليها الطريق إلى دمشق، وإنها صبت عليها قذائف المدفعية والطائرات ورشاشاتها على ارتفاعات منخفضة، وقد صمدت في البداية وكبدت الفرسان السباهيين أكثر من أربعين إصابة، لكنها اضطرت أخيراً للتراجع أمام الضغط العسكري بنيرانه الكثيفة بعد أن سقط منها في ميدان المعركة نحو خمسين شهيداً منهم:

جادوا عزام (عريقة) ـ محمد فايز سلام ـ سعيد فارس (طربا) ـ خزاعي عجاج سلام (كسيب) ـ سعيد معذى المغوش (خلخلة)، وعدد من الجرحى منهم الشيخ مطر العدواني من قبيلة الحسن. وقد كانت معركة العادلية صدمة مفاجئة للثوار حققت نصراً جزئياً للفرنسيين، ومن أسباب الفشل عدم تمكن ثوار دمشق من المساهمة في هذه المعركة بسبب قرب المدة واعتقال الفرنسيين وملاحقتهم لعدد من القيادات الوطنية، وفي حالة التفكك والانقسام التي كانوا يعانون منها في حياتهم السياسية.

وقد جاء في أنباء الفرنسيين (كتاب جيوش الشرق) عن تجريدة العادلية ما يلي:

يوم ١٧ آب بينما كان الجنرال سوله خارجاً بسيارته وبرفقته الكابتين (دو كوتيل) لتفتيش الجنود فاجأته عند قرية المرجانية كوكبة من فرسان الدروز بإطلاق النيران الغزيرة من بنادقهم ففرت السيارة لكنها فوجئت بكوكبة ثانية قرب الكسوة وأطلقت عليهم النيران فأُصيب الجنرال سوله في فخذه وجرح الكابتين دوكوتيل في كتفه ونجت السيارة من الدروز. وجاء في أخبار الفرنسيين أيضاً: أن الدروز من المقرن الشمالي نسفوا جسر الدير علي قرب الكسوة ورابطوا عنده، قوة فرنسية كبيرة توجهت من دمشق فاشتبكوا معها خيلاً وسلاحاً وعتاداً.

ء ـ مؤتمر ريمة اللحف ومقرراته في مطلع أيلول ١٩٢٥

تشكيل القيادة

بدأ قادة الحركة الوطنية وضباط الجيش الفيصلي يصلون إلى الجبل بعد معركة العادلية مباشرةً إلى المقرن الشمالي عن طريق المرج والغوطة أو إلى المقرن الجنوبي عن طريق الأردن، ويذكر سلطان باشا الأطرش بمذكراته أنه يذكر منهم: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ـ شكري القوتلي ـ نسيب وبشير البكري ـ نزيه وسعد الدين المؤيد العظم ـ سعيد العاص ـ فوزي القاوقجي ـ سعيد الترمانيني ـ زكي الدروبي ـ منير الريس ـ جميل العلواني وغيرهم كثيرون سنذكر أسماءهم في جدول خاص، بالإضافة للقادمين من إقليم البلان ومن لبنان مثل السادة الأمير عادل أرسلان ـ رشيد طليع ـ شكيب وهاب ـ خطار أبو هرموش.

ـ مطلع أيلول سنة ١٩٢٥ مؤتمر ريمة اللحف

حضره عدد كبير من أعيان الجبل وقادة الرأي فيه مع الممثلين للحركة الوطنية بدمشق ومن يصحبهم وجمهور غفير من المواطنين، يقول سلطان الأطرش بمذكراته:

تجلت في هذا المؤتمر الوحدة الوطنية بأوضح معانيها، وانصرفت الجهود خلال جلساته لوضع قواعد هامة للتعاون بين جميع العناصر الوطنية في سوريا ولبنان لتقوية دعائم الثورة وتوسيع نطاقها وإيجاد الوسائل لتمويلها وتأمين السلاح لها، كما رسمت الخطوط الرئيسية لنظام جهازها القيادي وإدارتها السياسية والعسكرية، وأنهى المؤتمر أعماله بإعلان القرارات التالية:

١ـ متابعة الثورة حتى تنال البلاد استقلالها التام.

٢ـ تسمية سلطان الأطرش قائداً عاماً للثورة.

٣ـ تولية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر إدارة الشؤون السياسية للثورة وتسميته ناطقاً رسمياً لها (المدير السياسي الناطق الرسمي).

٤ـ تشكيل أركان قيادة الثورة من السادة: حمد عامر ـ فضل الله هنيدي ـ محمد عز الدين ـ عقلى القطامي ـ سليمان نصّار ـ حسين مرشد ـ يوسف العيسمي ـ علي عبيد ـ قاسم أبو خير ـ علي الملحم.

٥ـ الدعوة إلى حمل السلاح والانضمام إلى جيش الثورة في بيان عام تذيعه قيادة الثورة على الشعب السوري.

وقد بوشر بالعمل فوراً على إذاعة البيان وإرسال نسخ منه لبعض الصحف العربية.

(البيان على الصفحة التالية تتلوه البيانات الأخرى)

وبعد مؤتمر ريمة اللحف بدأت قيادة الثورة ترسل قوات استطلاعية لجمع المعلومات عن الحشود الفرنسية في حوران وقد وصلت أثناء ذلك بعض النجدات من لبنان وفي مقدمتها الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع والعقيد فؤاد سليم، وقد انضم الثلاثة إلى هيئة أركان القيادة العليا للثورة للإستفادة من خبراتهم ومؤهلاتهم العالية.

هـ ـ البيانات الأولى للثورة (١ ـ ٢ ـ ٣)

ـ إلى السلاح إلى السلاح

" يا أحفاد العرب الأمجاد! هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم، هذا يوم انتباه الأمم والشعوب فلننهض من رقادنا، ولنبدد ظلام التحكم الأجنبي عن سماء بلادنا، لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد أن سكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب ....!!

" أيّها السوريون! لقد أثبتت التجارب أن الحق يؤخذ ولا يعطي فلنأخذ حقنا بحد السيوف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة.

أيّها العرب السوريون!

"تذكروا أجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي، تذكروا أن يد الله مع الجماعة وأن إرادة الشعب من إرادة الله، وأن الأمم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغي،

لقد نهب المستعمرون أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا ، وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا إلى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنا وأقاليمنا.

"إلى السلاح أيها الوطنيون إلى السلاح تحقيقاً لأماني البلاد المقدسة ، إلى السلاح تأييداً لسيادة الشعب وحرية الأمة ، إلى السلاح بعد ما سلب الأجنبي حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الأماني القومية.

"نحن نبرأ إلى الله من مسؤولية سفك الدماء ونعتبر المستعمرين مسؤولين مباشرة عن الفتنة ، يا ويح الظلم ، لقد وصلنا من الظلم إلى أن نهان في عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم أجنبي محروم من المزايا الإنسانية بآخر من بني جلدته الغاصبين فلا يجاب طلبنا ، بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج.

إلى السلاح أيّها الوطنيون ولنغسل إهانة الأمة بدم النجدة والبطولة ، إن حربنا اليوم حرب مقدسة ومطالبنا هي:

❋- وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالاً تاماً.

❋- قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون أساسي على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة.

❋- سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش محلي لصيانة الأمن.

❋- تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان في الحرية والمساواة والإخاء.

إلى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها أجدادنا من قبلنا. إلى السلاح والله معنا والإنسانية ولتحيا سورية حرة مستقلة.

سلطان الأطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

ملاحظة:

يشير حنا أبي راشد إلى أن البيان وزّع على الصحف القاهرية باسم سلطان الأطرش في الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢٥ ومن بين الصحف الأوروبية كافة لم تنشره إلا صحيفة (لومانيتيه) الشيوعية في ٩ أيلول سنة ١٩٢٥ نقلاً عن الصحف المصرية.

البيان الثاني:

منشور عام إلى إخواننا السوريين (ص١٨٨ من كتاب فلاديمير لوتسكي) باسم الوطن السوري المقدس، وباسم استقلاله المبارك أحييكم وأحيي فيكم العروبة الصادقة، والأنفة القومية، واستصرخ منكم أمّة عربية مشت على مناكب الدهر محمية الذمار، ما حملت عاراً ولا كان بحماها شنار، واستنفركم لحرمة الجهاد الوطني يا خير من حمى الوطن وكنتم عنه ذادة أبطالاً، ونفر تم إلى موطن الشرف القومي خفافاً وثقالاً وأناديكم من معاقل الجبل المنيع، وهو داركم وسلاحكم وحرزكم وملاذكم، أن هبوا إلى المنافحة عن أوطانكم، أوطان آبائكم وأجدادكم وحطموا أغلال الاستعمار في دياركم، فقد هبت رياحكم فاغتنموها، ودرّت ضروع أيامكم فاحلبوها:

وبعض الحلم عند الجهل للذلة أذعان

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

أمّا بعد أيّها المواطنون إن ثورتنا الدموية هذه هي بعروتها وزرها ثورة القائم لتحرير البلاد من المغتصبين المستعمرين، هي ثورة سورية بعيدة المدى شريفة الغاية نصابها النفوس والأرواح والسلاح والعزمات الصادقات خالصة لوجه الاستقلال العربي، ففي سبيل استقلال بلادنا السورية حياة الأعزة نحيا، وفي هذا السبيل موت الكرام نموت....!

"لقد أوقدنا نار هذه الثورة الاستقلالية بعد أن رزحت البلاد تحت كابوس الاستعمار أعواماً خمسة ثقالاً ولسنا بتاركين من أيدينا سلاحاً ولا باغين من

الفرنسيين سلماً ولا اصطلاحاً حتى نبلغ بحد الحسام تمام المراد وهو تخليص كامل البلاد السورية العزيزة من احتلال المحتلين ونحن على مثل اليقين أن الوصول إلى هذه الغاية من السهل المستطاع ولا سيما وهي الغاية التي تفتديها الأمة بما عز لديها وهان، فلذلك أدعو سائر البلاد السورية ساحلاً وداخلاً، سهلاً وجبلاً لقدح زناد الثورة العامة في وجه الفرنسيين فمن أجاب هذه الدعوة الوطنية وسارع إلى القيام بهذا الواجب فهو العربي المخلص الأمين ومن تقاعس عن ذلك فهو الخائن لأمته وبلاده وسيلقى جزاء الخائنين.

"فيا أيّها العرب الأماجد أهل النجدة والنخوة، وحدوا مساعيكم وتعاقدوا بقلوبكم وتقلدوا سلاحكم وانشروا ألويتكم، واركبوا خيولكم وصابحوا العدو الجائس خلال دياركم ببارود الثورة وخذوا عليه الطريق وارصدوا له في المكامن وقطعوا الأسلاك وانسفوا واهبطوا على مخافره في كل مكان واقتلوه حيث تقتحموه، واغنموا سلاحه وعتاده وكونوا عليه جميعاً يداً واحدة واصبروا في القتال والجلاد إن الله مع الصابرين.

"لقد جاء اليوم الذي جاد الدهر علينا لتنجية بلادنا، بلاد أولادنا وأحفادنا من بعدنا من العدو الذي قد كفى ما أنزل بالبلاد من شر وخسارة وبوار تجارة وإرهاق وتعذيب وقتل وتغريب وهو اليوم في بلادنا أضعف منه غداً وأقل سلاحاً وجنداً، فقد توالت بميادين المغرب انهزماته ونُكست فيها أعلامه وراياته، وهو اليوم في الوطن السوري على حال أرق من الخيال وأقرب ما يكون من الزوال ودوام الحال من المحال فسارعوا إلى يومكم فهذا اليوم هو اليوم وهذا هو المجال، فالثورة العامة منجاة البلاد والعباد من الاستعباد وقد بلغنا إلى الآن من هذه الثورة العربية مبلغاً عظيماً محفوظاً بالنصر مؤيداً بالظفر فطردنا الفرنسيين من ديار الجبل وجواره، ونجد لدركهم في مقرهم ومحو آثارهم وقد كان لنا معهم معارك دموية ما الكلام عنها بمثل العيان.

"فقتلنا جند العدو تقتيلاً وغنمنا أسلحتهم وذخائره وأسرنا ضباطه وقواده وأسقطنا من أعالي الجو طائراته وافترسنا بالفوارس العربية دباباته، وأعلنا الحكومة العربية المؤقتة لتقوم بتدبير البلاد ريثما يتم طرد العدو، فيجتمع إذ ذاك

مجلس تأسيسي ليعين شكل الحكومة التي تختارها الأمة ورفعنا العلم العربي المربع الألوان على السويداء قاعدة الجبل وفي السويداء رجال وأقمنا الحكم ووطدنا الأمور والآمال بقوة من المولي المتعال وها قد أجمعنا أمرنا وأعددنا عدتنا وواصلنا الزحف على قوات العدو في كل جهة هو فيها حتى نأتي عليه، فلا نذره إلاّ أثراً بعد عين...

وهذا بلاغنا إلى جميع الموظفين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم، أن يكونوا أمناء على وظائفهم وأعمالهم على شريطة ألاّ يعاونوا السلطة المحتلة معاونة قلت ما قلت في جمع ضرائب ولا تجنيد ولا سوق عسكري ولا في أي خدمة تكون للعدو نوعاً من المدد والعون، فمن أقدم من أصحاب الوظائف الملكية والعسكرية على هذا عُدّ خائناً للبلاد يعاقب عقاب الخيانة الكبرى، ثم يجب على أولي الأمر بذل الجهد فلا يدعو في هذه الآونة العصبية التي تجتازها البلاد في حريق النار والدم مجالاً لوقوع الاعتداءات، فيجب صيانة الأموال والنفوس ورعاية المصالح والمحافظة على الأقليات، وتظل القوانين الحالية سارية مرعية الحرمة ومن يجرؤ على ارتكاب الخيانة للبلاد وللثورة يحاكم عسكرياً.

"فإلي اليوم الذي لاح صبحه وفيه تتحرر البلاد السورية العربية، يا أباة الضيم وعياف الذل اليوم الذي تتوحد فيه البلاد مستردة استقلالها المسلوب (لوتسكي ص١٩١).

سلطان الأطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

يؤرخ هذا البيان أمين سعيد في كتابه الثورة العربية الجزء الثالث ص٣٢١ إلى ٣١٥ بتاريخ ٢٣آب سنة ١٩٢٥ كالبيان الأول.

يشير البيان إلى تشكيل الحكومة المؤقتة، ويربط أكثر المؤلفين تشكيل هذه الحكومة بوصول الدكتور الشهبندر وعدد من زعماء حزب الشعب إلى الجبل، وثمة شكوك حول تشكيل مثل هذه الحكومة المؤقتة إذ لم تظهر لاحقاً أية آثار

تـدل علـى نـشاطها، إنمـا ظهـرت مـشاورات سـلطان مـع قـادة فـصائل الثـورة وقـادة العصابات لتشكيل مثل هذه الحكومة كما في كتابه للقائد سعيد العاص قائد الحملة على حمص وحماه الذي يشير فيه أنّه والدكتور عبد الرحمن الشهبندر بالمذاكرة على ذلك، ويبدو أن تشكيل مثل هذه الحكومة على مستوى البلاد السورية لم تتحقق وقد تمت تشكيلات أجهزة للسلطة الوطنية الثورية، وقد ظهرت مثل هذه الأجهزة المحلية للسلطة الثورية في جميع المناطق الخاضعة لسيطرة الثورة وجميعها كانت تطلق على نفسها اسم حكومة، لكنها لم تكن تطمح إلى القيام بدور حكومة لعموم سوريا.

البيان الثالث:

منشور عنوانه: الاستقلال يؤخذ ولا يعطى ـ الحرية والمساواة والإخاء

يا بني وطني:

لا تنافس في الأهواء ولا خصومات ولا أحقاد طائفية بعد اليوم، إنما نحن أمة عربية سورية، أمة مستضعفة قوية في الحق، قد انتبهت إلى المطالبة بحقها المهتضم، أمة عظيمة التاريخ، نبيلة المقاصد قد نهضت تريد الحياة والحياة حق طبيعي وشرعي لجميع الأمم، وقد قسمها الاستعمار الأجنبي فوحدتها مبادئ حقوق الإنسان وإعلام الحرية والمساواة والإخاء، نعم ليس هناك درزي وسني وعلوي وشيعي ومسيحي ليس هناك إلا أبناء أمة واحدة وتقاليد واحدة ومصالح واحدة ليس هناك إلاّ عرب سوريون.

يا بني وطني: ليس لكم بعد الآن على اختلاف المذاهب والفئات إلاّ عدو واحد هو الحكم العسكري الجائر والاستعمار الأجنبي، فانفروا إلى إنقاذ البلاد من أوضاعها السيئة وارفعوا علم الاتحاد والتضامن والتضحية، إن حركتنا اليوم هي حركة مقدسة غرضها المطالبة بالحرية والاستقلال وضمان حقوق البلاد على مبدأ سياسة الأمة فليتحد الدرزي والسني والعلوي والشيعي والمسيحي اتحاداً وثيقاً وليؤلف بين قلوبنا الإخاء القومي ومحبة الوطن ولتكن إرادتنا حديدية واحدة.

إن قائد جيوش الثورة الوطنية السورية المقدسة يطلب إلى كل العرب السوريين:

١ـ إعلان الإخاء الوطني بين كافة الطوائف.

٢ـ قيام الأحياء (الحارات) في كل مدينة بصيانة الأمن الداخلي كل بحسب جبهته عند دخول جيوش الثورة الوطنية وانهزام المستعمرين.

٣ـ دوريات ومخافر وطنية يمشي على رأسها الزعماء المخلصون المحترمون من الأمة لتأسيس الاتصال الداخلي لحفظ الأمن وصيانة الأموال ومنع التعدي.

٤ـ إرسال قوة محلية من المتطوعين إلى خارج المدينة أو القرية لاستقبال كتائب الثوار الوطنيين بالأهازيج الحماسية عند وصولهم باعتبار جميع أفراد الأمة جيشاً واحداً لهذه الثورة المقدسة.

"هذه التعليمات التي يجب أن يتبعها الشعب العربي السوري في المدن والقرى تأييداً للأخوة القومية والثورة الوطنية، ولتحيا سورية حرة مستقلة"

سلطان الأطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

يؤرخ أمين سعيد هذا البيان في ٢٣ آب سنة ١٩٢٥. يعقب هذا البيان في كتاب لوتسكي حديث صحفي لحنا أبو راشد مع سلطان الأطرش يعارض فيه بشدة عودة الحكم التركي والانتداب الفرنسي ويلمح إلى أنه لا يطمح إلى القيام بدور رئيس الدولة السورية، لكنه يريد تحرير سوريا ومن ثم تسليمها لمجلس وطني عام يسن قوانين البلاد ويختار شكل الحكم "لوتسكي ص١٩٤"

الفصل الرابع

معركة المسيفرة

أ ـ معركة المسيفرة (فذة في تاريخ الثورة)

بعد مؤتمر ريمة اللحف دعا قائد الثورة إلى الاجتماع في قرية "سهوة البلاطة" في السادس عشر من شهر أيلول سنة ١٩٢٥ وقد وصلت إلى الاجتماع رسالة من الثعلة من المجاهد محمد عز الدين جاء فيها ما يلي:

"نعلمكم أن الجيش الفرنسي قد تمركز في قرية المسيفرة ونصب خيامه على البيادر والأراضي المجاورة لها وحفر الخنادق ومد الأسلاك الشائكة حولها، وقد وصلت طلائعه إلى تلول خليف بحيث أصبحت تهدد قرانا القريبة بالخطر العظيم وقد اشتبكت خيالتنا معها مساء أمس وصباح اليوم، نقترح مهاجمة المسيفرة واحتلالها فوراً قبل أن تقوى شوكة الفرنسيين فيها وتغدو قاعدة حصينة لهم يشنون منها غارات علينا....."[1]

وبعد المشاورة بالاجتماع لم تجد القيادة التعرض للعدو في منطقة سهلة فقررت الانتقال إلى قرية كناكر الأقرب للحشود الفرنسية للالتقاء بعدد أكبر من القادة وأهل الرأي.

وهنا تغلب الحماس الشديد على الرأي السديد في خضم الأهازيج الحربية والنخوات الشعبية وبات الزحف العام على المسيفرة في ظلمة الليل الحالك أمراً لا مفر منه لمباغتة العدو وإبادته قبل السابع عشر من أيلول سنة ١٩٢٥. وهنا يروي سلطان الأطرش الوقائع بمذكراته كما يلي:

تقدمت الجموع بعد منتصف الليل بحذر شديد حيث توقفت قليلاً قرب تلول خيلف لتصل البيارق المتأخرة ويكتمل الحشد، ثم تابعت زحفها من جديد بعزيمة ثابتة وإرادة لا تقهر، وكان في المقدمة حملة البيارق من السويداء وأكثر القرى مع

---

[1] مذكرات ح١٠.

مشاهير القادة الأبطال مثل محمد عز الدين، نزيه المؤيد العظم، سرحان أبو تركي الديري، حمزة درويش، عبد الغفار الأطرش وعدد كبير من شيوخ الدين الأتقياء مثل سعيد الحجلي وسعيد الحناوي.

كانت القوات الفرنسية متحصنة داخل بيوت القرية وقد حفرت الخنادق والاستحكامات على محيط القرية مع خطوط الأسلاك الشائكة والعريضة والآليات المدرعة ومرابض الرشاشات الكبيرة ومدافع الميدان الثقيلة، وقد أشارت أكثر المعلومات لتعدادها بحوالي ألفي مقاتل بقيادة الكابتين " أندريا **ANDRIA**"[1]

حوالي الساعة الثالثة والنصف صباحاً أشرفت مقدمة الثوار على خطوط العدو من الناحية الشمالية الشرقية للقرية في سهل منبسط فسيح يمتد على مساحة واسعة ومن هنا انطلق عيار ناري نبه قوات العدو التي أخذت زمام المبادرة فأطلقت في الحال الأسهم المشعة التي أضاءت سماء المعركة وأمطرت الثوار بوابل من رصاص بنادقها ورشاشاتها ومدافعها أوقع أكثر من مئتي ثائر بين قتيل وجريح في السهل المكشوف لنيران أسلحتها الغزيرة، مع ذلك استمر هجوم الثوار العنيف فالتحم بعضهم مع الجنود في استحكاماتهم بالسلاح الأبيض واجتاز البعض الآخر بجياده الأصيلة الحواجز والأسلاك الشائكة ليدخل القرية ويحتل الجبهة الجنوبية الشرقية منها ويركز راياته فوق أسطحة المنازل وراح ينازل الجنود في تحصيناتهم داخل بيوت القرية وفي طرقاتها فاستولى الثوار بذلك على كثير من الأسلحة والذخيرة التي ساعدتهم على مواصلة المعركة داخل القرية كما استولوا على اصطبلات الخيول والعتاد والتموين.

في صباح ١٧ أيلول سنة ١٩٢٥ شن الثوار الذين لم يتمكنوا من دخول المسيفرة ليلاً هجوماً نهارياً لسحق مقاومة العدو إلاّ أنهم اضطروا للتراجع تحت ضغط نيران العدو المستميت وغارات طائراته التي بلغت سبعاً وعشرين غارة خلال ثلاث ساعات "الكتاب الذهبي لجيوش الشرق" أمطرت الثوار بسيل من نيران القنابل والرشاشات

---

[1] **نفس المرجع.**

أبعدتهم حتى قرية أم ولد ، لكنهم تقدموا بعد ذلك حتى تلول خليف وأرسلوا فصائلهم تهاجم الجناح اليساري والجبهة الغربية للحملة الفرنسية لتقطع طريق الإمدادات عنها وقد استولت على طريق درعا المسيفرة ثم طريق الكرك المسيفرة.

عند العصر تقدمت كتيبة الفرسان السباهية الفرنسية تهاجم الثوار داخل المسيفرة فتناخوا وأطلقوا أهازيج تشق عنان السماء واشتبكوا معهم في معركة حامية الوطيس ردت السباهين على أعقابهم قبل المغيب. وعندما خيم الظلام تنادى الثوار للخروج من القرية التي كانت مليئة بجثث الجنود والخيول، وغنموا كثيراً من الخيول والأسلحة ، خرجوا من المنفذ الوحيد نحو الشرق تحت وابل من رصاص العدو الذي تنفس الصعداء. وانفرجت أزمته بخروج الثوار من القرية تاركين الرايات منصوبة على سطوح المنازل لصعوبة نقلها بين الأسلاك الشائكة في الطريقة الطويل المعرض لرصاص الجنود المحصنين في خنادقهم.

يضيف سلطان الأطرش بمذكراته:

كان هذا الانسحاب صدمة لقيادة الثورة التي كانت تواصل الجهد لقطع اتصال العدو مع مراكز إمداده الرئيسية الثلاث "إزرع ـ خربة غزالة ـ درعا " لتشديد الحصار على الحملة والإجهاز عليها في مواقعها. وقد فقدت الثورة بذلك أهم عنصر من عناصر النجاح في الهجوم على المسيفرة. وأصبح من الصعب إعادة الوضع لما كان عليه. وتراجع الثوار تاركين حوالي ٢٠٠ شهيداً قدموا أرواحهم الطاهرة فدىً للوطن في سبيل التحرير والاستقلال منهم:

الشيخ سعيد الحجلي ـ والشيخ سعيد الحناوي والشيخ سلمان حمزة وأولاده الخمسة "يوسف وسليمان مهنا وسليم نصر الدين" كما استشهد المجاهد عطا الله العودة من مسيحيي أم الرمان وكان من ضحايا الغدر الفرنسي ثلاث من أعيان المسيفرة هم:

محمد الزعبي وعبد الحليم المصطفى وحمد الموسى أعدموا رمياً بالرصاص في أعقاب المعركة بسبب تأييدهم للثورة.

أما خسائر الفرنسيين فقد قدرت بتسعمائة قتيل وعدد كبير من الجرحى بالإضافة للعتاد والذخيرة والخيول[1]

يقول الأستاذ منير الريس:

معركة المسيفرة فذة بتاريخ الثورة

تعد من أكبر المعارك فخراً لأبناء معروف فلولا الطلقة النارية التي نبهت الفرنسيين في بداية المعركة لدخل الثوار القرية في الظلام وأجهزوا على الحملة في تحصيناتها.

استغل الفرنسيون انسحاب الثوار من المسيفرة وطبلوا وزمروا لنصرهم الوهمي وعرضوا الرايات التي تركها الثوار على سطوح المنازل كأنها رايات كسبوها في المعركة بعد قتل الجموع التي تسير تحتها. ومن دجلهم اعترفوا بعدد قليل من الضحايا "ضابط وخمسة وأربعين جندياً قتلى وأربعة ضباط وثلاثة وسبعين جريحاً من الفرقة الأجنبية وضابط وأربعة عشر قتيلاً من الرماة التونسيين "كتاب جيوش الشرق".

وهنا يذكر قائد الحملة أندريا في مذكراته وصفاً للهجمات قائلاً:

كثيراً ما أذهلنا الدروز بشجاعتهم الخارقة حيثما كانوا ينقضون على قواتنا المجهزة بالرشاشات وجهاً لوجه دون أن يتخذوا متراساً أو أي شيء يقيهم رصاصنا المنهمر حتى يبلغوا الاستحكامات ويقتلوا الجنود فيها.

وهذه مقتطفات من دوتي من جنود الصف الفرنسي: "في كتابه الفرقة الجهنمية" الفصل السابع والثامن وقد أوردها الأستاذ سلامة عبيد في كتابه" الثورة العربية السورية على ضوء وثائق لم تنشر".

كان علينا أن ننشئ موقعاً هناك في المسيفرة وأن نذود عنه مهما كلف الثمن، والمسيفرة مجموعة من البيوت الكئيبة ذات السطوح الترابية بتوسطها جامع، وكان من تبقى من السكان البؤساء فيها ينظرون إلينا شزراً، وما عتمنا أن علمنا أنهم

---

[1] مذكرات: المرجع نفسه (م ج١٠)

متواطئون مع العدو وأنهم يعملون لحساب الدروز، ينقلون إليهم المعلومات الكاملة عن تحركنا وعن قواتنا أيضاً.

بنينا ستة جدران صغيرة تحيط بالبلدة إحاطة تامة، ومن ثم جداراً واحدا في الوسط في الساحة العامة.

كانت المعاقل متباعدة إلى حد بحيث يظل العدو تحت المدى المجدي لنيراننا، إذا حاول أن يقوم بأي هجوم على القرية وتركز القائد وأركان حربة في بيت حجري محصن قرب الجامع وتركزت كوكبة الخيالة التي كانت ترافقنا وهي كوكبة الفرقة الأجنبية وفيها عدد كبير من القوزاق، تركزت في قلب القرية. وكان كل معقل وحدة مستقلة كفيلة بالدفاع الذاتي. كان كل واحد خلف متراسه وعليه أن يدافع عن خط طوله خمسة عشر قدماً "خمسة أمتار" ومن ثم طوقت هذه الجدران الدفاعية بخط رفيع من الأسلاك الشائكة.

كنا ننام دوماً وبنادقنا مشدودة إلى سواعدنا في مثل هذه المنطقة حيث كان الدروز بارعين لا يعرفون التعب في الزحف إلى داخل المعسكرات في الليل ليخطفوا من جندي غافل بندقيته ويفروا بها بعد أن يحزوا عنق صاحبها.

ولم نكن نكتفي بأن نشد بنادقنا إلى سواعدنا بل ننام فوقها أو نتوسدها وكان مجموع رجالنا في هذا المعسكر ستمائة على الأكثر[1].

وفي الساعة الثالثة والنصف صباحاً كان أحد الرقباء يتفقد المخافر فخيل إليه أنه يسمع صوت حجر يتدحرج في المنحدر المقابل للمعسكر من جهة العدو، ألصق أذنه في الأرض فسمع حجارة تتدحرج ووقع مناسم جمال فصرخ بصوته المدوي "إلى السلاح" راح النداء يتردد من معقل إلى معقل فوثبنا على أقدامنا واتخذنا متاريسنا وألقمنا بنادقنا وهكذا كنا على أتم الاستعداد في تلك الليلة الباردة القارسة. مرت برهة دون أن يحدث شيء........ كان قد حدث قبل هذا الإنذار في الليلة السابقة ولكنه كان إنذاراً كاذباً سببه أحد جنود الفرقة وهو برتغالي صغير شبه مجنون خيل إلينا أن ما حدث في هذه الساعة هو شبيه ما حدث أمس ورحنا نشتم أجداد ذلك

---

[1] **الكتاب الذهبي: يثبت أنها لواء وكتيبة على الأقل أي ثلاثة أضعاف ما يذكر دوتيه.**

الذي أيقظنا ، ولكن سرعان ما رأيت وميضاً يسطع في الظلام وأحسست برصاصة تئز فوق رأسي وفي الحال اشتعل الظلام بنيران البنادق وراحت جحافل الطلقات النارية تغني فوق رؤوسنا أو تئز على الجدران بأصوات شبيهة بمواء القطط. أطلق ضوء كشاف تشكف لنا على نوره أن المنحدر الذي يوجهنا والمسيل الفاصل بيننا وبين ذلك المنحدر وفي كل جهة من الأرض المحيطة بنا كلها تعج بأشباح تزحف بصمت. وما كاد الضوء يفضح سرهم حتى انفجروا بالهتافات المدوية الأشد شراسة وترويعاً. كنا نحن أيضاً نطلق النار ولكن المرء في مثل هذه المعركة يطلق النار وهو لا يعلم أنه يطلق، كانت المعركة في البدء معركة مربكة رهيبة لم يبق في الفضاء من الأضواء الكشافة إلاّ القليل وكان الليل حالكاً لا ينيره غير النيران المنطلقة من بنادقهم أو من بنادقنا إلا أن عدداً منهم تمكن من اختراق معاقلنا والوصول إلى داخل القرية حيث استطاع المعقل وقيادة الأركان المحصنة الثبات بعناد مستميت إلا أنهم تمكنوا من احتلال معقل الخيالة حيث قضي عل ٢٩ قوزاقياً الذين يحرسونه ومن ثم استولى المهاجمون على خيول الكتيبة وعندما بدأوا يفرون بها خارج القرية كان الفجر قد انبلج وأصبحت الرؤية أفضل وبما أن الحصان أكبر من الفارس فكان التسديد عليه وقتله أسهل وهكذا أخذنا نطلق النار على خيولنا ذاتها دون أن نفكر أنها خيولنا نحن.

نرمي الفرس فيرمي الفارس راجلاً فاقد الرجاء تطوقه نيران البنادق، قليلون منهم استطاعوا النجاة تحت حماية نيران إخوانهم التي كانت تنصب علينا من المنحدر ومن ثم طلع النهار فظن بعضنا أن كل شيء قد انتهى ولكن ما حدث لم يكن إلا مناوشة مناورة أولى من العدو نجحت إلى حد ما فقد حرمتنا من خيولنا وحولتنا إلى جماعة من المشاة، خلال دقائق كانت الشمس تشرق وراح نداء إلى السلاح ينطلق من جديد فوثبنا جميعنا إلى متاريسنا. كان المشهد الذي يواجهنا الآن مشهداً غريباً مشهداً مخيفاً رهيباً لم يكن الواحد منا مخموراً بنشوة المعركة كان الدروز يتدفقون فوق المنحدر وتحت أقدام التلة وكأن الأرض هي نفسها التي تميد

خمسة آلاف منهم خيالة ومشاة[1] كان المشاة بالمقدمة وخلفهم الفرسان وهم على استعداد لقيادة الهجوم خلال الثغرات التي تتركها فصائل المشاة.

كانوا جميعهم بملابس الحرب الخفيفة بستر قصيرة وبلا عباءات وكوفياتهم[2] الملونة تتماوج في الهواء كانوا يلوحون ببنادقهم هازجين مدمدمين وهم يتقدمون وفي طليعتهم ترف أربعة أعلام سوداء كبيرة تحف بأميرهم[3].

عادت رشاشاتنا وبنادقنا تدوي إلا أن تلك الكتلة البشرية كانت تتقدم صوبنا في هجوم ضار مستميت وهم يتصارخون بعزيف يشبه الجن مرددين:

يا الله - يا الله - يا الله !!

كانت موجة الهجوم تتكسر بين الحين والآخر على بضعة أمتار من متاريسنا وبين الحين والآخر كنت أستطيع أن ألقي نظرة خاطفة على ذلك المشهد الغربي الرائع، لقد استطاع الهجوم الأول أن يصل بعض المهاجمين إلى داخل القرية وقد كانت إلى يميننا ولكن دون أن يجتاحوا أي معقل من معاقلنا.

كان إلى جانبنا وبالقرب من ساحة القرية مزار "ضريح لأحد الأولياء" يتحكم موقعه بساحة البلدة وفي هجوم أشبه ما يكون بموجة تنساب فوق شاطئ رملي راح الأمير يتوج ذلك المزار بأعلامه الأربعة السوداء الكبيرة ثم هز حصانه ليستدير صوبنا.

وفي حركة واحدة ركز حرسه ذوي الألبسة الملونة تلك الأعلام فوق المزار وهم يغرسونها بعزم وقوة في الأرض كأنكما يقصدون منها أن تبقى هناك إلى الأبد ومن ثم ترجل بهدوء في ظلال بيارقه المرفرفة وأخذ يدير المعركة من هناك. وفجأة تغطت سطوح القرية بالقناصة من المهاجمين وراحوا يغمرون معقلنا بنيران لم نكن نستطيع الرد عليها بسبب انشغالنا بالهجوم المنقض علينا.

---

[1] ربما كان الخوف هو الذي جعل دوتي يرى الواحد عشرة.

[2] الكوفيات: أغطية الرأس الواسعة.

[3] الأعلام البيارق وهي غالباً باللون الأحمر.

كانوا يتقدمون من ذلك المنحدر متدفقين من حجر إلى حجر ومن جدار إلى جدار مثل شلال كبير ومن ثم يندفعون نحونا في تلك الأرض العراء وكانوا كثيراً ما داهموا متاريسنا رغم غزارة نيران بنادقنا المتدفقة من كل صوب وإن بعضهم والحقيقة تقال ماتوا في ظل متاريسنا تلك، وعندما كان كل شيء قد انتهى وجدنا جثة واحدة من أولئك الدراويش الشيوخ الجبليين ويداه متشبثتان بجدار متراسنا. لقد كان يهاجم رشاشاتنا على ما يبدو وهو أعزل من السلاح كان مسجّى هناك وأصابعه متشبثة في الزاوية الداخلية من الحاجز وقد تطاير فوقها رذاذ من دماغ جمجمته المهشمة وقد أدهشنا أن نعد في تلك الجثة ثلاثين إصابة من طلقاتنا كان الموقف يبدو ميؤوساً منه بالنسبة لنا. صحيح أننا استطعنا أن نثبت في معقلنا ولكننا لم نتمكن من منع تسلل تلك الجماعات إلى داخل القرية في حين كان القناصة من الثوار يمطرون معقلنا بوابل من رصاصهم، كانت موجات الهجوم متلاحقة لا تتخللها إلا فترات خاطفة من الاستراحة تتجدد فيها حماسة المهاجمين وانطلاقهم المستميت وهم يحدون، وهكذا كان حال معاقلنا الأخرى في مقاومتها فكأنما هي قوارب صغيرة يتقاذفها خضم هائج، لقد رأيت أولئك الجبليين المتعصبين يتقدمون نحونا وفي أجسامهم عدد من رصاصنا يتقدمون ليموتوا في أسلاكنا الشائكة حتى الجرحى كانوا يتابعون إطلاق النار كانوا مستخفين بالموت يطلقون النار بلا هوداة من وراء صخرة أو حتى في الأرض العراء حتى آخر خلجة من خلجاتهم، لقد مرت بي ساعات أحسست في بعضها وكأني أعيش حلماً لا حقيقة، فقد حرت لأنه انقض نحو متراسي فجأة عشرة من الدروز في هجوم مستميت فخيل إليّ أن حركتي قد شلت وذلك لأنهم كانوا جميعاً من الشيوخ بلحى مشعثة طويلة تتدلى فوق صدورهم وأحياناً حتى الركب.

تقدم أولئك الشيوخ القصير والقامة والغريبو المظهر متحدين نيراننا المركزة وكأنما هم أرواح سحرية من عالم غير عالمنا، ظلوا يتقدمون حتى أسلاكنا الشائكة ومن ثم وبحركة واحدة راحوا يقفزون من فوقها ولحاهم فوق ركبهم، وفجأة سقطوا جميعاً دفعة واحدة كانوا يحملون في جسومهم عدداً من الرصاصات

منذ اللحظة التي انطلقوا فيها من وراء الجدار وإني أجزم بأن العديد قد ماتوا وهم وقوف على أقدامهم في تلك الهجمات المتلاحقة.....

لقد تكوموا هناك حيث أخمدنا آخر خلجة من خلجاتهم بالقذائف اليدوية وفجأة ازداد الموقف تأزماً لقد كادت ذخيرتنا تنفذ والدروز يستعدون لشن هجوم جديد لكن زئيراً في الفضاء بدأ يدوي وعندما رفعنا عيوننا نحو السماء شاهدنا سبع أو ثماني طائرات تحلق فوقنا وتقصف الدروز ثم تنخفض أكثر فأكثر لتحصدهم برشاشاتها. ثم بدأت النجدات من الجيش تتوالى وبدأ انسحاب من تبقى من المهاجمين الذين كانوا قد احتلوا قسماً من البلدة بعد قتال مرير من بيت إلى بيت... وفي اليوم الثاني كان الشيء الذي أدهشني هو عدد القتلى من الدروز كانوا ممددين فوق الأرض العراء مبعثرين ما بين الجدران والمتاريس فقد كانوا مكدسين مثل أكوام من الثلج كورتها العاصفة، ثم بدأ تطهير القرية، كل القرية، ومن ثم أمر الكولونيل أندريا أن تجمع الجثث في صفوف أمام القرية لتكون عبرة إذ أن هذه القرية "المسيفرة" كانت تعتبر قرية طائعة قبلت الخضوع للسلطة الفرنسية ودفعت الضرائب إلا أنها أثبتت أنها قرية غدارة، وقدأرغم كل من وقع في الأسر من الدروز والحوارنة على نقل تلك الجثث وما كادوا ينجزون ذلك العمل حتى أعدموا رمياً بالرصاص وقد علمت أنهم أعدموا جميعاً، كان علي أن أشهد مأساة أخرى رهيبة لقد خسر أحد رفاقنا الألمان صديقاً له في تلك المعركة، فملأ صفحة من الماء وعمر مسدسه وأخذ يتجول بين الجرحى والقتلى الدروز فيقرب صفيحة الماء من الجريح حتى تلامس شفتيه ثم يفجر دماغه بطلقات مسدسه ومن ثم فقد سألت ألم تدفنوا القتلى من الأعداء فأجاب لا لم نفعل لأننا كنا مشغولين بدفن قتلانا، وإنما أمكن في بعض الحالات أن نحرق جثثهم أما الجرحى من الأعداء فلم نهتم بهم أيضاً.

يعتبر أكثر المؤرخين والرواة أن المسيفرة في تاريخ الثورة فخ كبير نصبته القيادة الفرنسية للإيقاع بالثوار واستعادة كرامة فرنسا المتمرغة بالوحل على أرض الكفر والمزرعة، لكن أكثر المؤرخين يتساءل مثل سلامة عبيد في كتابه ص١٥٣ :

لماذا تورط المجاهدون في مقابلة العدو في أرض سهلية مكشوفة؟

وكيف تعاملوا مع الفخ المنصوب؟ فلم يستمعوا لرأي سلطان الذي لم يحبذ تلك المغامرة..!!

ثم يجيب على ذلك التساؤل بإيراد العوامل المرجحة للهجوم وهي:

١ـ نشوة النصر التي كانت لا تزال عارمة في نفوس الثوار تزيدهم حماساً بعد معركة الكفر والمزرعة.

٢ـ فكرة المباغتة واعتقاد الثوار أنه يمكن الانتصار على الحملة قبل وصولها إلى الجبل دون التقيد برأي القائد الذي لم يكن دائماً ملزماً لكل ثائر!!!

ويذكر من عوامل فشل هذا الهجوم: فقدان عنصر المباغتة وبسالة الطليعة المتمركزة بالمسيفرة من أفراد الفرقة الأجنبية ومهارتها القتالية .

ومع أن المسيفرة ربما كانت فشلاً لكنها تبقى واقعياً من أشد المعارك شراسة وأقواها تعبيراً عن البطولة والإقدام!!

ء ـ المرحلة التالية لموقعة المسيفرة وإنقاذ الحامية المحاصرة في القلعة

نترك الحديث هنا للكتاب الذهبي الفرنسي كما فعل الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص١٥٥.

"أصبح إنقاذ السويداء فرضاً لازماً على أن وسائل جيش الشرق لم تمكنه من أن ينشط إلى هذا العزم إلا في شهر أيلول عندما وصل فيلق الرماة التونسيين السادس عشر الذي تكون منه جيش الإنقاذ ، فتوافدت قوات هذه الجيش إلى المسيفرة في ٢٢ أيلول حيث اشتملت على العناصر الآتية بقيادة الجنرال غاملان:

أ ـ المشاة بإمرة الكولونيل أندريا:

اللواء الخامس من الفيلق الأجنبي الرابع.

ثلاثة ألوية من الرماة التونسيين.

ثلاثة ألوية من الرماة الإفريقيين

لواء من الرماة السنغاليين.

ب ـ الخيالة: بإمرة الكولونيل ماسيت:

أربع كوكبات من فيلق الصباحيين المراكشيين.

كوكبة من فيلق الصباحيين التونسيين.

كوكبة شركسية بقيادة اليوتنان "كوكبة"

جـ ـ المدفعية: ست كوكبات مدفعية:

بطاريتان من عيار ٧٥ (البطارية أربعة مدافع).

بطاريتان من عيار ٦٥.

ء ـ شعبة فنية هندسة.

هـ ـ كتيبة دبابات مصفحة.

ز ـ قافلة الذخيرة بإمرة الكولونيل كورنيه:

تحمل ١٦ طناً من الخرطوش و٢٤ طناً من الذخائر و٣٠٠ طناً من المؤن و١٨طناً من الماء و٥أطنان من البنزين.

ح ـ المصلحة الصحية "سرية واحدة".

أعد غاملان الحملة الكبيرة للتقدم إلى الجبل على الشكل السابق، وكانت الطائرات الفرنسية تقصف السويداء كل يوم تقريباً، وعشية الهجوم في ٢١ أيلول ألقت الطائرات الفرنسية البيان الآتي على قرى الجبل[١]:

(من الحكومة المنتدبة إلى سكان جبل الدروز)

أيّها الدروز: اقتربت الساعة التي تعرفون فيها قوة جيشنا والتي ستتحملون فيها نتائج ثورتكم لقد أختبرتم مضاء سلاحنا في معركة المسيفرة وإنه لواجب أن نذكركم أن فرنسا لا تقاتلكم وهي مدفوعة بعامل البغض لكنها تعاقب المجرمين كلاً بحسب جرمه.

---

[١] فلاديمير تروتسكي ص٢١١.

إن الأشخاص ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح ويقدمون خضوعهم سيكونون في مأمن فيما إذا استسلموا لأحد مخافرنا. وكذلك نضمن الحياة للشيوخ الذين يأتون إلى دمشق لتقديم خضوعهم.

أيّها الدروز: عودوا إلى رشدكم وقدموا خضوعكم، إذ لا يزال لديكم وقت للخضوع......

ألقوا السلاح، وتقلدوا بدلاً منه المحراث لإنبات أرضكم فذلك خير لكم ولمستقبلكم.

ـ لم يعط هذا البيان النتيجة المرجوة منه، فلم يستسلم أحد من الثوار. وفي اليوم نفسه ردّ سلطان الأطرش عليه بسخرية مرة فقال:

تناولنا اليوم دعوتكم الكريمة إلى السلم مع القنابل المتفجرة من الطيارات فلم يزدنا هذا التناقض الغريب علماً بالوضعية الحاضرة. إن ما جاء فيها من التهديد المشوب بروح العطف يلفت الأنظار لأن الجيش الذي اقتحم سوريا هو كطياراتكم من عادته عند سنوح الفرصة أن ينفذ صامتاً خطط الفتح من غير الالتفات إلى عويل الأمهات وبكاء الأطفال.

تذكرون مضاء سلاحكم في معركة المسيفرة ولم تذكروا مضاء العزائم التي غنمت هذا السلاح في عقر استحكاماتكم وسحبت الخيول من أيدي أصحابها المقتولين في سبيل الفتح والاستعمار، وإذ كانت فرنسا كما تقولون لا تقاتل مدفوعة بعامل البغض بل تعاقب المجرمين بحسب جرمهم فثقوا أننا لا نقاتل إلا دفاعاً عن الشرف القومي الذي عبث فيه موظفوكم والحرية التي مات تحت أقدامها رجال ثورتكم الباهرة....

تقولون إن الأشخاص من ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح يكونون في مأمن على حياتهم إن بين البصيرة وترك السلاح تناقضاً ما كنا لندركه لو لم يكن له سابقة على عهد الحكومة الوطنية السورية لما آمنت بمواعيد أسلافكم فحلّت جيشها في أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ وحكم على زعمائهم بالموت في أوائل أغسطس، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وقبل الوقوع بمثل هذا الفخ عليكم أن

تبيّضوا الصفحات السوداء وتعيدوا إلى الشرق حسن السمعة التي كنتم تتمتعون بها قبل أن تطأ أقدامكم هذا الوطن المقدس.

تدعوننا إلى إلقاء السلاح وأن نتقلد بدلاً منه المحراث، إننا ما حملنا السلاح إلا دفاعاً عن هذا المحراث الذي هو فخرنا إننا نريد أن نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولأولادنا ولكن إذا كانت ثمرة أتعابنا تذهب إلى بطون رجال أمثال من غرمونا آلاف القروش لفقد هرة في السويداء وصفعوا أشرافنا وخيارنا لاستنزاف أموالهم فإن السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث.

إننا نرغب في السلم من صميم الفؤاد... ونمد إليه أيدينا ولكن على الشروط التي أذعناها في منشوراتنا السابقة.

اتبع بعد ذلك سلطان الأطرش الدعوات لاستنفار القرى وهذا نموذج من دعوات الاستنفار التي عممت على قرى الجبل لتلبي الجهاد[1].

الثعلة ـ ولغا ـ ريمة حازم ـ قنوات ـ مفعلة

"حضرة بنو عمنا بيكوات وأعيان ووجوه القرى المحررة أعلاه الأفخمين"

تحية وسلام نبدي الآن واصل طية صورة عن القرار الذي اتفقت عليه الآراء.
- الأمل بعد الاطلاع كل قرية منكم على مندرجاته (على ما جاء فيه) العمل بموجبه ثم مؤمل حضوركم جميعاً خيلاً ورجالاً وبيارق مع زهاب (مؤونة أربعة أيام) والميعاد يوم الخميس القادم في ٤ جمادى الأول سنة ١٣٤٤ بقريتي عرى والمجيمر وها نحن مع عموم الدروز بانتظاركم والأمل عدم التأخير كون الأمر لازم وضروري وسلامنا لمن عندكم وأدام الله بقاكم.

أخوكم " سلطان الأطرش "

معركة السويداء الأولى ٢٣ ـ ٢٦ أيلول ١٩٢٥م

بدأ الجيش زحفه مبكراً صبيحة ٢٣ أيلول في تمام ا لخامسة والنصف من شرق المسيفرة باتجاه السويداء[2] وفي تمام الساعة الثامنة التأمت الصفوف جميعها في

[1] مذكرات ح١١.

جبهة عريضة تحميها من الجانبين كوكبات الفرسان الموزعة على جانبي طريق الزحف بين المسيفرة وتل الشيخ حسين حتى احتلت تل الحديد وراحت تصب قذائف مدفعيتها الثقيلة وقنابل طائراتها على مواقعنا المحيطة بالمدينة من الشمال والغرب والجنوب.

لقد كانت المعركة عنيفة وشديدة تمكن الفرسان فيها فرساننا ورجالنا من صد هجمات العدو المتتابعة وأحبطت خطته في الوصول إلى رساس وكوم الحصى والشقراوية قبل ظلام الليل وكبدته خسائر كبيرة في العتاد والأرواح، وقد ورد في المذكرات ما يلي:

في صباح اليوم الثاني ٢٤ أيلول، شن الفرنسيون هجوماً كبيراً فتحوا به ثغرة واسعة في الشمال الغربي من جبهتنا وانطلقوا منها إلى مدينة السويداء وتمركزوا داخل قلعتها الحصينة وفي الهضاب المحيطة بها، ثم راحوا يعملون نهباً وتدميراً وحرقاً في بيوتها وينتهكون حرمات مجالسها، ومقامات الأولياء فيها كمقام الشيخ عثمان ومقام مار الياس ومقام عين الزمان التي اضرموا النار فيها بعد أن سلبوا أثاثها وسائر موجوداتها، وقد سارعنا لضرب الحصار عليهم وقد أثّر العطش بهم بعد قطع الثوار لمياه عين قينه عن المدينة فحاولوا جلب الماء من قرية مصاد المجاورة لكنهم أخفقوا وقتل منهم أربعون جندياً، وعندئذ أيقن غاملان بالهلاك إذا بقي رهن الحصار المضروب عليه فآثر الانسحاب مساء يوم ٢٦ أيلول. كان جيش غاملان المهزوم يضرب خيامه في المسيفرة لاستدراج الثوار إليها مرة ثانية لكنه لم يفلح فنظم قواته وعاد يتحرك من جديد باتجاه السويداء اعتباراً من أول تشرين الأول فاحتل قرية خربا وأحرق دار المجاهد عقلة القطامي أحد أعضاء قيادة الثورة.

ثم صب قنابل مدافعه وطائراته على تجمعات الثوار متقدماً حتى وصل غرب المجيمر فاحتل تل الحبس قرب تل غسان، استخدم بعدها سلاح الطيران والمدفعية بمعركة ضارية استشهد فيها المرحوم نسيب الأطرش وعدد من الثوار انتهت إلى احتلال بلدة عرى وبات الجيش فيها واتخذ غاملان من دار عرى مقراً لأركان حربه.

---

(٢) الكتاب الذهبي ص١٥٢.

وقـد هـدد الأمـير حمـد الأطـرش بنـسفها وتهـديمها بالـديناميت ممـا اضـطره إلى الاستسلام للفرنسيين في ٢ تشرين، وقد أثار هذا الاستسلام غضب سلطان الأطرش فـدعا لاجتمـاع طـارئ علـى نبـع عـرى قـرر فيـه خلـع الأمـير حمـد مـن زعامـة الجبـل وتنصيب الأمير حسن بن يحيى الأطرش زعيماً مكانه[1] وكـان قد أبلى بـلاء حسناً في المعارك السابقة خاصة في معركة تل الخروف.

معركة رساس الرهيبة

لم تتوقف الحملة الفرنسية في عرى حيث زحفت في اليوم التالي نحو السويداء فدخلت قرية رساس عنوة مصطحبة معها الأمير حمد الأطرش وراحت تتهيأ وتستعد لاجتيـاح مدينـة الـسويداء لكـن الثـوار زحفـوا مـن كـل جانـب وصـوب بفرسـانهم وبيارقهم وأهازيجهم الحربية وأحاطوا بها من كل جانب بمعركة رهيبة استمرت ثلاثة أيام عرفت بمعركة رساس تكبد فيها العدو خسائر فادحة في الجنود والعتاد وأسـقط لـه الثـوار طيـارتين بـنيران بنـادقهم فاضـطر للانـسحاب مبكـراً باتجـاه تـل الحديد حيث مني عند العصر بانكسار شنيع عندما لاحقه المجاهدون حتى المزرعة ثانيـة حيـث رقـد جنـودهم ليلـتهم في خيـامهم يرتعـدون بـين حطـام الـدبابات وجمـاجم وعظـام قـتلاهم وشـبح معركـة المزرعـة المخيفـة حتـى الـصباح فواصـل هزيمتـه حتـى المسيفرة ثم إلى حوران يجر أذيال الفشل. وقد ذكـر الـدكتور الـشهبندر الـذي كـان في المنطقة أثناء تلك المعارك ما يلي:

لاحق المجاهـدون الحملـة بعـد انـسحابها مـن رسـاس وعلـى رأسـهم الأمـير حسن الأطرش ويوسف بيك الأطرش وسعيد العاص وفؤاد سليم وحمد عامر وزيد الأطرش وحمزة درويش وصياح الحمود وفضل الله باشا هنيدي وكانت خسائر العدو عظيمة بينها طيارتان وقتلاه تملأ السهل أمام رسـاس، لكننـا فقـدنا رجـلاً لا تعادلـه الرجـال هـو المرحـوم حمـد بيـك عـامر وجـرح أيـضاً فـضل الله باشـا هنيـدي ولمـا ظهـرت بـوارق الثـورة في سـوريا رأى الجنـرال غـاملان شـدة الخطـر المحـدق بالفرنـسيين فاضـطر إلى الانسحاب من الجبل نهائياً.

---

[1] نفس المرجع.

طبّل الفرنسيون وزمّروا وأقاموا الحفلات والمهرجانات من دمشق حتى بيروت حتى باريز ابتهاجاً بإنقاذ حاميتهم المحاصرة بقلعة السويداء واعتبروا هذا الموضوع نصراً كبيراً لاستعادة معنويات جيشهم وهيبة دولتهم. وأذاعت الصحافة الفرنسية والإعلام بعد دخول السويداء الأخبار التي تقول إن الانتفاضة الثورة قد انتهت وكتبت إحدى الصحف الفرنسية شبه الرسمية تقول: إن انتفاضة جبل الدروز لم تعد موجودة الآن[١] وكتبت صحف أخرى تقول أن هذه الثورة ليست سوى انتفاضة محلية ذات طابع محلي وقد انهزم الدروز نهائياً هذا اليوم[٢]. لكن على أرض الواقع كل هذا الابتهاج والتطبيل والتزمير كان سابقاً لأوانه، فلم يصمد المنتصرون بالسويداء أكثر من ٣٦ ساعة اضطروا بعدها لترك المدينة على عجل والعودة إلى مواقعهم السابقة. باءت العملية كلها بفشل ذريع، حيث كانت النتيجة الوحيدة للحملة تحرير الحامية الفرنسية التي ظلت محاصرة في قلعة السويداء قرابة الشهرين وقد تم تدمير المدينة أثناء انسحاب القوات[٣]، بعد فشل العملية زعمت القيادة الفرنسية أن الهدف من الحملة كان تحرير الحامية الفرنسية المحاصرة. رغم أنها كانت قد أعلنت قبل بداية الحملة أنها سوف تخمد الثورة في عقر دارها بصورة نهائية[٤].

وأخيراً اعترفت القيادة الفرنسية بأن سبب فراراها من السويداء كان عجزها من حيث المبدأ من مواجهة تكتيك الأرض المحروقة حيث كانت المياه والمواد الغذائية معدومة في السويداء والقرى التي حولها. حتى أن القوة التي أرسلت لجلب المياه من مصاد وهي مؤلفة من أربعين جندياً مغربياً فقد أسرها الثوار بمجموعها[٥].

انتعشت نفوس الثوار في الجبل بعد هذا الانسحاب خاصة وقد وصل المجاهد رشيد طليع مع بعض الإعانات التي بدأت تصل من المهجر. وتجدد الاتفاق مع الدكتور الشهبندر لمهاجمة دمشق ثانيةً واستؤنفت الثورة في حماه وضواحيها. ولم

---

[١] Le Temps ٢٩/٩/١٩٢٥ .

[٢] Neue Ziicher ٢٤/٩/١٩٢٥

[٣] Lhmuanite ٣٠/١٠/١٩٢٥

[٤] Lhumanite ٣٠/١٠/١٩٢٥

[٥] **أمين سعيد: الثورة العربية الجزء الثالث صفحة ٣٢٣.**

يتمكن الجيش من الانسحاب بسهولة، فقد صدمه الثوار في عدة مواقع مثل عرى والمجيمر ورساس.

"يقول لوتسكي في كتابه ص٢١٨": إن الفرنسيين اضطروا للتراجع قرب المجيمر بعد معركة عنيفة مع الثوار استمرت عدة ساعات تكبد فيها الفرنسيون خسائر فادحة وقد استولى الثوار كما تفيد معلومات قيادتهم على بطارية مدفعية ورشاشات كبيرة وصغيرة وكمية من الذخيرة وأسروا (٢١٠) جنود. وقد قاتل الدروز في هذه المعركة جنباً إلى جنب مع أبناء حوران وهنا تغلب الحقد المشترك ضد المستعمرين على العداء الذي كانت الطبقات المسيطرة تؤججه على مدى العصور. وبعد أن فشل الفرنسيون في الاستيلاء على المجيمر اكتفوا باحتلال قرية عرى فاستسلم الأمير حمد الأطرش وقد أحرقوا بيت زعيم مسيحيي الجبل عقلة القطامي في خربا وقد اضطروا لتغيير خط انسحابهم فساروا عن طريق المزرعة والمسيفرة ثانيةً حتى حوران.

((بيت حمزة))

يقول الدكتور الشهبندر في مذكراته عن معركة المسيفرة ص (٤١ـ٤٢) ما يلي: لقد ظهرت البطولة العربية في الجبل في أضخم مظاهرها وأعظم شدتها. وحسبي أن أذكر القصة الآتية للدلالة على المفاداة الغالية والوطنية الصادقة والشجاعة الفائقة التي بدت في تلك الأيام.

بيت حمزة

في "رساس" أسرة تدعى "بيت حمزة" كان على أبنائها حماية العلم ـ العلم الذي يحمله الغزاة من أهل هذه القرية، فلما نفروا إلى حرب المسيفرة نفر معهم رب هذا البيت وهو شيخ مسن في نحو الثمانين من العمر ومعه أولاده الأربعة وقد اتخذ لنفسه إسقاء المجاهدين من قربتين حملهماعلى بعيره لهذه الغاية، وأما أولاده فالدفاع عن علم "رساس".

حدث أن الأول منهم حمل هذا العلم وتقدم به أمام أهل قريته حتى كاد يطأ استحكامات الفرنسيين فسددوا عليه بنادقهم فقتلوه، فتقدم أخوه يعمل محله ولكن أصابه ما أصاب أخاه فخر بجانبه. ولما تقدم الرابع للقيام بالواجب حاول الرساسيون عبثاً أن يثنوه عن عزمه رحمة بالعجوزين أمه وأبيه ولكنه أبى الالتفات إلى ضراعتهم وما زال يمشي حتى وصل إلى العلم وإلى إخوته القتلى بجانبه وما كاد يرفعه ليلوح به لأهل رساس حتى أصابه ما أصاب إخوته فخر صريعاً مثلهم.

أما الشيخ الذي كان يسقي المجاهدين فقد عاد في مساء اليوم التالي من المسيفرة محملاً على ظهر بعيره لأن شظايا قنبلة أصابته من الطيارة، وهو غير عالم بحديث أولاده فأنزلته زوجه وانحنت عليه تقبله طيلة ليلها وهي تدعو ربها أن يعجل برجوع أولادها ليخففوا عنه ألم الجراح، لكن دعاءها لم يستجب وآمالها لم تتحقق وقد انتظرتهم حتى الصباح فلم يعودوا فأخذ قلبها يخفق وأطرافها ترتعش لأن التغيب في مثل تلك الأيام نذير مبين.

شعرت الوالدة برعشة الفراق بعد أمل التلاقي فأخذت تنظر في وجة الشيخ الراحل وتقبله قبلات حارة وكأنها تحمله منها ما يستطيع حمله لفلذات كبدها المضطجعين بجانب استحكامات المسيفرة وكانت في بعض الأحيان تنحني عليه وتهمس بأذنه كلاماً لم يفهمه أحد من الموجودين بجانبها وأخيراً خارت قواها فتمددت بجانبه صامتة من هول الموقف وشدة الألم.

جاءني أهلها إلى بيت متعب بيك الأطرش يستنجدون بي لإسعافها فذهبت معهم على الفور علّي أنجدها فبلغت الدار بعد عشر دقائق فوجدت ذراعها الأيمن تحت رأس الشيخ وكلاهما جثة هامدة لا حراك بها.

حقاً لقد مات رب بيت حمزة وربته وأولادهما الفتيان الأربعة ولكن روح حمزة باقية في قلوب الأجيال العربية الآتية توحي إليها كيف يكون القيام بالواجب.

الباب السادس

امتداد الثورة خارج حدود الجبل

الفصل الأول

ثورة حماه ـ معارك الغوطة ـ معركة النبك الكبرى

ثورة حماة

ازداد نشاط الشباب وقادة الفكر في حماه لإشعال الثورة في بلدهم ضد الفرنسيين بعد معركة المزرعة مباشرة. وبعد عدة اجتماعات لمنظمي الثورة مثل "عثمان الحوراني وفوزي القاوقجي وعبد الشيخ سعيد الحاج مصطفى الذيب والحاج محمد الحبال وعبد السلام العرجا[1]. "قرر الجميع التنسيق مع الثورة في الجبل.

وفي مطلع أيلول سنة ١٩٢٥ وصل إلى الجبل رسولا منظمي الثورة في حماه وهما منير الريس ومظهر السباعي، يحملان رسالة إلى قيادة الثورة ـ سلطان الأطرش بالذات يطلبون فيها[2] :

١ـ تحديد الموعد الأنسب لتفجر ثورتهم في حماه.

٢ـ عدم عقد أي صلح دون الرجوع إليهم.

٣ـ تنفيذ عملية حربية كبيرة عند اقتراب الموعد.

٤ـ تعيين مكان للانسحاب إذا فشلت ثورتهم[3]

وصل كتاب سلطان الأطرش كجواب للدكتور خالد الخطيب في حماه مع الموافقة على جميع الشروط وتحديد غرة تشرين الأول سنة ١٩٢٥ كموعد لإعلان الثورة على عجل في حماه، ومع الاتصالات المكثفة والاجتماعات بين الأعيان الثائرين تقرر بدء الثورة في ٣٠ أيلول باجتماع بحي الحاضر لكن الاجتماع لم يتم بسبب الخلاف في تغيير أماكن التجمع وعاد الضابط فوزي القاوقجي لمكان إبعاده بين العشائر في البادية حتى لا يفتضح أمره بعد أن قطعت أسلاك الهاتف ليلاً في

---

[1] مذكرات حلقة ٤.

[2] منير الريس ص٢١٠.

[3] الشهبندر ص٤٩.

المدينة عدا تلفون سكة الحديد، وتأجلت الثورة حتى ليلة ١٩٢٥/١٠/٤ لذلك شاعت أخبارها في المدينة فتحصن الفرنسيون في الثكنات ورحلوا عائلاتهم من المدينة. وفي الموعد الجديد وصل القاوقجي من الريف ليلاً إلى دار سعيد الترمانيني وتم الاجتماع بدار عبد الرحمن المط في حي الحاضر حيث أطلق القاوقجي الرصاصة الأولى وقاد شبان الحاضر السيد مصطفى عاشور إلى بستان العدسة لمهاجم ثكنة المرابط. وكان في حماة عدد من ثوار مدينة حمص منهم عبد الهادي المعصراني وفؤاد رسلان الذين كانوا يخططون لقيام الثورة في مدينة حمص.

وبدأ الثوار بالاستيلاء على مخافر الشرطة في حي الحاضر ودار الحكومة في حماة وأطلقوا السجناء. وهنا يقول الشهبندر بمذكراته عن رسالة من فوزي القاوقجي في حماة جاء فيها[1]:

في نحو الساعة الثامنة مساءً دخلنا حماه وهاجمنا جميع المخافر وتسلمنا أسلحتها، قبضنا على الدرك والشرطة ثم سرنا إلى دار الحكومة حيث فيها كل قوة الدرك وفرقة من الجيش المختلط فهاجمناها أيضاً، وبعد معركة دامت حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل استولينا عليها عنوة وأحرقناها وقتلنا من فيها من الجنود، ثم أخذنا نستعد لمهاجمة المواقع العسكرية الحصينة، وفي الصباح خرج فرسان العدو من الثكنات لملاقاتنا فرددناهم بخسارة عظيمة بعد معركة دامت نصف ساعة على جسر السرايا، ثم طوقنا الثكنات فبدأت المعركة تشتد والنجاح حليفنا حتى تكبد العدو خسائر فادحة وفقد أكثر من ثلثي جنده. واستسلم بعض المحاصرين خارج الثكنات مع رشاشاتهم ولم يعد في طاقة المحصورين الدفاع.

ثم وصلت طائرات العدو فأخذت تلقي قنابلها على المدينة فأسقطنا منها طائرتين، وقبيل الظهر وصلت نجدات قوية تمكنت من إنقاذ المحصورين بعد معارك دامية.

وقد ازداد آخر الأمر عدد الأعداء زيادة عظيمة أدت إلى امتناع الكثيرين من وجوه المدينة الذين جبنوا وحافظوا على الحياد عن القيام بوعودهم وعهودهم ولما

---

[1] الشهبندر ص٤٩.

أصبح الاستيلاء على الأماكن المملوءة جنوداً متعذراً قررنا الانسحاب لخارج المدينة لنقوم بالحركات الثورية مشتركين مع البدو. كانت خسائر العدو لا تقل عن أربعمائة بين قتيل وجريح في حين كانت خسارتنا خمسة وثلاثين.

وفي ليل السابع من الشهر انسحبنا إلى جهة الشمال وحملنا عربان الموالي على مهاجمة الفرسان الفرنسيين المتحصنين في مراكز قضاء المعرة، وبعد معركة دامت أربع ساعات قهرنا العدو وغنمنا منه ٣٥ رأساً من الخيل و٤٢ بندقية وغير ذلك.

وقد خسر العدو بهذه المعركة ثلاثة ضباط فرنسيين وسبعين جندياً وخسارتنا بدوي واحد.

في ٦ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ أذاع قائد الموقع الإفرنسي في مدينة حماه بلاغاً بإخضاع المدينة للأحكام العسكرية ومنع التجول. فانسحب القاوقجي باتجاه عرب الموالي الذين قبضوا عليه وكادوا يسلمونه للفرنسيين لولا تدخل الشيخ سلطان الطيار الذي أنقذه منهم فاتجه نحو البادية والقوات الفرنسية تلاحقه حتى لجأ إلى العراق عند شيخ قبيلة الدليم وكان القاوقجي يعرفه سابقاً، وكان مع القاوقجي في الرحلة المجاهد مصطفى الذيب السبسبي وأحد المجندين في سريته. كان يرسله ليجلب الصحف من بغداد ليعرف أخبار الثورة في الجبل.

ولما علم أن الثورة امتدت إلى الغوطة وإقليم البلان وإلى جبال لبنان ووادي التيم غير شكله مع رفاقه وامتطى راحلة حتى وصل إلى الضمير بعد حوالي شهر ومنها إلى الغوطة حتى التحق بقيادة الثورة في الجبل.

ومن الفوائد الهامة لثورة حماه:

"انسحاب الفرنسيين من الجبل والمساهمة في امتداد وتوسع الثورة خارج حدود الجبل لتتحول إلى ثورة وطنية قومية[1]".

أما الدكتور الشهبندر فيقول بمذكراته عن نتائج ثورة حماه ما يلي:

"كانت ثمرة ثورة حماه من أطيب الثمار لأنها ما هبت ريحها حتى صدمت أشرعة غاملان المنشورة في جبل الدروز. فأقلعت بها عنه.

---

[1] مذكرات: حلقة ١٢.

ثم أن هذه الثورة سببت تجزئة الجيش الفرنساوي وأرغمته على اتخاذ خطة الدفاع بعدما كان مهاجماً ومكنت الثوار فيما بعد من الجبل والمرج والغوطة من الدخول إلى دمشق لذلك الظفر الذي كاد يقضي على فرنسا في سوريا.

والحق يقال أخيراً إن ثورة حماه لم تنته بانسحاب مقاتلينا من المدينة لأن أبناء حماه قاموا بمنازلة القوات الفرنسية من إخوانهم بمنطقة حمص والغوطة ووادي فيسان. والضنية وجبل العرب، وقد كان أبناء حماه من أعنف الثوار في المعارك خاصةً بعدما كلف القائد العام للثورة السورية سلطان باشا الأطرش الثائر سعيد العاص بقيادة الثورة في الشمال بكتاب رسمي[1]. يذكر منير الريس في كتابه ص ٤٠٠ ما يلي:

"توجهت مجموعة سعيد العاص من الغوطة لتنظيم الثورة في الشمال اعتباراً من جيرود والنبك "القلمون" وبدأت بجميل العلواني وعلاء الكيلاني ومنير الريس وسعيد الترمانيني وميشيل نحاس ومصطفى الذيب من حماه.

محمد علي الدروبي ـ شاكر السباعي ـ مرعي التركاوي من مدينة حمص وفائق الكيالي ورشاد ملص من دمشق، وأبو علي رشيد الصحناوي من الجبل وعبد الله المغربي ومحمد المغربي وعبد المجيد المرداوي من الجنود الفارين من الجيش الفرنسي وقد انظموا إلى الثورة".

وبدأت هذه المجموعة بتجميع الثوار وخوض المعارك اعتباراً من جيرود والنبك حتى منطقة حمص وجبال أكروم والهرمل وكان معهم عبد الرحمن المط وعبدو سويدان ونظير النشواتي وعمر المجرص وفؤاد رسلان وحسين جراد والدكتور خالد الخطيب وأمين رويحة، وكان من هؤلاء المجاهدين الأبطال الكثير من الشهداء الذين رووا بدمائهم تربة الوطن وساهموا بتحقيق استقلاله ورفعته.

القيادة العامة للثورة الوطنية السورية

رقم ١٢٩ ـ جبل الدروز ١٤ كانون الأول سنة ١٩٢٥

---

[1] **منير الريس في كتابه ص٤٠٠.**

حضرة القائم مقام سعيد بيك العاص:

بالنظر إلى تشوق أخواننا أهل حمص وحماه ونواحيها إلى الاشتراك في إنقاذ الوطن وإلى ضرورة توسيع دائرة الثورة إلى تلك الجهات وإلى وجود رهط من أفاضل الشباب الوطنيين الذين اجتمعوا هنا للسفر لبلادهم هناك على نية الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال، وبناء على كونكم أثبتم تفانيكم في هذا الجهاد الوطني، فقد عيناكم قائداً لحملة حمص وحماه على أن تصرفوا وإخوانكم المتوجيهن إلى تلك الجهة جميع المساعي لتوسيع دائرة الثورة وتنظيم أمورها ومنع كل اعتداء يقع في غير محله على أحد من أبناء الوطن. وعلى أن يكون ارتباطكم بقائد الجبهة الشمالية العام القائم مقام محمد بيك اسماعيل الذي عهد إليه بإدارة الحركات العسكرية مع الصلاحية التامة لتنظيم جميع الأمور العائدة لإظهار الثورة بمظهرها اللائق، وعلى أن تخابروا أعيان تلك الجهة ورؤساء عشائرها، فإن اتفقت كلمتهم على رئاسة أحد منهم ليكون قائداً لجبهة حمص وحماه فلكم معه رئاسة أركان الحرب على أن تخبرونا على من يكون الاتفاق، هذا أمر ضروري جداً لأسباب عمومية ومحلية لا تخفى عليكم والله تعالى يوفقكم وجميع المجاهدين.

سلطان باشا الأطرش

قائد جيش الثورة السورية الكبرى

صفحة من الأيام الحمراء: ص١٣٥

ـ كتاب سلطان باشا الأطرش إلى سعيد العاص حول تأليف حكومة وطنية:

جناب حضرة الأجل الأمجد المحترم:

تحية واحترام. عسى أن تكونوا وعموم رفقائكم حاصلين على تمام الصحة والعافية.

لاغرو فالله عز وجل وفق سعيكم كونه خالصاً لوجه الله تعالى ومقصوداً به إعزاز الوطن والبلاد السورية أجمع. وعليه حيث أن الغاية شريفة ومقدسة فبدون شك

سيكون النصر حليف المخلصين. وقد حررنا لإخواننا زيد وصياح ولجميع الرؤساء الموجودين في الغوطة والأقليم لأجل أن يوحدوا قواهم ويتفاهموا مع عموم رؤساء العصابات ورجال الثورة الوطنيين لأجل إن أمكن تأليف حكومة وطنية بالمركز الذي يختاره أهل البلاد لأننا هنا بالمذاكرة مع حضرة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر على ذلك وأريد الإسراع بهذا الأمر، وإذا تم الأمر على هذه الفكرة يلزم انتداب معروفين بالنزاهة والاستقامة حتى ينظر جميع الأهلين نخوة رجال الوطن بحقوق البلاد.

نحن هنا بحوله تعالى بهذين اليومين سنعمل حركة على قلعة بصر الحرير وإزرع. العسكر خرج من بصرى اسكي شام والمسيفرة. وأهل السويداء ذهبوا للمسيفرة وحرقوا ما بقي من خيام العسكر. الأمل أن تداوموا على أعمالكم وتربوا رجالكم العاقلين النزيهيين كي يكسبوا ثقة الأهالي وتزول من فكرهم الإجراءات السابقة التي ارتكبها بعض رجال العصابات.

ب ـ أهم معارك الغوطة

بينما كانت المصادمات تجري بجوار العاصي. كانت تدور بجوار بردى مصادمات أخرى بعدما تحمَّس للثورة الكثير من أهالي دمشق وسكان معاقل الغوطة، فقاموا يهاجمون المخافر والمراكز الحكومية ويخططون مع قيادة الثورة في الجبل لمهاجمة مدينة دمشق من جديد.

وهنا يذكر سلطان الأطرش بمذكراته ما يلي[١]:

في غضون شهر أيلول ١٩٢٥ أفضينا بمهمة إشعال نار الثورة في بادية تدمر للضابط العربي رمضان شلاش الذي ينتمي لإحدى عشائر منطقة دير الزور ومعه نفر من الفرسان وتعهد لنا بأن يكون تعاونه وثيقاً وفعَّالاً مع قادة المجاهدين في القلمون والغوطة، كذلك تعهد حسن طعان الدندشي بإضرام نار الثورة في منطقة تل كلخ والتعاون مع السيد توفيق هولو جعفر في سبيل نشرها بجبل الهرمل والمناطق المجاورة.

---

[١] مذكرات ح١٠.

أما السيد حسن الخراط فلم يلبث أن غادر الجبل إلى الغوطة ليساهم هناك بعمليات حربية كانت ممهدة للعملية الكبرى التي حاول بها المجاهدون احتلال العاصمة نفسها ورافقه عدد من ثوار الجبل على رأسهم المجاهرد الكبير نايف عجاج نصر.

وكان للدكتور الشواف والدكتور رويحة فضل كبير في تأسيس مستوصف مدينة السويداء بدار شاهين أبو عسلي لمعالجة المرضى وإسعاف الجرحى فيه (وفي أماكن أخرى كانا يذهبان إليها للغاية الإنسانية نفسها بالإضافة إلى فضلهما بالمشاركة بمعارك الجهاد داخل الجبل وخارجه).

أما معارك الغوطة فهي كثيرة ومتعددة نكتفي بأبرزها :

١ ـ موقعة الزور الأولى:

عن منير الريس: (توافد ثوار دمشق والقادمون من الجبل نحو الغوطة إلى موقع الزور. وكان منهم الشيخ عرب الخيمي وعبد الوهاب الرجولة ونديم شهاب ومنير الطحان وحسن المقبعة ومحمد الخطيب وأبو صلاح العرجا وشفيق السكري والتحق بهم بعض الفلاحين الشجعان بالإضافة للقادمين من الجبل مثل حسن الخراط ومن معه. وانضم إليهم عبدو وذيب الشيخ وفريق من شباب حي العمارة وفلاحي جوبر. وكان العدو حوالي مائة فارس، وقد أرسل الفرنسيون فصيلاً من الدرك أكثر من ماية خيّال إلى المليحة بقيادة رفيق العظمة وأديب كفربطنا وعبد الرحيم الداغستاني وأحمد يغمور، وقد تحاشى هؤلاء الاصطدام مع أبناء بلدهم، وقد نام الأفراد في بيوت الفلاحين والضباط في بيت المختار، فهاجمتهم عصابة الثوار وهم نيام في الليل بالاتفاق مع المختار وأهالي البلد فاعتقلوا الدرك وكسبوا بواريدهم وخيولهم، ثم أطلقوا سراح الأفراد وأرسلوا الضباط إلى سلطان الأطرش في الجبل. فعفى عنهم لأنهم تحاشوا الاصطدام مع الثوار ولم يقاوموا المجاهدين وكفلهم زكي الدروبي وصادق الداغستاني من ضباط الدرك السابقين، الذين التحقوا بالثورة، وقد كان لهذه المعركة تأثير حسن في النفوس شجع المجاهدين على دخول دمشق فيما بعد (منير الريس ص٢٧٧).

ثم تقابل الثوار مع حملة أكثر من ألف جندي في منطقة الزور ترافقها الدبابات والمصفحات والطائرات وكانت قد وصلت نجدات المجاهدين من المقرن الشمالي في الجبل وأعراب عشيرة الغياث. فقضوا على كثير من الجنود وأسقطوا إحدى الطائرات ثم تقدموا إلى ضمير فهاجموا قوة البادية الفرنسية واستولوا عليها قبل الفجر وغنموا أكثر من ثمانين ذلولاً وعشرات البنادق والذخيرة.

٢ ـ الهجوم على دمشق:

يذكر منير الريس في الكتاب الذهبي ما يلي:

رسم الثائرون الخطة لدخول دمشق فدخلوها من ثلاث جهات إذ توجهت ثلاث سرايا في ١٩٢٥/١٠/١٨. سرية الدروز مع نسيب البكري ـ دخلت حي الميدان بعد الظهر.

السرية الثانية مع ذيب الشيخ من بساتين باب السلام والعقيبة، ودخلت السرية الثالثة ومعها حسن الخراط وعصابته ولفيف من دروز جرمانا من بساتين الشاغور، بعد معركة مع الجنود السنغاليين قرب المقابر المسيحية واليهودية وقد هرب الجنود أمام ضغط الثائرين.

وقد انهارت مقاومة بعض المخافر في مناطق الهجوم وأغلقت مدينة دمشق حوانيتها عندما سمعت أزيز الرصاص وتفجر القنابل وعرفوا أن سرايا الثائرين أصبحت تجوب شوارع مدينتهم وأحياءها القديمة، واشتبك الثوار مع الفرنسيين المحصنين في ثكنات الحميدية وقلعة دمشق وبوابة الصالحية وطريق بيروت في المزة.

ولما وصلت قوة الثوار إلى الأسواق علمت أن الجنرال "ساراي" يزور قصر العظم الأثري في البزورية المجاور للمسجد الأموي، فهب فريق من مسلحي دمشق والدروز لمهاجمة القصر من بابه ومن سطوح المنازل المجاورة له. وكان الجنرال في تلك اللحظة قد غادر القصر تحمله مدرعة إلى جادة الصالحية. ثم نشبت معركة بين الثائرين والفرنسيين أدت لاحتراق جانب من القصر وتعطل سيارة رشاش وقتل أفراد طاقمها، وجرح بعضهم بينهم اليوتنان (دي روايبير) وضابط صف وجندي قتلوا في

المعركة واستشهد في هذه المعارك حسن المقبعة من مجاهدي دمشق وأبو علي كليب من مجاهدي جرمانا. وعاد الثوار إلى الشاغور بعد هروب ساراي[1].

حاول الفرنسيون أن يثيروا حرباً طائفية بين الأهالي ففسحوا المجال أمام الثوار للقتل وسرقة الأحياء المسيحية واليهودية ليتهموا الثورة بأنها طائفية. لكن الثوار كانوا واعين فطمأنوا الأهلين جميعاً واحترموا منازلهم وأفهموهم أن غايتهم طرد المستعمر وتحرير الوطن للجميع.

حاول الفرنسيون موزانتهم ولم يعد أمامهم إلا أن يستروا هزيمتهم بقصف أحياء دمشق القديمة التي احتلها الثوار بقذائف وقنابل طائراتهم وقذائف النفط المحرقة التي أشعلت الحرائق في كل مكان. وقد أكلت قنابل الحرق والتدمير خلال أربعة وعشرين ساعة ما يربو على ستمائة دار من أحسن الدور تقدر قيمة كل منها بملايين الجنيهات كما نزل الجنود بدباباتهم ومصفحاتهم للأسواق التجارية يكسرون أبواب الحوانيت والمخازن الطافحة بالبضائع والمجوهرات ليسلبوا وينهبوا ما فيها وما في البيوت من أمتعة وأوانٍ ثمينة حتى امتلأت بيوت (٠٠٠) بتحف ورياشن الدماشقة[2] وقد اشتعل حي سيدي عمود والسوق المجاورة بما فيها من تحف وآثار ولا يزال الحي حتى الآن يعرف بحي الحريقة وهو وسط دمشق. وقد رثى الشعراء مدينة دمشق المحترقة بأروع القصائد.

فهذا الشاعر خير الدين الزركلي في مهرجان كبير لنصرة الثوار في القاهرة يقول:

الأهل أهلي والديار دياري — وشعار وادي النيربين شعاري

ما كان من ألمٍ بجلق نازل — وأرى الزناد فرنده بي واري

صبرت دمشق على النكال ليالياً — حرم الرقاد بها على الأشفارِ

---

[1] منير الريس: الكتاب الذهبي.

[2] الدكتور الشهبندر ص٥٥.

يـــا وامــض الـــبرق اطمــئن ونـــاجني إن كنـــت مطلعـــاً علـــى الأســـرارِ

مـــا انهـــار قـــصر في حمـــاك ممـــرد ألا ليرفـــــع فيـــــك قـــــصر فخـــــارِ

وإذا الظـــلام عتـــا تـــبلج فجـــره ظلــــم الحـــــوادث مطلــــع الأنــــوارِ

كذلك يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته المشهورة:

ســـــلام مــــن صـــــبا بــــردى أرق ودمـــــعٌ لا يكفكــــف يــــا دمــــشق

وقد احتج قناصل وسفراء الدول الأجنبة على حريق دمشق وحمل الاحتجاج القنصل الأقدم "قنصل بريطانيا" وأقيمت المهرجانات والمظاهرات انتصاراً للثورة في كثير من المدن العربية والمهجر في أمريكا اللاتينيية وصدرت الصحف التي تندد بفرنسا وأعمالها البربرية في كثير من بلدان العالم وحتى في فرنسا نفسها.

وأخيراً عندما أخذت المنازل تحترق وتتهدم على الأطفال والنساء بدمشق خف الوجهاء يطلبون من الثائرين تخفيف القصف بمغادرة الأحياء.

فوافق الثوار عندما علموا أن قواتهم غير قادرة على الإقامة في المدينة مع قصف أثار الرعب الذي استولى على النساء والأطفال من مواصلة القنابل على الأحياء وتحليق الطائرات في السماء وضرب البيوت من غير تعيين فوافقوا على الانسحاب يوم الثلاثاء في ١٩٢٥/١٠/٣٠ ولم يوقف غاملان القصف إلا بعد أن فرض على المدينة مئة ألف ليرة ذهبية وثلاثة آلاف بندقية مع عتادها غرامة جزاء لمساعدتهم الثوار وقد فرض على الحكومة تسليمه المبلغ فوراً على أن تجنيه فيما بعد من السكان مع ضريبة العقارات[١].

٣ـ معركة يلدا وببيلا {النصر الكبير بعد معركة المزرعة} :

خير من يصف هذه المعركة الأستاذ منير الريس الذي خاض غمارها بنفسه إذ يقول:

---

[١] الريس: ص٢٨٣.

جاءت من الجبل قوات من المجاهدين الدروز بطريق الغوطة لنجدة الثوار في إقليم البلان ووادي التيم بقيادة متعب الأطرش وعلي الأطرش.

وقد كنت في عقربا عندما جاءني رسالةمن نزيه مؤيد العظم تشير إلى أن حملة كبرى من الفرنسيين ستزحف في الصباح الباكر إلى قريتي "يلدا وببيلا" مقر الثائرين في الغوطة وتطلب مني التوجه نحوه والاستعداد للقاء الحملة بمن معي من المجاهدين.

وقد توجهنا إلى قيادتنا "محمد عز الدين" لنخوض المعركة معاً. سرنا مع فجر الخامس من كانون الأول من قرية عقربا نحو دير العصافير، ومع بزوغ الشمس بدأ أزيز الرصاص من حي الميدان، ورأينا محمد عز الدين بقواته قادماً نحونا بعد أن انضم إليه فريق من مجاهدي الميدان على رأسهم عبد القادر سكر وانضمت إليهم أيضاً القوة القادمة من إقليم البلان بقيادة متعب وعلي الأطرش وأقبل مسلحو جرمانا بالعشرات وقد اكتشفتنا إحدى الطائرات قرب عقربا وقصفتنا بالقنابل. بلغنا قرية ببيلا وكان جيش العدو قد وصلها بعد أن اصطدم لمدة ساعتين بمجاهدي الميدان ومسلحي يلدا وببيلا وكان الزحف من قواتنا مركزاً في أول الأمر على جناح العدو الأيسر ومقدمته. ثم أخذت قواتنا تحيط به، وكانت حملته في ذلك اليوم تبلغ عدة آلاف من الفرسان والمشاة ومفارز الرشاشات والجنود المغاربة والفرق الأجنبية والسنغال ومتطوعة الشركس وغيرهم تحميهم سبع دبابات وست طائرات ومدفعية قوية تساعدها المدفعية من قلاع دمشق وثكناتها. وقد ذهل العدو حيث وجد نفسه أمام جيش من الدروز أحاط به فجأة وصدم مقدمته وجناحيه، وأنزل به من الخسائر في أقل من ساعة ما لم يكن يتوقعه فتوقف أولاً عن الزحف وأخذ يدافع عن الثبات بمواقعه بنيرانه الكثيفة.

ولكن أبطال الدروز وبينهم القادمون الجدد من السويداء تبادلوا مع العدو الرمانات اليدوية على مسافة لا تزيد عن أربعين متراً، مستفيدين من موانع الغوطة وأسجارها الكثيفة وأقنيتها وجدرانها للدنو منه. ثم قاموا بهجوم على مواقع الرشاشات التي تحمي العدو فسقط ستة مجاهدين، ووصل الباقون إلى الرشاشات يصرعون جنودها برصاصهم وسيوفهم، فاندحر العدو أمامهم وتضعضعت صفوفه

الباقيـة ودبـت فيهـا الهزيمـة، ولحقـت بهـا الـدبابات تخـشى ان يـصيبها مـا أصـاب المدرعات الفرنسية بمعركة المزرعة. فهربت وجثـث القتلـى والجرحـى مـن الفرنـسيين تغطي أرض المعركة، فلا يجد المنهزمون وقتاً لحملهم معهم. وما انتصف النهـار حتـى كـان المجاهـدون علـى أبـواب مدينـة دمـشق، والحملـة تلجـأ إلى أوكارهـا في المقـبرة وثكنـة القـدم ومعمـل الخـط الحديـدي. ومـا لبـث المجاهـدون أن أرغمـوا الجنـود المحصنين في المقبرة على مغادرتها ففروا يتعقبهم المجاهدون في شوارع دمشق وأزقتها. والنساء والأولاد يستقبلون المجاهدين بالأكـل والـشرب والتـصفيق والتهليـل يزغـردون وقد سفرن عن وجوههن وهن المحجبات لاستقبال المجاهدين بالترحاب.

واضـطرب الفرنـسيون مـن هـذه الهزيمـة الـتي لم تـدخل في حـساباتهم. ومـلأت الدبابات والمصفحات البساتين المجاورة لحي الميدان والطائرات تساعد بالقصف لعدة أيام. وعـاد المجاهـدون بالغنـائم مـن ١٥٠ بندقيـة وثـلاث رشاشـات وعتـاد كـثير وزادت خسائر العدو على ستمائة قتيل وجريح.

يضيف منير الريس في كتابه الذهبي ص٣٧٥ ما يلي:

٤ـ وشائج العروبة:

بلغنـا في ١٣ كـانون الأول سـنة ١٩٢٥ قريـة قـبر الـست وعلمنـا أن الفرنـسيين سيتوجهون من أربع جهات لتطويق المجاهدين في الغوطة، ثم تبين مـن مـصدر الثقـة أن الزحف كان لإحداث مخافر حصينة ـ وعلى ذكـر المـصدر الثقـة أحـب أن أوضـح أن الكـابتين "عطـاف" الـضابط المغربـي في كتائـب الفرسـان الـصباحيين في دمـشق قـدم خدمات جلى للثائرين في الغوطة فقد كان هذا العربي المخلص بحكم وظيفته يطلـع على الأوامر العسكرية التي تصدر قبل حين للزحف وتزويـد القـادة بمهمـاتهم وخطـة الزحف.

فكان هذا العربي الشهم يبادر فوراً إلى الاتصال بالأمير طاهر الجزائـري وغـيره مـن الـوطنيين المغاربـة بدمـشق ويطلعهـم علـى الأوامـر الـصادرة إليـه وهـؤلاء يقومـون بـدورهم بـإبلاغ أخـوانهم الـوطنيين لإبـلاغ قـادة الثـورة في الغوطـة قبـل حـين مـن تنفيـذ الخطة الفرنسية ليكونوا علـى حـذر ويستعدوا للقتـال. وكـان هـذا الـضابط العربـي وأخوانه من الضباط والجنـود المغاربـة يتعرضـون مـع الفرنـسين لرصـاص الثـائرين دون

تمييز بينهم وبين الكتائب الأخرى، أما من جانبهم فكثيراً ما كانوا يطلقون رصاص بنادقهم طائشاً في الهواء حتى لا يصيبوا بني قومهم من الثوار ، وكلما سنحت لهم الفرصة ألقوا ببعض عتادهم وذخائهم في الحفر وراء الأشجار حتى أصبحنا نجد بعد كل معركة بالغوطة كميات من العتاد الفرنسي ـ بنادق وصناديق ذخيرة وغيرها ـ نجمعها ونزود بها أخواننا المجاهدين. وكم استفدنا من رصاصهم القاتل الذي نأخذه منهم ثم نوجهه إليهم ليقتلهم مسرورين ومتقيدين بالمبدأ القائل: "علي وعلى أعدائي يا رب" فقد كانوا يؤثرون إخوان الدين والعروبة على أنفسهم. ولم يكتفوا بهذا فقد فرَّ عدد منهم إلى صفوف الثائرين وعرَّضوا عائلاتهم في المغرب لبطش فرنسا وقاتلوا حتى استشهدوا في سبيل حرية بلاد الشام المقدسة في نظرهم.

وقد رافقنا في الغوطة جنديان مغربيان هما محمد وعبد الله وجندي ثالث فلسطيني من قرى نابلس هو عبد الحميد المرداوي. فروا من الجيش الفرنسي والتحقوا بثورة الغوطة يقاتلون الفرنسيين معنا حتى استشهد محمد المغربي في معركة وادي فيسان في الهرمل شمال لبنان. واستشهد من الجنود المغاربة الملتحقين بثورتنا اثنان في منطقة القلمون بقذيفة مدفع أصابتهما وهما على رشاش يقاتلان العدو رحمهما الله.

٥ـ معارك جوبر وحمورية:

في شهر كانون الأول عام ١٩٢٥. جاء عن رواية نقلها أهالي جوبر للريس ما يلي:

"في ١٩٢٥/١٢/١٤ خرج الفرنسيون بجيش لجب بضعة آلاف من المغاربة والفرقة الأجنبية والجوقة السورية ترافقهم عشرون دبابة ومتطوعة الشركس وتمهد لهم المدفعية من قلاع دمشق وثكناتها ، فكمن لهم مجاهدو جوبر في مجرى نهر تورا الجاف والبساتين المطلة على طريق دوما ، ودارت المعركة بين الفريقين نحو ساعتين تابعت الحملة بعدها إلى عربين حيث صادمتها عصابة أولاد عكاشة في بساتين القرية وظلوا يناوشونها مع مجاهدي جوبر حتى بلغت دوما وعسكرت في بساتينها وقد استشهد سبعة من المجاهدين وجرح بضعة عشر.

أما خسائر الحملة فقدرت بمئات القتلى والجرحى. وفي صباح الخامس عشر وصل الثوار قرية جوبر في حين دخلتها الحملة من الجهة الثانية لتثأر من أهلها.

وبعد معارك ثلاث ساعات دامت في أزقة جوبر وبيوتها هرب الجند أمام بنادق الثوار التي أصلتهم ناراً حامية ثم ركزت الحملة على قرية جوبر وبساتينها بقنابل المدفعية والطائرات بقنابلها ورشاشاتها. لكن الثوار استمروا بملاحقة جنود الحملة المتقهقرة حتى دخلت دمشق لتلوذ بثكناتها وفي المستشفى الإنكليزي في القصاع.

وعاد الثوار مبتهجين لقرية جوبر حيث قدم لهم الأهالي العشاء والشراب تحت وابل قنابل المدفعية المتساقطة على القرية من الثكنات الفرنسية بدمشق.

وقد كانت خسائر الثوار ثلاثة شهداء من بينهم المرحوم مصطفى الأغواني وأربعة جرحى. أما خسائر العدو فكانت بالمئات[1] "وفي ختام المعركة لم يتمالك حسن الخراط نفسه فتقدم يقبل شاربي محمد عز الدين الحلبي إعجاباً بما أبداه من بطولة.

واعترف الخراط بأنه لم يخض المعركة وقد أعطى بندقيته لأحد المجاهدين لأن بصره لم يعد يساعده على التسديد[2].

وفي السابع عشر من كانون الأول سنة ١٩٢٥ تقدمت حملة فرنسية كبيرة مؤلفة من خيالة ومشاة وآليات إلى قرية حمورية للانتقام من أهلها الذين قتلوا بعض الأفراد من المتطوعين مع الفرنسيين، وكانت مجموعة محمد عز الدين الحلبي قد وصلت إلى قرية عذرا شرق دمشق عندما بلغها أن الحملة الفرنسية توجهت للانتقام من أهالي حمورية.

فأسرع الثوار فرساناً ومشاة يخفون السير لدخول حمورية قبل دخول الحملة الفرنسية وهنا يذكر منير الريس ما يلي:

توجهنا مسرعين لندخل حمورية قبل دخول الحملة وتقدمت مع مجاهدين مشاة من الجبل مبتعدين عن بقية رفاقنا، ففوجئنا بقوات العدو متمركزة في القرية

---

[1] **رواية أهالي جوبر.**

[2] **الريس ص٣٨٠.**

وبساتينها وأصلونا ناراً حامية استشهد على أثرها أحد رفاقي وجُرح الآخر وكادت تودي بحياتي.

فانسحبت بقناة عميقة فيها الماء لأصادف كواكب الشركس والجنود الفرنسيين في الجهة الثانية. وكانت بندقيتي قد انفجرت سبطانتها لامتلاء بابها بالتراب الناعم فأصبحت كالعصا وتشجعت فمررت بين كتيبتين فرنسيتين ظنوني جندياً منهم لأني كنت أرتدي معطفاً عسكرياً من غنائم الجيش الفرنسي فنجوت من الموت بأعجوبة بالرغم من فصائل الجند الكثيرة أمامي وقد أحرقت حمورية وقتل الكثير من أهلها وشردت النساء والأطفال فاضطررت لأدس نفسي في كومة من قش القنب حولها عشرات الأكوام.

ومر الجند من حولي يخبّون دون أن يدركوا مكاني. وكنت أسمع صوت اللهب يلتهم أكوام القنب عندما أشعل الجنود النار فيها. وركنت أنتظر وصول النار إلى مخبئي علّي أتمكن من الهرب خلال اللهب والدخان المتصاعد، وكم كانت دهشتي عندما استيقضت في الصباح لأجد الأكوام كلها محروقة عدا الكومة التي أختبئ فيها وكومة إلى جانبها، وهكذا نجوت من الموت بأعجوبة.

ونهضت لأدخل حمورية وكان الفرنسيون قد غادروها. لأجد القتل والحرق وتشريد النساء والأطفال على أبشع صورة تعرضت لها هذه القرية المناضلة من الحملة الطاغية وجنودها الحاقدين.

وتقدمت بعدها في الغوطة لألتقي بقوة محمد عز الدين صباح الواحد والعشرين قرب حران العواميد ـ فهنأوني بالسلامة لاعتقادهم أنني صرت في عداد الشهداء.

التقيت بعدها بشكري القوتلي والعقيد الركن اسماعيل الطباخ والمقدم الركن مصطفى وصفي قادمين من الجبل وعقدنا اجتماعاً معهم لتلافي الحال التي وصلت إليها الأمور في الغوطة وإصلاح الوضع[1].

---

[1] الريس ص٣٩٦.

في الثاني والعشرين من كانون الأول وصل القادة المذكورون سابقاً إلى الجربا قرية فخري البارودي وفيها منزله الريفي وقد كتب أحد الخلان على الجدران قصيدة طويلة يشكو من براغيث القرية وسوء حال ضيوفها مطلعها:

يـــــا صـــــاحب الجربـــــا بـــــــلاك الله بـــــــالجرب

وكانت الغوطة قد طوقت بالمخافر المحصنة بحاميات قوية - شبعا - دوما - أوتايا - حوش خرابو - وقرية مرج سلطان الشركسية المسلحة جيداً والتابعة للحرس الفرنسي.

خرجت حملة في الحادي والعشرين من دمشق باتجاه يلدا وببيلا وباغتت في الطريق حسن الخراط مع أفراد عصابته يكمنون في أرض مشجرة، وبعد معركة ضارية استشهد حسن الخراط فيها ودفن في ببيلا[1] وقد جاء بمذكرات الشهبندر أن حسن الخراط الذي جُرح بكتفه في معركة الزور الثانية التي وقعت في ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ قضى نحبه غدراً على أيدي اثنين من الجنود المختبئين وذلك في وقعة يلدا في الحادي والعشرين من كانون الأول سنة ١٩٢٥.

وبعد اجتماع الجربا في ١٩٢٥/١٢/٢٢ غادر محمد عز الدين ببقايا قواته إلى الجبل ومعه اسماعيل الطباخ وشكري القوتلي ومصطفى وصفي وخليل الحموي وصبري العسلي ونسيب شهاب وفائق العسلي وغيرهم من مثقفي دمشق الثائرين، وبعضهم تابع طريقه إلى شرق الأردن. أما العقيد سعيد العاص وفؤاد رسلان وخير الدين اللبابيدي والأخوان المعصرانيان ومنير الريس وجميل العلواني ومحمد علي الدروبي وإبراهيم صدقي والدكتور خالد الخطيب فقد عقدوا اجتماعاً في الجربا وقرروا توسيع الثورة شمالاً إلى القلمون وحمص، عدا الدكتور خالد الخطيب الذي عاد إلى الجبل حيث المستوصف والخدمة الوطنية والإنسانية. وانتقل الآخرون إلى النبك والقلمون يدعون للثورة هناك.

---

[1] الشهبندر ص٦٤.

جـ معركة النبك الكبرى

منذ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ تشكلت أربع عصابات ثورية في منطقة القلمون هي: عصابة جبل القلمون وعصابة النبك وعصابة عكاشة وعصابة حسن الخراط، واصطدمت هذه العصابات مع العدو بمعارك متعددة انتصرت في أكثرها وأسرت الضابط "بهيجا" وغنمت عدداً من الرشاشات الكبيرة والصغيرة والذخيرة والعتاد وعدداً من سيارات نقل الجنود. وكبدت العدو الكثير من القتلى والجرحى.

في ربيع ١٩٢٦ قرر الزعماء اتخاذ النبك مركزاً للثورة في منطقة القلمون بعدما خمدت فيها النار من جراء الفوضى والمعاملات الشاذة التي عمل الناس بها وهذا المركز سيكون هاماً إذا اشتد ساعده لأنه يمكن أن يهدد حمص وحماه بشكل دائم.

لذلك جهز العدو في حمص حملة كبيرة بقيادة الجنرال مارتي المشهور بتنظيم الحروب الجبلية تتألف من أربعة آلاف من المشاة وألفي جندي من الفرسان وثمانية مدافع ومصفحات وأعتدة أخرى كاملة منها سبعون رشاشاً[1] وقد ورد بمذكرات منير الريس بهذا السياق ما يلي:

في آذار سنة ١٩٢٦ بلغنا أن الحال في القلمون ساءت جداً وتقرر أن يذهب فوزي القاوقجي بمن معه من فرسان الدروز وسعيد العاص ومن رافقه من الشباب إلى القلمون لإصلاح الوضع من جديد. تقدمنا نحو النبك وأنذرنا أهالي دير عطية بأن يستسلموا وإلا أحرقنا البلد فاستجابوا وفرضنا عليهم أن يقدموا بعض الأسلحة والذخيرة للثوار الذين ناموا ليلتها عندهم على فرش وثيرة وقد علمنا أن الحملة الفرنسية ستهاجم قارة وتحتل النبك، فتقدمنا سعيد العاص والقاوقجي وحوالي مئة مسلح نحو موقع عيون العلق لنجابه الحملة، ففاجأتنا طائرة فرنسية بقنابلها ورشاشاتها وانسحبت بعد إطلاق النار عليها بشدة وقد أدركنا أن الحملة قادمة. فتربصنا باستحكامات في التلول مع فوزي القاوقجي وسعيد العاص وإبراهيم صدقي وبقية الثوار واشتبكنا بمعركة مع الدبابات والفرسان الصباحيين وفيالق الجنود التي أخذت تطوقنا فانسحب أكثر رفاقنا من شدة القصف وضغط نيران العدو. وصمدنا حوالي عشرة مقاتلين منهم سعيد العاص والقاوقجي على التلين بجانبي

---

[1] الشهبندر ص٧١.

الطريق وكـاد يتم تطويقنـا. وفجـأة انتشر ضباب كثيف غطـى المنطقـة والعـدو علـى بعـد عشرات الأمتار عنا فانسحبنا تحت جنح الضباب لنجد بقيـة رفاقنـا قـرب قـارة متجهين نحـو دير عطية وكـان أهلها يطلقون النـار علـى الثائرين عنـدما سمعوا أصوات المدافع الفرنسية تقترب منهم وقد استشهد الضابط الشاب الوطني المثالي إبراهيم صدقي الذي وقف بوجه الحملة يقاتل، وقد خذلنا خالد النفوري وأبو عمر ذيبو فانسحبا مع عناصرها من المعركـة وتركانا وحدنا مع بعض المسلحين ومع فرسان الدروز وأهل النبك لندافع عن مدينـة النبك. وفي مساء ٣ آذار اجتمع القاوقجي والعاص ومسلحو النبك وقرروا الدفاع عن البلدة وانتدب سعيد العاص ونزيه المؤيد وخير الدين اللبابيدي وصادق الداغستاني وأحمد المنلا مع بعض العناصر ليتحصنوا في التلال الغربية حتى لا يحتلها العدو.

ونظم القاوقجي وباقي المسلحين خط الدفاع عن البلدة[١] ، تقدمت الحملة من النبك في الصباح الباكر بدباباتها ومدفعيتها وطائراتها، لكنها توقفت أمام دفاع الثوار الصامدين طيلة النهار حتى المساء وهم يقاتلون شبراً شبراً. ومن حجر إلى حجر وتكبد العدو أكثر من خمسين قتيلاً قبل أن يخيم الظلام ويوقف المعركـة. وكـان العدو قد احتل المستشفى الهولندي غرب البلدة.

وفي اليوم التالي أعاد المجاهدون الكرة على العدو فهاجموا المستشفى الهولندي واحتلوه عنوة بعدما اخترقوا صفوف الفرنسيين وهزموهم شر هزيمة واستعادوا جميع ما أضاعوه بثلاث هجمات متواليات وربحوا خيلاً وسلاحاً وعتاداً وافراً وعطبوا مصفحتين فعطلوهما[٢]. واستمر المجاهدون ينازلون العدو حول النبك حتى ١٥ آذار حيث اضطروا للانسحاب لنفاذ ذخيرتهم واحتل الفرنسيون البلدة.

وقد كانت معركة النبك هذه من أكبر معارك القلمون التي ظهر فيها تفوق الثائر بنظامه واستبساله. وقد ذكر سعيد العاص أن العدو خسر في اليوم الأول ثلاثة أرباع مدفعيته وفي اليوم الثاني زهاء أربعمائة قتيل، وقد دافع أهالي النبك عن بلدتهم وأوطانهم دفاع الأبطال وقدموا الكثير من التضحيات والشهداء.

---

[١] **الريس ص٩٩.**

[٢] **الشهبندر ص٧٣.**

الفصل الثاني

الثورة في وادي التيم وإقليم البلان

أ ـ دخول حاصبيا وحرق كوكبا

بعد انتصار المزرعة ووصول وفد من دمشق يؤكد استعداد العاصمة للمساهمة في هذه الثورة وثورة حماه واشتداد الحركة الثورية في الغوطة توجهت قوة من الجبل في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ لمساعدة نسيب البكري بالهجوم على دمشق والمشاركة بمعارك الغوطة. وكانت هذه القوة حوالي ١٥٠٠ محارب بقيادة زيد الأطرش ومعه حمزة الدرويش وصياح الحمود وحسن الأطرش والعقيد فؤاد سليم وأخوه نصري سليم وسعيد اليماني ونزيه المؤيد العظم وزكي الدروبي وعلي عامر وشكيب وهاب ومحمود كيوان[1].

وصلت القوة إلى الهيجانة ثم قرية الخيارة في الغوطة وقد قصفتهم الطائرات الفرنسية فيها واستشهد سالم الأطرش ومحمد البربور وبعض الفلاحين من القرية. ثم انتقلت القوة إلى عقربا وببيلا وكان الأهالي يستقبلونهم بالترحاب والمساعدة. وفي هذه الأثناء وصلت رسائل من الإقليم تشرح حادثة قلعة جندل وتطلب نجدة الثوار، وكانت الرسائل محرقة الزوايا دليلاً على أن الأهالي كانوا بأشد حالات الضيق والحرج.........

ـ تفاصيل الحادث:

إن الكابتين كوليه دخل قلعة جندل على رأس متطوعته "وهي قرية درزية منيعة في سفح جبل الشيخ الشرقي وطلب مائتي بندقية غرامة من البلدة وأخذ ٢٨ رجلاً من الأهلين رهائن لديه، وفي أثناء ذلك وصلت نجدات من أهالي القرية المجاورة

---

[1] الريس ص٣٠٠.

وحاصرت البلدة وأرغمت المتطوعة على الانسحاب بعد أن أعدم هؤلاء الرهائن بوحشية وبعد أن تركوا أعداداً من قتلاهم[١]........" .

وقد نسف الفرنسيون بعض المنازل في قرية بقعاثا بالمتفجرات وكانوا يثيرون الفتن بين الدروز والمسيحيين ليجعلوها مذبحة طائفية، فتوجهت القوة نحو مجدل شمس مروراً بدرايا وصحنايا حتى عرنة واستقبلهم الأهالي فيها بالزغاريد والنخوات. وفي المجدل جمع زيد الأطرش الوجهاء والقادة من المنطقة في بيت أسعد كنج وأعلن أنه جاء من الجبل بقواته بأمر من سلطان الأطرش لنجدة أهل الإقليم وتلبية طلباتهم والهدف تحرير أرض الوطن من الفرنسيين الغاصبين وأعلمهم أن الأمر شورى بينهم وأنه دعاهم لتحقيق هذه الغاية. وقد اقترح البعض مهاجمة بلدة القنيطرة الشركسية لأنها تقدم المتطوعين للكوكبات الشركسية مع الفرنسيين وتقف موقف العداء للثورة، فسقط هذا الاقتراح حيث قيل في معارضته إن البلدة كلها لا تؤخذ بجريرة بعض أبنائها، والشركس قوم مسلمون هجروا ديارهم في القفقاس لما احتلها المستعمرون الروس وآثروا الهجرة إلى البلاد الإسلامية في سبيل الحفاظ على دينهم، لذلك لا يؤخذون كلهم بجريرة المتطوعين مع الفرنسيين للكسب والنهب.

واقترح البعض توسيع رقعة الثورة إلى حاصبيا ووادي التيم فقبل الاقتراح. وقد أغارت الطائرات الفرنسية عدة مرات على المجدل أثناء هذا الاجتماع وأُسقطت إحدى الطائرات هناك برصاص المجاهدين[٢].

وكانت قيادة حملة الثوار توزع منشوراتها متوجة بالعبارة المشهورة:

"الدين لله والوطن للجميع"

في صباح التاسع من تشرين الأول ١٩٢٥ كانت بعض سرايا الحملة تدخل إلى حاصبيا بقيادة حمزة الدرويش. وكانت الحامية الفرنسية فيها قد لجأت إلى الشيخ حسين قيس قاضي المذهب قبل وصول المجاهدين فأجارها وأخرجها من القرية لتلتحق بمرجعيون والنبطية.

---

[١] **سلامة عبيد ص١٦٢.**

[٢] **الريس ص٢٠٣.**

وبينما كان حمزة درويش أحد قادة الثورة يتجول في المنطقة وبصحبته أحد الكهنة "الخوري أبو قمحة" دخل قرية كوكبا بناء على دعوة من أهاليها ولكن المعارضين للثورة في القرية أطلقوا نيرانهم الغزيرة على حمزة درويش ومرافقيه فقتلوا الكاهن وهو من أهالي القرية واثنين من الثوار فهاجم الثوار البلدة وأحرقوا بعض البيوت التي أطلق منها النار عليهم ثم تقدموا نحو مرجعيون فحاصروا الحامية الفرنسية ثم أخلوها بعد معركة حامية.

وقد استغلت فرنسا حرق كوكبا لتثير النعرات الطائفية بين المسيحيين والمسلمين وساعدها في ذلك بعض رجال الدين والإقليميين المتعصبين وبعض التصرفات الفردية التي أساءت لروح الثورة[1] لكن مناشير قيادة الثورة "وجلها بقلم القائد الشهيد فؤاد سليم" كشفت كثيراً من دسائس الفرنسيين ودعاياتهم الكاذبة.

وقد دعت قرية أبل السقي الثوار لتناول الطعام في قريتهم وأكثر أهاليها من المسيحيين فلبوا الدعوة وناموا تلك الليلة في القرية على خير وئام مع أهاليها.

وصل بعد ذلك كتاب من بطرس كرم إلى زعماء الثورة وكله شتائم ووعيد وتهديد.

"بطرس كرم هذا هو أحد اللبنانيين المتفرنسين جلبته السلطة الفرنسية على رأس فئة من المتعصبين لتكسب الثورة صبغة دينية[2] وقد توهم أن الثوار يخشون بأسه فتحرك فيه حس الانتقام وأرسل قوة إلى برغز "وهي مزرعة درزية صغيرة تخص "آل شمسي" لكي تحرقها فكمن لها شكيب وهاب ولما وصلت طلائعها المؤلفة من ستة عشر مقاتلاً إلى قرب القرية قبض عليهم شكيب وهاب وأخذ سلاحهم وأطلق سراحهم قائلاً لهم:

يا أخواني اذهبوا وبلغوا جميع أخواننا المسيحيين أننا لا نريد بهم شراً ولا نرغب بمحاربتهم بل نود مقاتلة الفرنسيين. ولما أخبروا إخوانهم وقصوا عليهم الخبر فلم

---

[1] سلامة عبيد ص١٦٤.

[2] الشهبندر ص٧٩.

يرجعوا عن غيهم بل هاجموا القرية فقابلهم شكيب وهاب ومن معه بالرصاص وأسرع الثوار من حاصبيا إلى المعركة، ولاحقوا بطرس كرم وعصابته الذين ولوا الأدبار نحو الجنود الفرنسيين وفروا جميعا باتجاه صيدا ولم يقتف الثوار أثر المنهزمين لأنهم دخلوا لبنان الصغير الذي قرر الثوار عدم التعرض له فاكتفوا بنسف جسر الخزاولة وعادوا إلى مقرهم في حاصبيا. وقد اشترك في هذه المعارك مع الثوار قسم كبير من أهل العرقوب وفريق من عرب محمود الفاعور[1].

ب ـ معركة راشيا واقتحام قلعتها

استنجد أهالي راشيا بالحملة الوطنية واستغاثوا بها لأن الحملة الفرنسية في قلعة راشيا بدأت تسومهم أنواع الظلم والاضطهاد لأنهم موالون للثورة وقد اصطدم الشباب مع الجند صدامات مسلحة أوقعت عدداً من القتلى والجرحى من الجانبين، وعلى الأثر تحصن الفرنسيون في القلعة "السراي" وهي دار من دور الأمراء الشهابيين تسيطر على البلد وتشرف على أكثر الطرقات المؤدية إليها، وأخذوا يطلقون النار على الأهلين الذين استنجدوا بالحملة الوطنية. وسرعان ما دعا زيد الأطرش إلى اجتماع تقرر فيه نجدة راشيا بقوة على رأسها أسد الأطرش وحمزة الدرويش و شكيب وهاب وارافقها نزيه المؤيد وفريد البدوي وعدد كبير من عشيرة الفاعور وأهل منطقة العرقوب[2].

يصف الريس اقتحام قلعة راشيا كما يلي:

"وصل الثوار إلى راشيا في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ وقد انقسموا إلى أربع فرق كل فرقة أخذت موقعها إزاء جانب من جوانب القلعة التي حصنت نوافذها وأسطحتها بالحجارة وأكياس الرمل وركزت وراءها الرشاشات وهدمت المنازل المحيطة بالقلعة على بعد ١٠٠متر منها ونضمت حولها الأسلاك الشائكة الكثيفة لإبعاد المهاجمين عن أسوارها.

---

[1] الشهبندر ص٨٠.

[2] الريس ص٣١٢.

فوجد المجاهدون أن الوسلية الوحيدة للاقتراب من القلعة هي فتح ثغرات في جدران المنازل لتهيئ للمجاهدين طريقاً مستترة تجعلهم على مقربة من القلعة وفتحوا ثقوباً لبنادقهم في جدران المنازل المقابلة للقلعة ولتحصينات الجنود على سطوح القلعة وفي نوافذها وتقدم المجاهدين يطلقون بشدة من ثقوب تلك الجدران نيران بنادقهم على الجانب الذي يواجههم حتى أكرهوا المتحصنين على الابتعاد من هذا الجانب لداخل القلعة، وتقدم بعض المجاهدون نحو الأسلاك الشائكة لكنهم فوجئوا بوابل من القنابل اليدوية ومدافع الهاون تتساقط عليهم من الجنود الذين عرفوا خطة المجاهدين لاقتحام القلعة فجعلوا من المكان جحيما بقذائف مدافع الهاون ورمّاناتهم اليدوية، فجرح وقتل عدد من المجاهدين لكنهم في النهاية استطاعوا أن يقتلعوا الأسلاك الشائكة وجلبوا سلمين طويلين من الخشب شدوا الواحد إلى الآخر كي يبلغا ارتفاع الجدار الذي يزيد على بضعة عشر متراً، وصعد المجاهدون على السلم، الواحد تلو الآخر، وكان في مقدمة الصاعدين شاب من آل جربوع من السويداء ما كاد يصل إلى السلم ويتسلق الحصن حتى أردته رصاصة فهوى شهيداً إلى أرض الحصن، فصعد وراءه مجاهد آخر، صرع أيضاً برصاص الجند وهوى من أعلى السلم إلى الأرض، أما الثالث فتسلق الحصن وألقى على الحصن رمانة يدوية اتبعها بثانية وثالثة انفجرت كلها واقتحم الحصن بعد أن تأكد أن حاميته أصبحت بين قتيل وجريح ومنهزم ولحق به عدد من أخوانه الدروز والدماشقة ومجاهدي البقاع الذين أخذوا يلقون رمانات يدوية على حصون القلعة ويردون الجنود برصاص بنادقهم، فدب الرعب بقلوب الجنود من هذه المباغتة الجريئة وأخذوا يفرون إلى داخل القلعة، ولجأ عدد كبير منهم إلى ملجأ كان سقفه الخشبي قريب من الحصن الذي احتله المجاهدون الذين راحوا ينقعون كفياتهم "غطاء رؤوسهم" بزيت النفط ويشعلونها ويلقون بها على سقف الملجأ الخشبي حتى اشتعل وتساقطت نيرانه على المحاصرين في المهجع، فذعروا وفروا إلى الأقبية في الدور الأرضي من القلعة يطلقون منها الرصاص وأسهماً نارية مضيئة حمراء كانت تضيء الفضاء فوق القلعة شارة الخطر وطلب النجدة.

وخلال ذلك وجد المجاهدون المحيطون بهذا الجانب من القلعة ممراً ضيقاً إلى القلعة سُدَّ بالحجارة فاقتلعوها ودخلوا القلعة يهزجون وحداؤهم يقطع نياط قلوب المحاصرين ثم استطاعوا أن يحطموا باب القلعة ويدخلوا منه مهللين مكبرين وأحاطوا بالأقبية التي حوصر فيها الجند، ولكن الطائرات الفرنسية وصلت في تلك اللحظة، وأخذت تحوم فوق القلعة وتلقي قنابلها على القادمين إلى البلدة والخارجين منها. ولم تلق قنابلها على البلدة خشية أن تصيب القلعة وفيها الحامية الفرنسية. ولكنها ألقت صناديق خشبية صغيرة، سقط أحدها بيد المجاهدين، وإذا فيه أمر عسكري موقع من الجنرال "غاملان" القائد العام لجيوش الشرق موجه إلى قائد الحامية هذا نص ترجمته:

"ستصل النجدات إلى راشيا في الوقت المقرر لتحيط بالدروز نهنئكم على دفاعكم المجيد" في هذا الوقت شغل المجاهدون الذين اقتحموا القلعة بالاستيلاء على الخيل والبغال والأسلحة والذخائر والعتاد وتركوا الانقضاض على أقبية القلعة والإجهاز على المدافعين عنها وقد أصبحوا على آخر رمق لولا هذا الأمر العسكري الذي يبشرهم بوصول النجدات ويشد من عزائمهم على الثبات. ومع ذلك فقد استسلم عدد من رجال الدرك اللبنانيين كانوا محاصرين في إحدى غرف القلعة فأطلق المجاهدون سراحهم بعد الاستيلاء على أسلحتهم كما استطاع نزيه مؤيد العظم الذي كان في الحصن ووقعت بيده نسخة من الأمر العسكري أن يقف في باحة القلعة ويحذر أخوانه من عاقبة الانشغال بالسلب والنهب الذي يسبب الفشل بالحركات الحربية. ولكن أحداً لم يصغِ لإنذاره، بل أخذوا يخرجون من القلعة محملين بالغنائم متجهين نحو حاصبيا تاركين الحامية في الأقبية، ولم يبق في القلعة إلاَّ النزر اليسير من المجاهدين بينهم شكيب وهاب. وعند الغروب تقدمت الحملات الفرنسية القادمة من لبنان لنجدة حامية راشيا فاضطر الباقون في القلعة وهم قلة للخروج منها والاتجاه لمقابلة الحملة الكبيرة القادمة من الشمال فأوقفوها بضع ساعات بمساعدة الباقين من المجاهدين في المعركة وقد نفذت ذخيرتهم فاضطروا للانسحاب في جنح الليل متخلين عن عشرات الجرحى من أخوانهم بعد أن سجلوا أشد معركة في ضراوتها وإقدامها.

وتقدم الفرنسيون إلى بيت نعمان زاكي فأجهزوا على كافة الجرحى وأفراد أسرته وأحرقوا المنازل والأسواق مع أبشع أعمال التقتيل والنهب"

لقد جاء في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق في الدفاع عن راشيا ما يلي:

كما ورد في كتاب منير الريس من ص٣١٦ـ٣١٨.

جـ ـ الدفاع عن راشيا من ٢٠ إلى ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٥

في الأيام الأخيرة من تشرين الأول كانت تجريدة سريعة من الخيالة والدرك تعمل في ناحية حرمون الغربي، على قمع الشقاوة التي اتسع نطاقها بسرعة حتى كاد يتناول لبنان الجنوبي، وزادت الحال توتراً وخطورة فاستقر الجيش في قلعة راشيا يوم الخامس من تشرين الثاني. والقلعة المذكورة تشرف على البلدة التي يقطنها ثلاثة آلاف نفس، نصفهم دروز ونصفهم مسيحيون، وتتسلط من الشمال على الوادي الذي ينتهي إلى البقاع، ومن الشرق على منافذ مضيق حرمون ومن الجنوب الغربي على السبل المؤدية إلى حاصبيا، وهذه القلعة حصن فرنسي قديم يشارفها قسم من البلدة وهضبة صخرية.

كانت حاميتها بقيادة الكابتين "غرنغر" من فيلق الصباحيين الثاني عشر مشتملة على:

الكوكبة الرابعة من فيلق الصباحيين الثاني عشر "الكابتين غرومارفياي" والكوكبة الرابعة من الفيلق الأجنبي الأول "الكابتين لاندريو" ومفرزة الرشاشات التابعة لفيلق الصباحيين الثاني عشر "اليوتنان تينه" ومئة جندي من الدرك اللبناني. وفي اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني أغلقت الأسواق في راشيا وتهيأت القلعة للدفاع، فبوشرت أعمال التحصين بنشاط ونظمت أماكن الرشاشات وأعدت مراكز راشقي القذائف وأقيمت الجدران حول نوافذ المنازل والأقبية، وطوقت القلعة، بشبكة من الأسلاك الشائكة، وهدمت بعض منازل القرية تقويماً لخط الرماية، وخزن الماء في الآبار...!!

في اليوم الحادي والعشرين من الشهر قطع الدروز جميع سبل المواصلات، فلم يبق لدى القائد لتأمين اتصاله بالخارج إلاّ ست حمامات زاجلة، فلما بزغ الفجر شرع العدو بالمهاجمة متسرباً إلى بيوت القرية ليصبح على مقربة من صفوفنا، واحتل الهضاب والصخور في الجنوب الشرقي فأرسل منها ناراً حامية أردت أربعة من جنودنا وجرحت خمسة عشر، وفي

منحنى النهار أصبح على تماس بالمدافعين رغم التقذيف الشديد الذي قابلته به أسلحتنا الأتوماتيكية.

في ٢٢ تشرين الثاني حاول الدروز تقطيع شباك الأسلاك ولم ينفكوا عن الهجوم طوال النهار بالبنادق والقذائف، بينما كان رماتهم الحاذقون يسددون الرصاص من البيوت والصخور القائمة في الجنوب الشرقي من القرية كأنهم قصدوا إلى شل عمل الدفاع، وفي منتصف الساعة التاسعة قتل الكابتين "غرنجر" برصاصة اخترقت صدغه وهو على إحدى شرفات القلعة فخلفه في القيادة الكابتين "غروفرفياي".

وعند الظهيرة شد الدروز على الجانب الجنوبي ورشقوه بالقذائف التي أحكموا تقذيفها فعرقلت مهمة الدفاع. على ان جنود الفيلق الأجنبي المرابطين في ذلك الجانب قد ثبتوا ثباتاً حسناً، وقابلوا المهاجمين بالقذائف أيضاً فأرغموا الدروز على التراجع عن عزمهم بعد كفاح دام ثلاث ساعات واحتفظنا بجميع مراكزنا بالرغم من تواتر إطلاق النار المتلازم، بيد أن الذخيرة قد قاربت على النفاذ فصدر أمر القائد إلى الجنود أن يتحرزوا بأنفاقها. وكان التعب قد أدرك المدافعين ولكنهم استمروا على رباطة جأشهم وعززت معنوياتهم رسالة ألقتها إحدى الطائرات تنبئ أن الحامية ستنفذ حوالي الرابع والعشرين من الشهر.

وما أزفت الساعة الخامسة صباحاً حتى حمل العدو على الجبهة الجنوبية بالقذائف تمهيداً للهجوم العام.

وفي الساعة الثامنة أغار على حين غرة، فتمكن من تسديد القذائف على البرج مرات عديدة، فتلاشى وانعدم عمل الموقع الذي استقر فيه متطوعو البواريد الرشاشة، وراشقو القذائف، فاستطاع الدروز أن يتسلقوا السلالم إلى البرج واستطلوا من الجنوب على القصر وسطوح الساحة, وفي هذه الأثناء كان العراك حامي الوطيس على ذلك المكان، أما اليوتنان "كوستان" فاستمر صامداً مع جنود الفيلق الأجنبي والصباحيين في الطابق الأعلى.

وانتظمت مفرزة الصباحيين الاحتياطية بقيادة معاون الضابط الخيال ميغرو "في خط مقاومة وراء البيوت القائمة في الجانب الجنوبي بينما كان الدروز يغيرون على البرج

فيكادون يصلون إليه، وحاولوا عبثاً إعمال النار في أرجائه. وجرح اليوتنان "مودرانو" بعيار ناري تناوله عن كثب.

وفي الساعة الثامنة والنصف أرغم جنود الفيلق الأجنبي على التخلي عن البرج نهائياً وعن البيت القائم عند المدخل الصغير وفي الساعة التاسعة استقر الدروز نهائياً في البرج وشرعوا يصوبون النار على حماة الساحة، ويقتلون الجياد. وفي هذه الأثناء اكتشف الدروز سرداباً ينفذ إلى الساحة فسلكوه، فسلطت الرشاشات المذكورة نارها على منفذه وسمرت المهاجمين عنده، على أن الدروز المرابطين في البرج تمكنوا بعد أن تحولت عنهم النار من قذف النار بغزارة على مطلقي الرشاشات وأخرجوهم جميعاً من صف القتال خلال خمس عشرة دقيقة، فتولى إطلاقها معاون القائد الخيال "بيسروف" من الفيلق الأجنبي يعاونه جندي كان يعمل على حشوها وتحرج الموقف في الساحة، فأغار اليوتنان "ديفاري" على رأس رهط من جنود الفيلق الأجنبي والصباحيين ورجال الدرك وانطلقوا برؤوس الحراب واستعادوا السرداب والبيت الذي يعلوه فتعدلت وضعية الدفاع. وحوالي الساعة العاشرة استطاع الدروز أن يدانوا الباب الكبير وكانت ذخيرة الحراس قد نفدت فرشقوا القذائف على رجال الدرك في آخر الساحة واضطروهم إلى التخلي عن موقعهم، ولكن هؤلاء ما لبثوا أن استعادوها فوراً بمؤازرة الصباحيين. وهجم الدروز هجوماً آخر فأرغموا رجالنا على الانسحاب من السرداب فتراجعوا عنه متسترين بالجياد واستقروا في القسم الشمالي من السراي ثم اكتشف العدو مقر الرشاشة التي تنصب على البرج فجرحوا العاملين على إطلاقها فتركت وشأنها بضع دقائق ثم تولى أمرها الصباحيون.

كان لدى قائد الحامية حمامة زاجلة أخيرة فأطلقها وحملها إلى القيادة رسالة تنطوي على وصف الحالة فأنبأها أن الذخائر تنفذ بسرعة وطلب منها النجدة فوراً وإلا اضطر في اليوم الثاني أن يخرج على العدو مستسلماً مع من معه من رجال الحامية محاولة لإنقاذها.

ودخلت الحالة عند الساعة الخامسة عشرة في طورها الأكثر خطورة فالدروز متحصنون في البيت الملاصق للباب الكبير حيث أصبحت الشرفات والمتاريس في متناول نيرانهم وأصيب عدد كبير من المقاومين بالجراح.

وطغى العدو على الساحة محاولاً الانسلال من خلال الجياد فصدته الرشاشة بنارها مضطرة لحصد الباقية لكنها أوقفت الهجوم فوراً.

وفي الساعة الخامسة عشرة تهاوت القنابل على الأعداء من الطائرات التي استقدمها قائد القلعة فتراخت حلقات الهجوم واستمرت في تراخيها حتى الليل.

على أن الأرصاد أبصروا لدى الساعة العشرين سهماً نارياً اخضر ينطلق على بضعة أميال في السهل وأعقبه أربع طلقات مدفعية وظهرت علامة نارية تشير إلى فيلق الصباحيين السادس.

أما الدروز فقد أدركهم ولا شك القنوط والوهن فأمسكوا عن الهجوم ليلاً. وفي ٢٤ تشرين الثاني لم يستأنف الهجوم إلا بعض متعصبي الدروز بينما كان معظمهم ينهزم شرذمات صغيرة صوب زحلة وعيحا. وفي منتصف الساعة الرابعة عشر دخلت القلعة الكوكبة الأولى من فيلق الصباحيين السادس بقيادة الكابتين "ستوكله" وأنقذت الحامية، لكن النضال كان شاقاً وأسفر عن خسارة المدافعين لأربعين من المئة من قواتهم وقد قتلت جميع الخيول فكست بجثثها ساحة الميدان بأكملها. وقد ورد في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق وفي الصفحة ١٧١ منه صورة لأمر عسكري رقم ٣٩٣ مؤرخ في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ جاء فيه ما يلي:

وإن الجنرال القائد الأعلى للجيش الفرنسي في الشرق ينوه في الجيش بفصيلة الكابتين "غرانجر" الذي سقط في ساحة الشرف أثناء المعارك وخلفه في القيادة الكابتين "غروفارفياي" وهي تشمل على الكوكبة الرابعة لفيلق الصباحيين الثاني عشر ومفرزة الرشاشات والكوكبة الرابعة التابعة لفيلق الفرسان الأجنبي الأول والمعقود اللواء الكابتين "لاندريو" واليوتنان "تينيه" قائد فريق من الدرك اللبناني الذي قتل في ساحة الشرف ويمنحها الصليب الحربي، وقد وكل إليها أن تحمي قلعة راشيا فدافعت أربعة أيام أمام هجمات العدو المتكررة وسطرت بين تلك الجدران التي تتحدث بماضي السلف المجيد صفحةً من الأساطير تسامي أروع ما في حروبنا البعيدة من المعارك وقد صمدت حتى الرصاصة الأخيرة وحتى وصول النجدات التي دحرت الثوار ....!!

إن ما سطرته أقلام الفرنسيين في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق على ما فيه من كذب عن نفاذ العتاد والذخيرة من الحامية ليشهد على البطولات الرائعة التي سطرها المجاهدون الذين اقتحموا حصون قلعة راشيا. ولولا الانشغال في الكسب والغنائم عن القتال لاستسلم المحاصرون في الأقبية من جنود الحامية وضباطها ولكانت قوات الثورة التي تفرقت وغادرت أرض المعركة حرصاً على الغنائم قادرة على صد الحملة ودحر الفرنسيين نهائياً. لكنها ريح الطمع وحب الكسب الذي يذهب بالنصر الذي يصبح قاب قوسين أو أدنى[1]. ولم تتجدد المعارك في جهات راشيا إلاَّ بعد مطلع عام ١٩٢٦ بقيادة محمود كيوان وكان أشهر هذه المعارك معركة "الفالوجة" في السفح الغربي من جبل الشيخ حيث قضى المجاهدون على حامية تبلغ ثلاثمائة نفر في معركة خاطفة واستولوا على ذخيرتها كاملة.

يلخص سلامة عبيد في كتابه ص١٨٠ أبرز أحداث هذه المنطقة بالإضافة إلى ما يذكر ما يلي:

١ ـ استشهاد الزعيم الوطني أحمد مريود وأخيه في مطلع حزيران سنة ١٩٢٦ بعد أن عاد من العراق للمساهمة بالثورة.

٢ ـ استشهاد الضابط فؤاد سليم الذي اشتهر بشجاعته ومقدراته العسكرية ودقة أرائه "قلب الثورة النابض".

٣ـ استشهاد الضابط خطار أبو هرموش في معركة قطنا وانتقام ولده جميل له بقتل عدد من الأسرى الزنوج.

٤ـ بطولة المجاهد أسعد كنج أبو صالح الذي قتل تحته عدد من الخيول وهو يخوض معارك الجبل والإقليم.

٥ـ كثير غيرها من البطولات التي نرجو أن يتاح لها أن تسجل بتفصيلاتها.

بعض قصائد المجاهد صياح الأطرش بمعارك إقليم البلان ووادي التيم:

---

[1] **الريس: ص٣٢٠.**

معركة راشيا:

يـــــا وقعـــــة غربـــــي حـــــضر	عيـــــت علـــــى دفّانهـــــا[1]
فرنـــــسا مـــــا تنيـــــت خـــــبر	يـــــوم ان سمـــــك دخانهـــــا[2]
الحـــــرب مـــــا هـــــي بـــــالنظر	الـــــشيخ يرخـــــي عنانهـــــا[3]
لعـــــين مـــــن تلـــــبس حـــــبر	حنـــــا حمـــــاة أركانهـــــا[4]

إلى أسعد كنج[5]:

يـــــا أســـــعد جينـــــا مفـــــازيع	مـــــن فـــــوق قـــــب مهارنـــــا[6]
لكـــــنج نظهـــــره ســـــريع	وبـــــالحيس نوقـــــد نارنـــــا[7]
حنـــــا علـــــى فرنـــــسا نبيـــــع	بالـــــسيف نأخـــــذ ثارنـــــا[8]
عـــــدونا عقلـــــه يـــــضيع	لـــــو صـــــار يبغـــــي ديارنـــــا
ســـــلطان يـــــا صـــــوراً منيـــــع	أنـــــتم حمـــــاة أحرارانـــــا
لعـــــين مـــــن خـــــصره رفيـــــع	ذبـــــح العـــــساكر كارنـــــا[1]

---

[1] عيت على دفانها: أرهقت الدفان

[2] ما تنيت خبر: ما انتظرت.

[3] يرخي عنانها: يغير على حصانه.

[4] الحبر: الحرير البلدي.

[5] أسعد كنج: شيخ مجاهدي مجدل شمس

[6] قب مهارنا: سروجها.

[7] الحيس: المعركة.

[8] نبيع: نرخص الأرواح.

[1] كارنا: مهنتنا، عاداتنا.

الفصل الثالث

بعض معارك الثورة في شمال سورية ولبنان وجبل الشيخ

أ ـ التحضير والمعاناة

بعد معركة النبك تابعت مجموعة القاوقجي ومنير الريس سيرها إلى جيرود للدفاع عن البلدة وقد تعاونوا مع صفوت الجيرودي لشراء العتاد والذخيرة لهم ولسرية الدروز المرافقة لمجموعتهم[1]. وقد رفض وجهاء جيرود التعاون معهم وكذلك وجهاء الرحيبة أما في الضمير فالتقوا بنسيب البكري مع أربعين فارساً من الدروز بقيادة أبي حمزة زيد عامر قادمين للالتحاق بفوزي القاوقجي" الريس ص٥١١". وانتقل الجميع باتجاه الغوطة، وكانت أكثر القرى تمنع دخولهم إليها خوفاً من بطش الفرنسيين، وفي شهر نيسان ١٩٢٦ وصل الدكتور الشهبندر إلى الغوطة قادماً من الجبل يرافقه المقدم الركن مصطفى وصفي السمان وخليل الحموي وعقد اجتماعاً في ١٣ نيسان في قرية بالا حضره جميع زعماء العصابات وعقبه اجتماع ثانٍ في ١٥ نيسان في عقربا، تقرر فيه:

تأليف مجلس وطني من زعماء العصابات والضباط المجازين في الحقوق من الثوار وانتخب مصطفى وصفي قائداً عاماً في الغوطة، وسجلت القرارات في ضبط جلسات رسمية وتقرر انتخاب لجنة تنفيذية للمجلس الوطني، ولجنة أخرى لإعانة المنكوبين وتقرر إحداث قوة إجرائية ترتبط بالقائد العام سلطان باشا الأطرش لأفرادها وضباطها رواتب محددة، وقد سعى القاوقجي والعاص والريس لإقناع الشهبندر لإرسال قوة لتنظيم الثورة بالقلمون الذي وعد بنقل الفكرة إلى القائد العام للثورة لإرسال كتيبة من فرسان الدروز لتساعدهم في القلمون.

---

[1] الريس ص٥١٠.

وقد وزع الشهبندر بعض الأموال على رؤساء العصابات[1] وبعد اجتماعين آخرين غادر إلى الجبل. وبعد سفر الشهبندر قررت مجموعة سعيد العاص والريس أن تغامر وتسافر لإذكاء الثورة في الشمال وقد رافقهم جميل العلواني وعلاء الدين الكيلاني ومصطفى الذيب من حماه، ومحمد علي الدروبي وشاكر السباعي ومرعي التركاوي من حمص، وفائق الكيلاني ورشاد ملص من دمشق و ومحمد علي ملص من دمشق وأبو علي رشيد الصحناوي من دروز حوران وعبد الله المغربي ومحمد المغربي وعبد الحميد المرداوي من الجنود الفارين من الجيش الإفرنسي والملتحقين بالثورة، وكلهم مشاة عدا سعيد العاص الذي باع مسدسه في الغوطة ليشتري فرساً يركبها "كل هذا ورد في كتاب الريس (ص٥٣٧-٥٣٨).

وبعد رحلة شاقة باتجاه الشمال ومعارك متعددة مع جنود السلطة الفرنسية وأنصارها، وعدم استقبالهم بكثير من القرى الموالية إلى السلطة وغزو مدينة حمص وإذكاء روح الثورة فيها وفي المناطق المجاورة لها كان هؤلاء الثوار على مقربة من مضارب الثائر الشجاع زين مرعي جعفر وأخوانه في جبال أكروم، وقد التحق بهم عدد من ثوار حماه والنبك (لاحظ كتاب تكليف القائد العام للثورة سلطان باشا الأطرش إلى سعيد العاص بقيادة حملة حمص وحماه بتاريخ ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٥وذلك في فصل ثورة حماه).

لقد استقبل الثائر الشجاع زين مرعي وكافة المجاهدين حوله هؤلاء الثوار استقبالاً منقطع النظير بالأهازيج وإطلاق الرصاص بالهواء حتى ضجت المنطقة بأسرها عند وصولهم، وبات الفرنسيون يحسبون لهم ألف حساب خاصة بعدما بدأوا يستعدون لغزو الفرنسيين وحملاتهم في المنطقة.

---

[1] نفس المرجع ص٥٣٧.

ب ـ ثوة الضنية : (مايس سنة ١٩٢٦)

هاجم أولاد شوك وشندب مخفر الضنية ببلدتهم وفيه عريف وأربعة جنود من الدرك فقتل العريف واستولى المهاجمون على أسلحة الجميع وجيادهم، وهكذا أدركت الحكومة أن الثورة بدأت في منطقة الضنية وابتدأت بتحصين مدينة طرابلس بلبنان. فاستبشر الثوار في المنطقة لهذه الأنباء، وكتب سعيد العاص يشجع الثائرين هناك.

وهنا يذكر منير الريس ما يلي:

زحف الفرنسيون للقضاء على ثورة أكروم أولاً فسيَّروا ثلاث حملات زحفت إلى لبنان وسوريا، فاتفقنا مع زين جعفر أن يصد حملة لبنان في منطقة الهرمل مع أبناء عمه الجعافرة ونحن الحمويين والحمصيين نصد حملة الشمال الآتية من القصير.

فتقابلنا مع الحملة القادمة من ناحية القصير فرديناها على أعقابها بعد أن تكبدت أكثر من ثلاثين قتيلاً بعد معركة دامت أكثر من خمس ساعات وبعد أن أخلينا آخر جندي فرنسي من الحملة الشمالية عن خربة سهلات المي، انتقلنا لمساعدة أخواننا في وادي فيسان من أقصر طريق لنجدة أخواننا الجعافرة في جبل الشميس[1].

جـ ـ معركة وادي فيسان

بدأت حملة الهرمل الفرنسية تزحف صاعدة الجبل مع نيران رشاشاتها ومدافعها والقنابل اليدوية تساعد جنودها في الهجوم، وقد أصيب قائدهم في بداية الزحف ونقل إلى المستشفى وبدأوا يتسلقون أعالي الجبال، وكان المسلحون الخمسة الذين أصابوا القائد ينسحبون أمامهم نحو القمة وقد وصلت النجدات الفرنسية للفريقين واشتعل وادي فيسان ناراً حامية حين وصل أكثر من ماية مسلح من الجعافرة من قرية الحميرة وهاجموا الحملة من ناحية السفح، كذلك وصل علي جعفر ومحمد المغربي والمرداوي ورفاقهم من وراء الحملة وقطعوا عليها طريق الإمداد بالتموين

---

[1] الريس ص٥٩٥.

والذخيرة من الهرمل فأصبحت محاصرة تحت رحمة رصاص الثوار الذي كان ينصب عليها من جميع الجهات فخاف الجنود من نفاذ ذخيرتهم وتموينهم وبدأوا يتملصون من المعركة وقد لجأوا إلى مراح قريب بعدما ملأت جثث القتلى والجرحى سهل فيسان.

ويقول منير الريس[1]:

وما أذنت شمس ذلك النهار للغروب "١٩٢٦/٥/١٨" حتى لم يبق في الساحة من جنود العدو إلا القتيل والجريح ومن لاذ بالفرار إلى بناء المراح في الوادي واحتمى فيه.

وقد ركز المجاهدون نيران أسلحتهم عند الغروب من مواقعهم القريبة إلى المراح والمنهزمون من الجنود يترامون نحوه للنجاة من الموت الذي يتخاطفهم وقد تكدست جثث القتلى أمام بابه حتى لم يبق في الساحة من العدو من يطلق النار..!! حينئذٍ تنادى المجاهدون للهجوم على المراح الذي لجأ إليه الكثير من الجنود والضباط واندفع سعيد الدرزي الذي كان معنا في معركة "سهلات المي" وشهر سيفه وانقضَّ على المراح حتى بلغ بابه وإذا بسعد الله حماده "زعيم من عملاء الفرنسيين" في الباب يعلن عن اسمه ويقول إن كل من في المراح هو مستجيرٌ به وبحماه ولما صدَّه سعيد الدرزي صاح قائلاً:

اقتلوني قبل أن تدخلوا المراح أو تمسوا أحداً ممن في داخله وطلب مفاوضة زين مرعي الذي اتفق معه بعد فترة من المفاوضة على تجريد جميع المحاصرين في المراح من السلاح وسلامة أرواحهم لأن أكثرهم من القناصة اللبنانيين وخرجوا أمامنا بعد أن ألقوا سلاحهم وكان عددهم يزيد عن ماية وخمسين ضابطاً وجندياً أكثرهم من القناصة والمتطوعة اللبنانيين وبينهم ضابط فرنسي مجروح في ظهره حمله أحد الجنود كما حمل الجنود جرحاهم وانطلقوا في ظلام الليل إلى الهرمل بحماية سعد الله حماده من زعماء المنطقة. وبذلك تعتبر الحملة أبيدت كلها عدا جنود المراح ومن نقل من الجرحى وفرَّ من المعركة قبل أن يقطع المجاهدون خط الرجعة على الحملة أو يطوقوها في سهل فيسان. وظل صاحب جريدة "الراية" في بيروت "عميل للفرنسيين"

---

[1] **الكتاب الذهبي ص٦٠١ حتى ٦٠٣.**

لعدة سنوات يكتب صفحة كاملة مجللة بالسواد يوم ١٨ مايس من كل عام ينعى جنود وضباط الفرقة الثانية للقناصة اللبنانيين الذين ماتوا في معركة سهل فيسان في سبيل فرنسا المستعمرة سيدته وأمه الحنون........!.

وقد غنم الثائرون المتاولة في معركة وادي فيسان أكثر من أربع مئة بندقية وخمسين جواداً وجميع ذخائر الحملة وعتادها ورمانات يدوية ورمانات للبنادق وأدوات صحية وثياباً عسكرية وشارات بالأسهم النارية. وخسر الثائرون اثني عشر شهيداً من المتاولة وخسرنا نحن رفيقنا محمد المغربي رحمه الله فهو أكرم الشهداء عند الله إذ تخلى عن أهله وبلده في المغرب العربي وفر من جيش العدو إلى صفوف المجاهدين السوريين العرب وتحمل معهم كل مشاق الثورة ومتاعبها حتى مات شهيداً في سبيل الوطن العربي ليؤكد بدمه وحدتهم من المحيط إلى الخليج، وقد حق على المسؤولين بعد الاستقلال إقامة نصب له قرب مثواه في وادي فيسان يخلد تلك المعركة. من رفاقنا أيضاً عبد الحميد المرداوي من أبناء فلسطين واستمر في القتال بالثورة السورية حتى نهايتها ثم ترأس هذا البطل في ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ عصابة من شباب قريته "بيت مري في قضاء نابلس" وقاتل الإنكليز أروع قتال حتى استشهد ليضرب أروع الأمثال على بطولة عرب نابلس أبناء جبل النار.

يضيف منير الريس [1]: حدثني فلاح من أهل قرية القصير في الأيام التي تلت المعركة أنه كان مع بعض أبناء قريته يحصدون زرعاً قرب الجبل الذي كان فيه وقد مرت كتيبة الفرسان مهزومة من رصاصنا فترجل جنودها وانبطحوا أرضاً وصاح بنا الضابط كي نتوسد الأرض من الرصاص ففعلنا، وأشار إلينا بأنه إذا لم نتوسد الأرض فسيصيبنا رصاص الدروز الذي يصدر عن الجبل بتسديد صائب وسألني:

هل الدروز كثيرون في هذا الجبل؟؟. فقلت له إنهم كثر ..... فنفخ ضيقاً وقال: أنتم تؤونهم وتطعمونهم ثم تتظاهرون بأنكم أصدقاؤنا ....! تباً لكم...! وقد تبين لي أن المتخلفين عن المعركة والمتسكعين للهرب منها يصابون أكثر مما يصاب الذي

---

[1] الكتاب الذهبي ص٦٠٦.

يقتحمونها ويكونون في الصف الأول. وأذكر يوماً رافقت فيه مع عدد من إخواني السوريين سلطان الأطرش لأول مرة من بلدته القريا إلى السويداء ومعه عدد من فرسان الدروز، وإذ بطائرة فرنسية كانت على علم فيما يبدو بأن سلطان في بلدته وسيعود إلى السويداء. لأنها كانت منخفضة تتعقب الطريق عند قرية العفينة لتكشفها تماماً، فلما سمعنا هدير محركها ورأيناها ترجل الفرسان وتفرقنا في السهل مبتعدين عن الطريق وتوسدنا الأرض اتقاء للقنابل التي أخذت تلقيها علينا والرصاص الذي ينطلق من رشاشاتها، إلاَّ سلطان الأطرش فقد ظل على صهوة جواده يتابع سيره دون أن ينحرف عن الطريق حتى أفرغت الطائرة ذخيرتها ست عشرة قنبلة لم تصب بها أحداً منا.

فعجبت يومئذ لرباطة جأش سلطان ولكنني آمنت بعدها من التجارب في المعارك أن الموت يأتي المرء ولو كان في بروجٍ مشيدة. وإن كتب الله له السلامة فلا تقتله شدة حتى ولو أصيب..! وحكاية الثائر من آل عامر في جبل الدروز "أظنه حمد عامر " الذي أصيب بسبع عشرة طلقة في ساقه وبطنه وفخذه وجسمه وظل يومين وليلتين من شهر آب سنة ١٩٢٥ في الشمس المحرقة وفي برد الليل ينزف دمه حتى وجده في اليوم الثاني لمذبحة المزرعة فلاح حوراني حمله إلى بيته وعالجه بمغلي الدبس والسمن وكي الجراح حتى شفي واشترك في معارك الثورة الأخرى[١] . كل ذلك يجعل المرء يفكر ليقابل أحداث الحياة برباطة جأش فالآجال بيد الله فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون..."

النتائج:

بعد انتصار الجعافرة في الضنية ووادي فيسان تشجع توفيق هولو في منطقة بعلبك فهاجم بمن معه من ثوار منطقة مدينة بعلبك وأحرق دار الحكومة فيها، كما هاجم محطة اللبوة وأحرقها واشتعلت الثورة بمناطق متعددة في شمال سوريا ولبنان[٢] وارتعب الفرنسيون من مهاجمة الثوار هنا وهناك فراحوا يرسلون أسراب الطائرات

---

[١] الريس ص٦٠٧.

[٢] الريس ص٦١٠.

تلقي قنابلها على مواقع المجاهدين في أكروم والضنية تقصف المواقع والقرى المجاهدة مرتين أو ثلاث مرات في اليوم وتلقي مئات القنابل حتى لم يبق وادٍ ولم يبق جبل في المنطقة لم يُقصف أو لم تصبه النار وتنتشر فيه شظايا الحديد. وتكبد الأهالي الخسائر خاصة في قطعان الماشية والماعز التي كانت تقصفها الطائرات وتنقض عليها برشاشات كأنها سرايا من الثائرين...

وأقام بعدها الفرنسيون الحاميات في قرى (زيتا ـ القاع ـ بله رأس ـ بعلبك ـ الهرمل ـ وادي خالد) في كل حامية مئات الجنود المدججين بالأسلحة والمدافع والرشاشات. وأقاموا مخافر الجند على الجسور. كما زحفت حملة كبيرة إلى منطقة بعلبك تحرق وتهدم القرى التي ثارت أو دخلتها العصابات بالمدفعية والطائرات ويرتكب جنودها من الفضائع ما يندى له جبين الإنسانية[1] ثم فتحت السلطة الفرنسية مراكز التطوع لجيشها في حمص وحلب فجمعت المرتزقة لتلاحق المجاهدين في كل مكان وأصدرت العفو تلو الآخر لتغريهم بالاستسلام وإلقاء السلاح.

وهكذا تغلبت القوة والدبلوماسية الفرنسية على سعيد العاص وأخوانه[2] وكافة البؤر الثورية في الشمال خاصة ثورة الجعافرة التي هددت الفرنسيين وأقلقت مضاجعهم وبذلك استكان أهم جناح من أجنحة الثورة السورية الكبرى ولكن إلى حين.

د ـ بعض معارك جبل الشيخ

بعد ضرب دمشق وانسحاب غاملان من السويداء استدعي الجنرال ساراي إلى فرنسا وجاء خلفاً له " مسيو دي جوفنيل" أول مفوض سامي مدني لسوريا ولبنان. وقد كان متشدداً رفض أي مفاوضة مع الثوار قبل إلقاء سلاحهم. وقد رفضت قيادة الثورة المفاوضة لإنهاء موضوع الثورة في الجبل منفرداً وأصرت على معالجة المشكلة

---

[1] الريس ص٦١٠.

[2] سلامة عبيد ص١٨٣.

السورية بكاملها والمطالبة بالاتحاد والوحدة وتأليف حكومة مؤقتة يرضى عنها الثوار.

وقد عقد الثوار عدة مؤتمرات من تاريخ شباط سنة ١٩٢٦ (مؤتمر داما) حتى تموز سنة ١٩٢٦ (مؤتمر شقة ومفعلة) أكد المجتمعون فيها مقررات مؤتمر داما في اللجاة وهي:

١ـ مواصلة الحرب حتى تنال سوريا أمانيها المشروعة.

٢ـ الإصرار على الاستقلال مع التمثيل الخارجي والوحدة الكاملة لسوريا.

٣ـ تشكيل حكومة وطنية سورية وانتخاب مجلس تاسيسي يسن الدستور ويعين شكل الحكومة. يقول الأستاذ سلامة عبيد في كتابه الثورة السورية: (لا شك بأن الفضل الأكبر في التأكيد على الوحدة الكاملة لسوريا كان لسلطان باشا الأطرش بين الزعماء الأطارشة ومن يسايرهم من بعض الزعماء الثانويين الإقليميين أو بعض المشايخ المتعصبين. فقد ظل سلطان يرفض دائماً أي حل إقليمي ومفاوضة على أساس إقليمي. لكن إصرار العسكريين الفرنسيين على إعادة فتح الجبل حفاظاً على سمعة فرنسا وشرفها كدولة عظمى أدى إلى فشل كل هذه المفاوضات، فظل جوفنيل يستعد لمعركة الربيع في الجبل ليقضي على المقاومة في إقليم البلان لحماية ظهر قواته أولاً وأجرى انتخابات شكلية في البلاد على درجتين. وقاطعت حمص وحماه هذه الانتخابات فاعتقلت السلطات بعض أعضاء الحركة الوطنية وقادتها ونفت البعض الآخر.

أما في حلب فقد أبرزت الانتخابات الصورية مجلساً نيابياً اضطر أمام الضغط الشعبي للمطالبة بالوحدة السورية في أول اجتماع له وكان ذلك كافياً لحل هذا المجلس بعد جلسته الأولى.

وقد قامت في جميع المدن اللبنانية والسورية حركات تكتب العرائض وتطالب بالوحدة السورية على أساس اللامركزية[1] وفي مطلع ربيع ١٩٢٦ كان الثوار يسيطرون على الجبل والغوطة وإقليم البلان. وقد تابع المفوض السامي اتصالاته

---

[1] نفس المصدر ص١٨٣.

السرية والعلنية حتى تمكن الجنرال أندريا من السيطرة الكافية على مدينة دمشق[1]، في هذه الأثناء كانت بلدة مجدل شمس والمنطقة المجاورة قد تحولت لقلعة حصينة طردت الفرنسيين من المنطقة واستمر ثوارها بشن الهجومات عليهم في السفح الغربي والشمالي لجبل الشيخ.

سيَّر الفرنسيون على المنطقة حملتين حسب ما ورد بالكتاب الذهبي الفرنسي ص١٨٢" جيش الشرق وجيش الغرب "خاض معها الثوار معارك ضارية أبرزها معركة خان أرنبة (٣٠ آذار) اضطر العدو لأن يتراجع مدحوراً حتى القنيطرة. ومعركة غجر في الأول من نيسان حيث اشتبك الفريقان بالسلاح الأبيض وتلاصقوا أجساداً حسب تعبير الكتاب الذهبي، في حين كانت معارك أخرى تدور في جباتا الخشب والهضاب المحيطة حيث يتولى قيادة الثوار عادل أرسلان وأحمد مريود[2] وفي نيسان طُوقت مجدل شمس وبدأت تتعرض لوابل من قنابل المدفعية والطائرات وقد دافع الثوار عنها بمعركة رهيبة استمرت حتى مغيب الشمس وفي اليوم الثاني تمكنوا من اختراق الطوق المضروب حولهم للتوجه نحو الجبل مع عيالهم لمتابعة الثورة هناك. وقد صادفوا الأمرين بطريقهم حتى أنجدتهم قوات الثوار في الغوطة والجبل.

---

[1] أندريا الثورة الدرزية وفتنة دمشق.

[2] سلامة عبيد ص١٨٥.

الباب السابع

العودة إلى المعارك في الجبل

الفصل الأول

المعارك الشرسة في اللجاة

شعرت قيادة الثورة بأعباء القيادة الثقيلة ومسؤولياتها العظيمة بعد ان قررت توسيع نطاق الثورة ونشاطها إلى المناطق السورية واللبنانية في وقت كانت تجابه فيه آلة الحرب الحديثة المدمرة كما تجابه تصميم الفرنسيين على قهر إرادة الثوار في مختلف جبهات القتال، حتى الإتفاق الفرنسي البريطاني على مضايقة الثوار وقطع طرق إمداداتهم من البلدان العربية المجاورة. وهنا يقول سلطان الأطرش بمذكراته ما يلي:

فذلك ما جعلنا نقرر أن تبقى جلسات أركان قيادة الثورة دائمة الانعقاد بالإضافة إلى الاجتماعات العامة التي كنا ندعو لعقدها بين حين وآخر كاجتماعات "عرى ـ الرحى ـ قنوات" لدراسة مختلف شؤون الثورة داخل الجبل وخارجه[1] . وفي حين كانت القوات الفرنسية تحتشد في قرى حوران المتاخمة للجبل. وتظاهر المفوض السامي الجديد المسيو دي جوفنيل برغبة بالسلم فأرسل وفداً للتفاوض مع الثوار مؤلفاً من السادة:

الأمير أمين أرسلان ـ الأمير طاهر الجزائري ـ فوزي الغزي ـ لطفي الحفار ـ عفيف الصلح ـ اجتمع هذا الوفد مع قيادة الثورة في شهر شباط سنة ١٩٢٦ ببلدة عرى.

فأصر الثوار على تحقيق المبادئ الأساسية للثورة الوطنية التي استشهد من أجلها آلاف المجاهدين وأكدوا للوفد بأنه لا هدنة ولا إلقاء سلاح قبل أن يستجيب الفرنسيون لمطالبهم المشروعة في وحدة الوطن وحريته واستقلاله. لكن المفوض

---

[1] (ا ـ م ح ٢١).

السامي رفض الاستجابة لهذه المطالب. واستمر بمحاولة الفصل بين الثورة في الجبل ومطالب الثورة السورية الكبرى على مستوى الوطن.......

فأصدر بياناً خاصاً لأهل الجبل وزعه على البلدان والقرى بالطائرات يحرضهم ضد مطالب الثورة العامة ويغريهم بتحقيق مطالبهم الخاصة بحرية الجبل واستقلاله وهذا نص البيان كما ورد بالحلقة ٢١ من المذكرات:

توثيق: (إلى الدروز ـ لماذا تحاربون؟ قد أتيتكم حاملاً لكم الحق في أن تسنوا دستوركم بنفسكم. وأن تختاروا بذاتكم حكومتكم ورؤساءها فإذا بقيتم على متابعة القتال فإنما تحاربون بذاتكم آمالكم وحريتكم. ولماذا تحاربون، وفي سبيل من تحاربون؟؟." ذهب إلى رؤسائكم منذ أيام وجهاء الدروز المتألمين للقتال، وإن القتال إنما يسير بالدروز إلى الانكسار والموت والمجاعة، وإن نساءكم وأولادكم يكونون أول الضحايا "." قد أذن الجيش الفرنساوي لهؤلاء الأعيان بالمرور لأني لا أريد أن تحمل فرنسا على عاتقها مسؤولية الويلات التي تهددكم. هذه المسؤولية قد أخذها سلطان الأطرش على نفسه لأنه هو الذي رفض مساعي أخوانكم. المسؤولية عليه "." إن فرنسا وحدها قديرة على أن تنفعكم وتقدم لكم القمح والطرقات والمدارس والحرية التي بدأت تمتد حسناتها إلى جميع الأنحاء السورية المتنعمة بالسلام. إذا سالت دماؤكم بعد الآن واحتجت نساؤكم وأولادكم فلا يكون ذلك ذنبي بل ذنب سلطان الأطرش وذنب الأجانب الذين استأجروا بالمال! أيها الدروز إن الواسطة الوحيدة للانتصار هي أن تتركوا سلاحكم لأنكم لا تقدرون على شيء ضد فرنسا القادرة على كل شيء في سبيل مصالحكم).

المفوض السامي للجمهورية الفرنسية هـ . دي جوفينيل

وقد ورد في الحلقة ٢١ من مذكرات سلطان باشا الأطرش ما يلي:

في هذه الفترة ساد النظام في مناطق الجبل ونواحيه وخيم الأمن... لولا غارات الطائرات المتواصلة على مدينة السويداء وقصف المدفعية للقرى الغربية المتاخمة لحدود حوران بالإضافة لبعض الغزوات البدوية على القرى المتطرفة خاصة اللجاة وهجمات خاطفة لخيالة المتطوعين على طريق المواصلات الشمالية فخشيت قيادة

الثورة من نجاح الفرنسيين بتحقيق خططهم الرامية إلى عزل الجبل عن المناطق الأخرى وقطع الاتصال بقوات الثورة المحاربة فيها لذلك قررت القيادة الانتقال إلى قرية نجران وبعد التداول في الأمر تقرر الاجتماع في قرية داما "في بيت شبيب القنطار" حيث اتخذت القرارات التالية:

١ـ نقل القيادة إلى اللجاة والتمركز في بعض قراه للسيطرة على سكة حديد دمشق درعا وتأمين طرق المواصلات مع الغوطة والإقليم.

٢ـ تكليف لجنة برئاسة الأمير عادل أرسلان للرد على بيان المفوض السامي كما نشر بالصحف بتاريخ "٢٨ شباط سنة ١٩٢٦ وكان يتضمن الشروط نفسها التي حملها الوفد السابق للمفوض السامي.

وقبل الانتقال إلى قرى اللجاة فاوضت قيادة الثورة شيوخ العشائر البدوية في هذه المنطقة ليكونوا إلى جانب الثورة الوطنية، وبعد أن وعدوا بالوقوف إلى جانب الثورة عادوا إلى ديارهم ليكشفوا عن اتفاق سابق لهم مع الفرنسيين اللذين مدوهم بالمال والسلاح وحرضوهم على منع المجاهدين من الدخول إلى اللجاة. وفي أوائل شباط سنة ١٩٢٦ اتُّخذت قرية جدل في وسط اللجاة مقراً للقيادة العامة وتوزعت قوات الثورة في القرى الأخرى: صور ـ جاسم ـ جسري ـ كريم ـ تعاره ـ والأكثرية في قرية الطف الواقعة في أقصى الشمال وكانت أكثر قرى الجبل ممثلة بقياداتها وكبار المجاهدين في تلك القوات[١] "

في هذه الأثناء تبين أن معظم سكان المنطقة في حالة تأهب لقتال الثوار نتيجة تحريض الفرنسيين وإمدادهم بالسلاح والمال كما أسلفنا.

وقد أعدم أهالي خبب رسول الثورة عبدو الحمصي رمياً بالرصاص عندما جاءهم يطلب التفاهم مع قيادة الثورة. لكن شيخ عشيرة اللزوق نقل إلى قيادة الثورة أخبار الحملة المؤلفة من حوالي ثلاثة آلاف مقاتل التي جهزها الفرنسيون من بدو اللجاة بقصد مهاجمة المجاهدين حتى قرية جدل نفسها لإخراجهم من اللجاة بالقوة.

---

[١] مذكرات حلقة ٢١.

وفعلاً في الصباح الباكر من اليوم العاشر من شهر شباط بدأت الحملة زحفها على اللجاة مع طلوع الشمس ـ تساندها الطائرات بغاراتها الكاسحة فصمد لها الثوار بشجاعة فائقة وردوا الحملة على أعقابها[1] واستمروا يطاردون فلولها حتى مشارف خبب وكان في نيتهم دخول خبب نفسها لتأديب أعداء الثورة فيها لكن صداقة المجاهدين مع المطران نقولاوس قاضي المستقر فيها أوجبت عليهم تحاشي ذلك وغض الطرف عن الكثيرين ممن خدعتهم سياسة فرنسا من أهاليها.

ويذكر سلطان باشا الأطرش بمذكراته من الذين استبسلوا في هذه المعركة عباس العربيد أبو عاصي وأحمد مريود وإبراهيم ونايف نصر وإسماعيل وفضل الله كنعان وسليم أبو يزبك وسلمان المحيثاوي وداوود القيسي نصر وعبد الكريم عامر الذي لقب بعبد الكريم الريف وسلمان وجاد الله أبو سرحان ومسعود ونجم العباس مرشد وهاني عبد الخالق.

ولم يلبث الفرنسيون أن حشدوا القوات في جهات قرية محجة وراحوا يبثون الحماسة فيها كي تعود لقتال الثوار فزحفت على المجاهدين المرابطين في صور وجاسم حيث دارت معركة رهيبة استخدم فيها الأمير عادل أرسلان مدفعاً من عيار ٢٧مم تولى الرماية عليه عبد الكريم المدفعي فمني الأعداء بهزيمة نكراء وتكبدوا خسائر كبيرة في الأرواح رغم غارات الطائرات الفرنسية المتواصلة على مواقع الثوار دون انقطاع ـ وقد استشهد من الثوار: رشراش أبو فخر وحسين الغاوي في صور. وداوود القيسي نصر في محجة ـ وقد نقله مسعود غيث نصر على ظهره إلى لبين ثم نقل إلى نجران حيث قضى نحبه في اليوم التالي. أما في قرية الطف فقد حصلت معركةعنيفة مع القوات الفرنسية الزاحفة على المجاهدين من محطة المسمية، فهزموها وأنزلوا بها خسائر كبيرة وظلوا يتعقبونها حتى بلغوا الخط الحديدي فدمروا بعض العربات المصفحة التي وجدوها وعادوا إلى مراكزهم يحملون معهم ما كسبوه من سلاح وذخيرة. وفي الأيام الأخيرة للثوار في اللجاة نشبت معركة كبيرة بين المجموعة التي كان يقودها الأمير عادل أرسلان ومعظم أفرادها من قرية عرمان

---

[1] مذكرات حلقة ٢١.

المناضلة وبين الفرنسيين وأعوانهم من جهات خبب وقد صمد الثوار القلائل أمام هجوم الأعداء الكثيرين ثم انقلب صمودهم إلى هجوم معاكس دحر هجوم الأعداء وشتت قواهم.

وقد قتل في هذه المعركة عودة العايش أحد شيوخ بدو السلوط وخسر الثوار مجاهدا كبيراً كما يقول سلطان باشا الأطرش هو إبراهيم نصر شيخ قرية نجران الذي كان ركناً من أركان الوطنية الصادقة في الجبل وقائداً من قواد الثوار البارزين[1] . والجدير بالذكر أن هذه المعارك في اللجاة لم تؤخر المجاهدين عن المهمة الأساسية وهي منازلة الفرنسيين في المخافر وأماكن تجمعاتهم في محطات القطار وتخريب السكك الحديدية. وزرع الألغام في قواعد الجسور. وكان أهالي دمشق قد رفعوا احتجاجاً مكتوباً بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢٦ إلى قناصل الدول، أوضحوا فيه أبرز المبادئ والأسس التي قامت عليها الثورة وكشفوا عن المظالم التي ارتكبتها سلطة الانتداب الفرنسية وسياسة التجزئة التي اتبعتها في حكم البلاد وخاصة تسليحها العناصر المرتزقة من البدو وضعاف النفوس من مختلف مناطق سوريا ولبنان بقصد إثارة النعرات الطائفية والدينية والقبلية والاضطرابات الدامية بين فئات المواطنين. وأقبل نيسان يحمل معه أخبار الحملة الكبيرة التي أكمل الفرنسيون تجهيزها في حوران وتهيأت بقيادة الجنرال أندريا لغزو الجبل. وكان لزاماً على الثوار ترك اللجاة والعودة إلى السويداء. وفي ٢٠ نيسان سنة ١٩٢٦ كانت قوات الثورة تتمركز حول المدينة بعد أن استنفرت جميع القرى لمواجهة خطر الحملة المذكورة التي كانت تتألف من أكثر من عشرين ألف جندي حسب الأخبار الموثوقة بالإضافة إلى الآليات المدرعة وبطاريات المدفعية الثقيلة والطائرات الحربية التي حشدت لمساندتها وتمهيد الطريق لمدينة السويداء[2].

---

[1] مذكرات حلقة ٢١.

[2] مذكرات حلقة ٢١.

الفصل الثاني

احتلال السويداء الثاني ومعارك المقرن الشمالي والشرقي

آ ـ الاحتلال الثاني للسويداء

بعد أن لمع نجم أندريا في الأوساط الفرنسية عامة والعسكرية خاصة تم تعينه حاكماً للجبل تمركز في درعا ومن هناك بدأ دعايته السرية والعلنية المصحوبة بالرشوة أحياناً وبالوعود أحياناً أخرى حتى كان في ٢٢ نيسان سنة ١٩٢٦ يزحف نحو السويداء بعشرة آلاف مقاتل يصحبها ٤ بطاريات مدفعية جبلية وفصيلتان من العربات الرشاشة، وقافلة إمدادات مؤلفة من مئة عربة نقل[١] فتصدى له الثوار بهجوم الفرسان وطلقات المدفعية من المدفع الذي غنمه الثوار سابقاً لكنه بإمداداته الكثيرة ومدافعه وطائراته أسكت مدفع الثوار وتقدم نحو المدينة فدارت معارك حامية بينه وبين الثوار في الكروم المحيطة وقاسية في أزقة البلدة وساحاتها تمكن بعدها من دخول البلدة على جثث الشهداء في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦.

وقد بدأ مباشرة بمضاعفة نشاطه ومقابلاته السرية والعلنية والوعود والرشوة مع شيوخ القرى ووجهاء العائلات الذين بدأوا بتقديم طلبات الاستسلام خاصة بعد زيارة المفوض السامي الجديد للجبل وتصريحاته الناعمة ووعوده المعسولة ممَّا شجع المترددين والوصوليين على تقديم خضوعهم بالرغم من استمرار المقاومة تغذيها أموال الإعانات التي كانت تصل بواسطة رشيد طليع من المهجر[٢].

---

[١] سلامة عبيد ص١٨٦.

[٢] سلامة عبيد ص١٩٣.

ب ـ بعد احتلال السويداء

أخذ الجنرال أندريا يثبت أقدامه في المدينة بإقامة الاستحكامات والمتاريس على الهضاب المجاورة ويثبت دعواه السلمية ببذل الأموال الطائلة والوعود المغرية لكل من يلقي سلاحه من زعماء الأسر الثائرة، بينما انتقلت قيادة الثورة إلى موقع عين الخشبة شرق الرحى وراحت تعمل على تنظيم الصفوف من جديد وإعادة الثقة للنفوس.

وقد أرسلت حكومة الداماد أحمد نامي بدمشق وفداً لمقر قيادة الثورة الجديد، يبدي رغبة هذه الحكومة بالسلم ووقف القتال حتى تنتهي المفاوضات مع المفوض السامي "دي جوفنيل" وسرعان ما فشلت هذه المفاوضات واعتقلت السلطة الفرنسية بعض أعضاء الحكومة المذكورة ـ فارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي وفوزي الغزي وبدر الدين وأديب الصفدي ـ ونفت أكثرهم إلى الحسكة بسبب إصرارهم على تحقيق أماني البلاد بالحرية والاستقلال واحتجاجهم الصارخ على اعتداءات الجيش الفرنسي المتكرر على حي الميدان بدمشق.

وقد واصلت قيادة الثورة الاجتماعات مع الأعيان والمجاهدين في الجبل لمواجهة خطر الدعوة السلمية المضللة، ففي اجتماع قرية العفينة تقرر وضع نقاط مراقبة على الطرق المؤدية لمدينة السويداء لترهيب الراغبين بالاستسلام ومنعهم من الاتصال بالفرنسيين ولم يمانع شيوخ العقل بإنزال عقوبة الإعدام لكل من يستسلم للعدو[١] .
وفي الاجتماع الذي عقد في قرية سالي فيما بعد تقرر ما يلي:

مقررات مؤتمر سالي:

١ـ مواصلة الحرب دون هوادة في مختلف جبهات القتال.

٢ـ تجهيز فرق مقاتلة يخصص لأفرادها رواتب شهرية من التبرعات الواردة إلى صندوق الثورة.

---

[١] مذكرات حلقة ٢٣.

٣ـ إعادة القوات النازحة من الإقليم لاستئناف القتال هناك بقيادة الأمير عادل أرسلان.

٤ـ عدم الدخول بمفاوضات مع الفرنسيين إلاَّ على أساس تحقيق مطالب الثورة المعلنة سابقاً.

٥ـ إنزال أشد العقوبات بالمستسلمين للعدو والمتعاونين معه في مختلف المناطق.

وقد سارت حملة فعلاً بقيادة الأمير عادل أرسلان والمجاهدين الكبار "أسعد كنج أبو صالح ـ أحمد مريود ـ شكيب وهاب ـ حمد صعب ـ محمود الطويل وغيرهم " فاحتلت مجدل شمس وركزت قيادتها فيها.

جـ ـ حملة الشمال باتجاه شهبا

يقول أندريا: "إن ريح الاستسلام التي هبت في المقرن الشمالي قوبلت بمعاكسة عصابتين تتجولان في جبل شهبا إحداهما في شمال قنوات حتى وادي اللوى بقيادة محمد عز الدين الحلبي ـ والثانية في جنوب قنوات ومفعلة بقيادة متعب الأطرش.

وفي الخامس والعشرين من أيار غادرت السويداء فرقة مؤلفة من سبعة طوابير من المشاة وفرقة من الخيالة وبطاريتين من المدفعية ترافقها حيوانات الحمل كالبغال والجمال وبعض السيارات التي يمكنها السير في الطرقات الوعرة[1].

والحقيقة أن أندريا قرر إرهاب الاهالي وإظهار عجز الثورة عن حمايتهم فسير هذه الحملة الكبيرة تساندها الطائرات ـ احتلت مدينة شهبا "فليوبوليس" ـ مكثت فيها يومين دمرت بيوت بعض الثائرين ثم عادت عن طريق بريكة ـ كفر اللحف ـ المجدل وقد شن عليها الثوار هجمات متعددة بقيادة محمد عز الدين وفضل الله هنيدي كبدوها عشرات القتلى والجرحى وغنموا الكثير من الأسلحة والذخيرة.

ويذكر أندريا: ص٢١٧ ما يلي:

تركت الحملة شهبا في الصباح الباكر عائدة إلى السويداء في طريق غير الطريق الذي سلكته في المجيء، فمرت بمردك التي عاد إليها جميع أهلها ما عدا

---

[1] أندريا ص٢٠٩.

هايل عامر الذي كان شديد الإخلاص لسلطان ويرأس عصابة من عصاباته. احتُجزت أملاك هذا الشيخ ونسف بيته لأنه لم يقبل نصيحتنا بالعودة إلى القرية عند مرورنا فيها.

هـ ـ مؤتمر شقا

في المؤتمر الكبير الذي عقدته قيادة الثورة في شقا تقرر ما يلي:

١ـ تشكيل إدارة محلية وإعادة تنظيم قوى الأمن الداخلي.

٢ـ انتخاب مجلس وطني.

٣ـ تنظيم جيش الثورة في وحدات مقاتلة يرأس كل منها قائد مسؤول عن جميع شؤونها العسكرية والتموينية.

و ـ اجتماع مفعلة

وقد عقد تحت موجة عاتية من القصف الجوي:

١ـ تسمية أعضاء المجلس الوطني وتوزيعهم على خمس لجان:

"عسكرية ـ إدارية ـ مالية ـ تموينية".

برئاسة الشيخ يوسف الهجري وأمين السر رشيد طليع كما يتبع:

٢ـ إضافة مطلبين على مقررات مؤتمر شقا هما:

أ ـ الإصرار على المطلب الرئيسي للثورة وهو وحدة البلاد السورية.

ب ـ الموافقة على عقد معاهدة مع فرنسا تحفظ حقوق البلاد كاملة بالحرية والاستقلال.

ويذكر سلطان الأطرش بمذكراته ما يلي:

كانت القيادة تتعاون مع شيوخ العقل الثلاثة لتطبيق المقررات "أحمد الهجري ـ حسن جربوع ـ علي الحناوي" ومع بعض الشخصيات القيادية لتأمين شراء السلاح والذخيرة من الخارج وتوصيله للمجاهدين ـ وفي حالة الاستنفار العام كان شيوخ

العقل الثلاثة يعممون الكتب والبلاغات على سائر قرى الجبل لحث الأهالي على الالتحاق بجبهات القتال مع الثورة[1].

وقد تشكل المجلس الوطني كما يلي:

١ـ الشيخ يوسف الهجري رئيساً.

٢ـ رشيد طليع أميناً للسر.

٣ـ الأعضاء الذين أجمع الحضور على انتخابهم:

عن السويداء: عبد الغفار الأطرش ـ الشيخ صالح طربيه ـ علي عبيد ـ نجم عز الدين الحلبي ـ محمود دويعر.

عن عري: متعب الأطرش ـ أسد درويش ـ عقلة القطامي.

عن القريا: علي ذوقان الأطرش ـ محمد البربور ـ صياح الأطرش.

عن صلخد: جاد الله الأطرش ـ علي الحجار ـ سليم كيوان.

عن ملح: يحي رزق ـ سعيد رزق ـ يوسف العيسمي ـ عبد الله الجغامي.

عن سالة: سليمان نصار ـ جاد الله سلام.

عن المشنف: قاسم غانم ـ يوسف الشاعر ـ قاسم أبو زيدان.

عن نمرة: اسكندر القلعاني ـ حمود الصحناوي ـ حسن ناصيف.

عن الهيت: علي عامر ـ محمد زين الدين ـ سلمان مكارم ـ محمد نوفل.

عن نجران: فندي أبو فخر ـ نايف نصر.

عن شهبا: هايل عامر ـ علي طراد عامر ـ مصطفى حمشو.

عن عاهرة: حمد عزام ـ شبيب القنطار ـ شاهين المحيثاوي ـ مسعود مرشد ـ محمد أبو مسعود.

عن سليم: قبلان أبو عساف ـ مسعود غانم ـ جبر شلغين ـ وهبة جزان.

---

[1] **مذكرات حلقة ٢٣.**

عن المجدل: فضل الله هنيدي ـ أسعد هنيدي ـ سليم هنيدي.

عن وادي اللوى: سعيد عز الدين ـ عبد الكريم عز الدين ـ هايل زهر الدين ـ علي هلال ـ محمد الكفيري.

١ـ بعض الكتب المعممة من مشايخ العقل ـ و سلطان الأطرش في تلك الفترة[١].

٢ـ كان بعض أعضاء المجلس غائبين عن الاجتماع الذي تم فيه انتخابهم، فبلغتهم قيادة الثورة بذلك ودعتهم إلى حضور جلسة افتتاح المجلس كما هو مبين في كتاب التبليغ المرسل للمجاهد سعيد رزق. وهذا نصه:

حضرة أخونا سعيد بيك رزق الأفخم دام بقاه. تحية وسلام بعده:

حيث جرى انتخابكم عضواً للمجلس الوطني في حكومة جبل الدروز وكان موعد الاجتماع يوم الخميس القادم الواقع في ٢٠ محرم ١٣٤٥ فعليه ندعوكم باسم الوطن للحضور إلى قرية مفعلة حيث يكون افتتاح المجلس باليوم المذكور، آملين من همتكم العموم أن تبذلوا ما بوسعكم لعمران البلاد ونجاح القضية الوطنية ودمتم محترمين.

سلطان باشا الأطرش

قائد الثورة الوطنية السورية

---

[١] **مذكرات حلقة ٢٣.**

الفصل الثالث

حملة الجنوب باتجاه صلخد ومعركة أم الرمان

أ ـ معركة أم الرمان

ورد بمذكرات سلطان باشا الأطرش ما يلي:

"سار الجيش الكبير الذي أعده الجنرال أندريا في بصرى باتجاه الجنوب والشرق لاحتلال مدينة صلخد، وفي ذيبين نسف الجيش دور بعض المجاهدين:"

دار حامد وأسد قرقوط ـ ودار مرعي حاطوم".

ثم سار نحو الشرق باتجاه أم الرمان تتقدمه الآليات المدرعة وخيالة المتطوعة وبدأ الثوار بمناوشته حتى وصل أم الرمان وكان المشاة من بيرق أم الرمان قد نصبوا له كميناً شرق برك الماء والتحموا معه بمعركة ضارية قتلوا فيها عدداً من الجنود واستولوا على أربع آليات وأحرقوها، وغنموا الخيول والأسلحة والذخيرة وقد استشهد في هذه المعركة فارس. معروف ونسيب المغربي "أم الرمان" وفضل الله أبو عبسه "صلخد" حسن الجرمقاني "عرمان" ومن الجرحى حمود البربور ويوسف أبو طافش[1]"

يقول الجنرال أندريا ص٢٣٠ تحت عنوان ـ معركة أم الرمان ـ ما يلي:

"٢ حزيران سنة ١٩٢٦ في الساعة الرابعة من صباح هذا اليوم غادر الأعوان مخيم ذيبين تتبعهم السيارات المجهزة بالرشاشات وعلى بعد ١٥٠٠ متر من أم الرمان ـ انهال عليهم الرصاص كليلة أمس ينطلق من ضواحي القرية ـ فتوقفت الفرقة إذ تعذر عليها التقدم...... فنصح السيد (إبراهيم) الدليل مساعد الضابط قائد الفرقة (.....) الفرنسي أن يدخل من الجنوب لأنه يعرف أراضي تلك الجهة معرفة تامة ـ وسرعان ما نفذ القائد الخطة فاندفعت الفرقة مسرعة نحو الشمال. ففر الثوار خوفاً من التطويق والأسر فدخل رماة البلدة تتقدمهم السيارات الرشاشة وانطلق الأعوان باتجاه تل بركات.

---

[1] مذكرات حلقة ٢٤.

أما من الجهة الشمالية فكانت الحالة على عكس ذلك بالنسبة للفرقة التي هاجمت برج القلعة لأن العدو كان قوي التمركز فيه فدارت معركة قاسية جداً اضطرت فيها المدفعية كلها أن تعمل على ضرب تلك الجهة ـ ولم يتراجع الثوار إلاّ بعد أن فاجأتهم عربات الهجوم فتمركز مكانهم الرماة مانعين أية محاولة للثوار للعودة إلى أم الرمان. ثم تابعت الفرقة سيرها إلى الأمام تجتاز شوارع القرية فاضطرت لنسف الحيطان وزوايا البيوت لتفتح للمدافع والشاحنات طريقاً للمرور "هذه عملية نسف بيوت الثوار في القرية[١]"

وما كادت المعركة تشرف على الانتهاء حتى وصل أحد الفرسان الجنود يخبر أن فرقة السيارات الرشاشة علقت في أم الرمان في شارع صغير لا مخرج منه.

فأعطت الأوامر لإنقاذها فوراً فاتجهت فرقة من برج القلعة إلى أم الرمان تلحق بها بطاريتان من مدفعية ٧٥ وفرقة من عربات الهجوم، لكن لم يمض خمس دقائق على ذلك حتى رأينا عموداً من الدخان الأسود الكثيف يعلو فوق المكان الذي علقت فيه فرقة الآليات...... وبعد أن وصل ضابط الآليات أعلن أنه حين انقطع اتصاله بالحملة وسدت في وجه السيارات المنافذ لا سيما بعد أن تعطلت السيارات في المؤخرة تعذر التقدم والتأخر والتحرك إلى أية جهة عند ذلك أشعل النار في الآليات منسحباً مع رجاله هرباً من رصاص الثوار الذين كانوا قد دخلوا البلدة. يضيف أندريا مبرراً: إنه حادث يدعو للغضب............ إنه هروب مؤسف، بل مخجل يلحق عيباً كبيراً لقائد الفرقة. أعيد تشكيل الحملة، فتابعت سيرها حتى وصلت الغارية حيث نصبت خيامها[٢].

ويضيف أندريا قائلاً: معركة أم الرمان كانت أشد المعارك ضراوة بعد معركة السويداء. خسائرنا سبعة قتلى وأربعون جريحاً أكثرهم من فرقة برج القلعة وقد علمنا أن سلطان كان يقود الثوار بنفسه وهذا يدل على المقاومة المستميتة التي عزم عليها الثوار. إنها معركة باهضة التكاليف لكننا اقتحمنا موقع أم الرمان وها نحن الآن في طريقنا إلى صلخد.

---

[١] المترجم.

[٢] أندريا ص٢٣.

ب ـ معركة عنز

بعد معركة أم الرمان تقدمت الحملة الفرنسية حتى تمركزت في تل بركات وتل شبيح قرب الغارية ـ وفي اليوم التالي توجهت نحو قرية عنز فاشتبك معها الثوار بمعركة ضارية من وراء متاريسهم الصخرية المنيعة كبدوا فيها العدو خسائر كبيرة بالأجساد والعتاد ـ بالرغم من قنابل المدفعية والطائرات التي كانت تتساقط عليهم بغزارة ـ ومن شهداء هذه المعركة شهاب حمد أبو لطيف[1] ـ وقد تقدمت الحملة حتى قضت ليلتها في قرية المشقوق تستعد للهجوم على صلخد.

جـ ـ احتلال صلخد

تحصن الثوار في تل عبدمار وتل الحبس على جانبي طريق الحملة إلى صلخد ـ وقد كان من الصعب وربما من المستحيل تقدم الحملة باتجاه صلخد ما دام الثوار في هذه الحصون الصخرية المرتفعة. وفي غفلة وإهمال الثوار ليلاً عندما نزلوا إلى القرى المجاورة لجلب التموين والذخيرة احتلت خيالة الحملة الفرنسية ومشاتها هذه المرتفعات[2] لتسيطر على الطريق المنخفضة بينها فأبعدت الثوار عندما عادوا في الصباح الباكر عن هذه التحصينات وأصبح الطريق إلى صلخد مفتوحاً أمام الحملة دون مقاومة تذكر خاصة وقد كانت قنابل الطائرات والمدافع منذ الصباح الباكر تشتت عصابات الثوار المقتربة منها في كل اتجاه ..... وهكذا سقطت مدينة صلخد في الرابع من حزيران سنة ١٩٢٦ بالرغم من محاولات الصمود الأخيرة التي أبداها الثوار في أطراف المدينة.

د ـ اجتماع عيون

اجتمع الثوار في اليوم التالي لسقوط صلخد في موقع "عيون" وقد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة خاصة بعدما تأكدوا من ازدياد عدد المستسلمين والمتطوعين مع السلطة الفرنسية واستخدام الطائرات لتدمير مخيماتهم في الصفاة واللجاة.... وغيرها. لذلك تقرر في اجتماع عيون مفاوضة الحكومة الأردنية لقبول عائلات الثوار داخل حدودها.

---

(١) مذكرات حلقة ٢٤.

(٢) أندريا ص٢٣٩.

فأرسل وفد إلى عمان برئاسة السيد يوسف العيسمي واستجابت الحكومة الأردنية لهذا المطلب وبدأ ترحيل النساء والأطفال إلى الأزرق، يحميهم فريق من فرسان الثورة بقيادة زيد الأطرش شقيق سلطان باشا الأطرش، أما الحملة الفرنسية بعد أن وطدت أقدامها في بلدة صلخد ركزت مدافعها على المرتفعات حتى على تل خضر متان وأخذت تتجول في المنطقة تحت حمايتها مع آلياتها المدرعة وجحافل فرسانها متان ـ ملح ـ الهويا ـ عرمان ـ ثم العودة إلى صلخد.

هـ ـ مؤتمر الملك فيصل في الأزرق ومؤتمر خازمة

أواخر حزيران سنة ١٩٢٥ كان الملك فيصل في طريقه إلى أوروبا عندما تشكل وفد من المجاهدين لمقابلته في الأزرق على رأسه الدكتور الشهبندر ـ نسيب البكري ـ نزيه مؤيد العظم ـ عقلة القطامي ـ علي عبيد ـ يوسف العيسمي ـ الأمير حسن ومتعب سلامة وعلي مصطفى وعلي ذوقان الأطرش وكان مع الملك فيصل ملك العراق توفيق السويدي، ورستم حيدر، تحسين قدري تداول الجميع بشؤون سوريا عامة والثورة خاصة وطلبوا من الملك تجديد مساعيه لدى المحافل الدولية لوضع حد للأعمال الإرهابية وأساليب القمع الوحشية التي كانت ترتكبها السلطة الفرنسية المنتدبة في سوريا، وقدموا له مذكرة تتضمن المطاليب المنصوص عليها في الميثاق الوطني الذي كان الدكتور الشهبندر قد وضعه أثناء وجوده في الأزرق بالتعاون مع السيدين حسن الحكيم وسعيد حيدر وأقرته أركان القيادة العامة للثورة في حينة[1] وقد جاء بالمذكرة ما يلي:

١ـ اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سوريا التام.......!!

٢ـ تحويل الانتداب إلى معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا المستقلة..!!

٣ـ تحقيق الوحدة السورية بما فيها طرابلس الشام وأقضية عكار وبعلبك..!!

٤ـ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية.

٥ـ دخول سوريا في جمعية الأمم.

---

[1] مذكرات حلقة ٢٥.

٦ـ تأليف جيش وطني.

٧ـ إصلاح النظام النقدي وإعادة العملة على أساس الذهب.

٨ـ العفو العام عن جميع الجرائم السياسية بدون قيد أو شرط.

٩ـ إلغاء الغرامات الحربية المفروضة في جميع أنحاء البلاد.

١٠ـ التعويض على المتضررين بالحرب كافة.

ملاحظة:

ذكرنا هنا البند الرئيسي في كل فقرة فقط...... التفصيلات في المذكرات حلقة٢٥؟

و ـ مؤتمر خازمة

على أثر عودة الوفد من الأزرق إلى الجبل عقد المجاهدون مؤتمراً في قرية خازمة شمال شرق متان تقرر فيه تشكيل لجنة عليا لمعالجة مشاكل المجاهدين المستجدة وتنظيم شؤونهم المالية ـ على ضوء المعلومات التي نقلها إليهم الشهبندر عن تشكيل لجان جمع التبرعات والإعانات في الحجاز والعراق ومصر وأوروبا والمهاجر الأمريكية ـ كما اطلع المجاهدون على بيان المغفور له سعد زغلول في مصر في بداية الثورة "كانون الأول سنة ١٩٢٥" لمساعدة الثورة السورية الكبرى وتقديم أقصى ما يمكن من العون المادي والمعنوي لها وقد ردت قيادة الثورة على هذا البيان بمنشور مناسب في حينه.

لم ينتج عن اجتماع الأزرق مع الملك فيصل ما يستحق الذكر، كذلك القول في مقابلة بعض زعماء الثورة لفيلبي[١] في الثامن من الشهر نفسه وظهور بعض زعماء حوران ودمشق في اجتماع الكرك الذي رأسه الأمير عبد الله، وقد استغل الفرنسيون وجاسوسيتهم هذه الاجتماعات للضغط على انكلترا من أجل إقصاء الثوار عن منطقتها ولتجديد اتهامها بالتآمر على سلامة فرنسا في سوريا.

---

[١] سلامة عبيد ص٢٠٤.

الفصل الرابع

معارك الشمال والشرق في الجبل

أ ـ احتلال شهبا الثاني آب ١٩٢٦

بعد معارك صلخد قررت قيادة الثورة إعادة النظر في نظام قواتها المحاربة تمشياً مع الظروف والأوضاع العسكرية التي كانت تواجهها.

ـ اجتماع بوسان:

في ٢٧ نيسان عقد اجتماع كبير بقرية بوسان في المقرن الشرقي تقرر تقسيم قوات الثورة المحاربة إلى ست مجموعات ينتظم في كل منها أبناء المنطقة التي تعمل فيها. فكانت إحداها بقيادة الأمير علي أخي سلطان تعمل في المقرن القبلي والثانية بقيادة سليمان نصار في المقرن الشرقي. والثالثة بقيادة زيد عامر في شهبا والرابعة بقيادة محمد عز الدين في وادي اللوا والخامسة بقيادة فضل الله هنيدي في المقرن الغربي والسادسة بقيادة الأمير عاد أرسلان وقد تألفت من مجاهدي الإقليم ولبنان وبعض أبناء الجبل (م. ح. ٢٥).

يقول أندريا ص٢٩١:

"تركت السويداء قوة عسكرية مؤلفة من خمسة طوابير وبطاريتي مدفعية وفرقتين من المشاة المغاربة وفرقة ثالثة من الأعوان وذلك في ٣ آب متوجهة إلى اللجاة وقد وجهنا القوة لهذه المنطقة لإعادة اعتبارنا وإظهار قدرتنا بعد أن رفض مشايخها الاستسلام".

عند المزرعة وعلى مشارف قرية السجن اشتبكت الحملة مع الثوار بمعركة حامية دامت حتى الليل تكبدت فيها الحملة خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد[1] بعدها يذكر أندريا تحت عنوان معركة نجران ما يلي: ص٢٩٣

---

[1] مذكرات حلقة٢٥.

"ماكاد الأعوان بخرجون من قرية السجن حتى التحموا مع الثوار في معركة عنيفة شرسة صعب الصمود فيها ، لا سيما وقد اختبأ العصاة خلف الصخور وبين الحفر بثيابهم السوداء التي تكاد تخفيهم عن الأنظار، لكن أعواننا قاوموا بشراسة انتقاماً لضحاياهم التي فقدوها أمس.

لم تعانِ الميسرة متاعب أما الميمنة فخضعت لامتحان رهيب فقد أنصبت عليها جهود العدو بأكملها فهاجمها عز الدين الحلبي بوحشية آتياً من وادي اللوا. أصاب الرصاص القافلة فمات عدد كبير من الضحايا مما أثار المدفعية فقابلت هذه الجرأة بقنابل لم تكن تدرك أين تصبها بعد أن توزع الثوار في كل مكان يختبؤن بثيابهم السوداء، وحفاظاً على معنوية الجنود راحت المدفعية تطلق قنابلها على أي شيء يتحرك، أما الطيارون فقد قاموا بأعمال خارقة فطاروا على علوٍ منخض كاد يحطم طائراتهم على الأرض فأمطروا بقنابلهم ورصاص رشاشاتهم جموع الثوار.

أما العدو برماته البارعين فكان يستحيل إبعاده عن الصخور التي يحتلها لكن شجاعة جنودنا الخارقة وغارات الطائرات المتلاحقة دفعت الثائرين أخيراً إلى التفرق شيئاً فشيئاً فخيم الهدوء بعد تلك العاصفة الهوجاء فدخلت الحملة نجران بالرغم من مقاومة أهل القرية ثم تابعت حتى عاهرة.

وفي السادس من أيار سنة ١٩٢٦ انطلقت الحملة من عاهرة على الطريق نفسها نحو المزرعة وقد تعرضت لاشتباكات عنيفة بعد خروجها من نجران مع الثوار الذين سارعوا لقطع الطريق عليها فأمطرتهم بطائراتها ومدافعها ناراً حامية أدت لسقوط عدد من الشهداء بينهم المجاهد الكبير فضل الله هنيدي أحد أركان قيادة الثورة البارزين حيث استشهد في موقع قلاع الجف بين نجران والمجدل ويقول سلطان الأطرش:

"لقد فقدنا باستشهاده أعز صديق وأوفى رفيق على طريق النضال منذ أيام الثورة العربية الكبرى. ومن شهداء هذه المعركة نايف إبراهيم العباس وعلي هاني عزي من السويداء[1]. وبعد أن انضم إلى الحملة في الثامن من آب شاحنات السويداء

---

[1] مذكرات حلقة٢٥.

مرت في ٩ آب في كفر اللحف وريمة الفخور وقد نازلها أبناء المقرن الشمالي قرب بريكة وعلى هضاب شهبا بمعارك ضارية كبدت العدو خسائر فادحة وبرهنت له بالدليل القاطع أن الذين تظاهروا بالولاء له. لم يقفوا إلى جانبه عندما جد الجد واضطروا إلى الكشف عن هويتهم الوطنية الحقيقية وهكذا فشل أندريا في التوغل بأرض اللجاة وعاد ليدخل شهبا عنوة في العاشر من آب سنة ١٩٢٦[1].

ب ـ معركة السوخر

بينما كان سلطان الأطرش وبعض المجاهدين في أراضي قرية بكا يقطعون الطرق على قوافل التموين والعتاد الفرنسية القادمة من بصرى اضطروا للمبيت في خربة السوخر قرب بكا وفي الصباح الباكر هاجمتهم فرق المتطوعة وطائرات العدو التي اكتشفت مكانهم فخاض المجاهدون مع العدو معركة كبيرة كبدوه فيها خمسة عشر قتيلاً وعدداً أكثر من الجرحى وقد قتل جواد سلطان الأطرش فترجل يقاتل على الأرض حتى شن رفاقه المجاهدون هجوماً صاعقاً على العدو شتتوا شمله وقدموا له جواداً جديداً ليتابعوا المعركة حتى تقهقر العدو وغنم المجاهدون كثيراً من السلاح والذخيرة وبعض الخيول.

جـ ـ معركة قيصما ٢٣ آب سنة ١٩٢٦

كان بعض الثوار يقضون هذه الليلة في قرية قيصما حين استيقضوا في الصباح الباكر على أصوات الأهالي يرددون: العسكر العسكر ... فخرجوا من المنازل يتمركزون في الأماكن المشرفة على السهول المجاورة حيث كانت القوات الفرنسية منتشرة تتقدم نحوهم بخطة حربية ساندتها فيها بعض الطائرات بقنابلها ورشاشاتها تصب نيرانها على القرية وما جاورها، وقد انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للعدو أسر فيها ضابط فرنسي هو الملازم سوكر وثلاثون جنديا من المتطوعين وغنم المجاهدون الكثير من الأسلحة والذخيرة، وكان هذا الانتصار حافزاً لكثير من الشبان الذين استسلموا من قبل للفرنسيين على الانضمام من جديد لصفوف المجاهدين، وكان

---

[1] أندريا ص٢٩٦.

من شهدائنا. سليمان جودية ـ خليل نصر ـ خزاعي الملحم ـ وامرأة تدعى سكرية جودية" م.ح٢٥"

د ـ معارك وادي اللوا والمقرن الشرقي

كانت قيادة الثورة قد نقلت مقرها إلى مخيم أهالي سالي وآل نصار في النمري" في البادية الشرقية" عندما جاءهم" مفزع" خيال يعلمهم أن أندريا زحف على وادي اللوا بجيش جرار في ٢٣/آب/ ١٩٢٦ واجتاح قرى السويمرة ـ المتونة ـ لاهثة ـ الصورة ـ ذكير ـ وخلخلة ـ أم حارتين وحزم ـ حتى نصب الخيام في الصورة الكبيرة وهنا وافتهم بعثة ثانية أرسلها قائد منطقة دمشق عن طريق براق بقصد تطويق الثوار بالمنطقة.

وخاض معهم ثوار المقرن الشمالي البواسل معركة ضارية بقيادة محمد عز الدين الحلبي كبدوا الفرنسيين خسائر كبيرة بالأرواح وأسقطوا طائرة حربية وحرقوا ثلاث مصفحات وأجبروا أندريا على الابتعاد شرقاً عن تخوم اللجاة معاقل الثوار نحو الهيت والهيات حيث عاد إلى شهبا عن طريق شقا مخلفاً وراءه جرائم النسف والتدمير لبيوت المجاهدين بالديناميت وقتل حتى بعض المستسلمين مثل الشهيد شحاذي الكفيري من قرية ذكير.

يقول سلطان الأطرش:

وقد زاد عدد شهدائنا على العشرين بينهم المجاهد الثائر معذى المغوش من رفاق النضال القدامي الذين وضعوا نفسهم في خدمة القضية العربية وضحوا بكل ما يملكون في سبيل تحقيق المبادئ الوطنية التي نادت بها ثورتنا. كما عرفنا منهم سلمان المحيثاوي ـ محمد محرز ـ حسين أبو حمرة وخليل باشا[1].

أما أندريا فيقول ص٣٠٥ ـ مرت الحملة في آب في قرية خلخلة التي أدهشتنا بعض بيوتها الجميلة، فاستقرت فيها كتيبتان وبطارية واحدة وجميع الفرق الخيالة

---

[1] مذكرات ح٢٥.

بينما تابع القسم الباقي من الحملة مسيره إلى قرية الصورة الكبيرة حيث نصب خيامه. وبعد قليل وافته حملة بعث بها قائد منطقة دمشق غايتها تطويق الثوار.

بعد الظهر أطلق الرصاص على مخيم خلخلة من بين الصخور الغربية فأسرع الأعوان يتوغلون في منطقة الغور[1] لمقاومة الثوار المتفرقين. دامت المعركة حتى الليل عاد بعدها أعواننا يحملون قتيلين من أخوانهم ولم تعرف خسائر العدو.

بعد أن قضت الحملة يومين في أقصى الشمال عرجت على شهبا، وقد دخلت الفرقة السنغالية اللجاة تساندها الطائرات جواً. وفرقة الأعوان الدروز والمدفعية براً. فخاضت معركة دامت ساعة، انسحب على أثرها الثوار إلى جهات مختلفة دون أن يتدركهم أذى. ثم عادت الفرقة السنغالية تحمل ثلاثة قتلى بينهم ضابطان وعشرون جريحاً عدا المفقودين دون أن نتمكن من اعتقال درزي واحد ـ "المفقودون معناه القتلى ـ أكثرهم ـ "

درس جديد تعلمناه وهو أن لا فعالية للجيوش النظامية في مثل هذه الأرض، وأمام عدو يجيد إطلاق الرصاص كالدروز. "أندريا".

هـ ـ معركة الرشيدي وفاجعة البلطل رشيد طليع

تحرك أندريا بجيشه في مطلع أيلول سنة ١٩٢٦ على المقرن الشرقي باتجاه طربا حيث كان الثوار قد أسقطوا له طائرة حربية في شهر أيار السابق بجوار قرية طربا واتهم هايل سلام بقتل طياريها. وقد بدأ بطربا نسف دور المجاهدين بالديناميت انتقاماً لمقتل الطيارين فيها. بالأخص دار زعيم القرية جاد الله سلام[2].

يقول أندريا ص٣١٣ انتشلنا الجثتين وهدمنا منازل المشايخ وعلقنا لافتة ليقرأها كل من يمر بذلك المكان. بعد خروج الجيش من طربا اشتبك مع الثوار بمعارك متعددة حتى وصل قرية الغيضة "غيضة حمايل" وخيم قربها، وقد توالت النجدات على الثوار من الصفاة واللجاة ، مما ساعد على تشكيل جبهة ممتدة من رجوم بشير

---

[1] أندريا ص٣٠٥، الغور يعني يها اللجاة.

[2] مذكرات ح٢٥.

شرقاً حتى تل الجبا غرباً بطول ستة كيلومترات. أو من قرية بوسان غرباً حتى قرية سعنا شرقاً.

أظهر العدو في هذه المعركة شراسة لا مثيل لها في قتاله فكانت قنابل طائراته تتساقط على الثوار من كل جانب وصخور المتاريس تتفتت من حولهم وتتطاير شظاياها بفعل قذائف المدفعية وكثافة نيران رشاشات العدو الثقيلة. مع ذلك فقد استبسل الثوار وأظهروا من الشجاعة والمهارة والجرأة بمقارعة العدو ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز[1] خاصة عندما التحموا بجناحه الأيسر ومزقوا فصائل جنده شرَّ ممزق. وجعلوها تتقهقر على غير هدى باتجاه وادي الرشيدة بعد أن كبدوها خسائر فادحة بالأرواح وتوجوا نصرهم المؤزر بإسقاط طائرة حربية مغيرة واستولوا على كميات وفيرة من السلاح والذخيرة.

وقد حضر هذه المعركة التي دامت حوالي خمس ساعات أكثر القادة وكبار المجاهدين حقق الثوار خلالها نصراً كاملاً على القوات الفرنسية ألهب حماس الشعب وألهب فيه روح الصمود. ودفع المتطوعين إلى الالتحاق بفصائل الثورة من جديد.

"أما أندريا فيذكر ص٣١٦ تحت عنوان معركة رشيدي ما يلي:

كانت الطريق بعد الشبكي تنحدر نحو السهل انحداراً بطيئاً ماراً بسفح اسعنا والرشيدة.

الذين أفادت عنهما الأخبار، أنه يصعب اجتيازهما على الشاحنات..... وقد غزر الرصاص على المؤخرة فالثوار يقتربون ويهاجمون حامية المؤخرة عند التحامها بالميسرة[2]، ركزت المدفعية عليهم قنابل غزيرة متلاحقة حتى أوقفت الهجوم......

---

[1] مذكرات ح٢٥.

[2] أندريا ص٣١٧.

ويضيف أندريا قائلاً:

موقف العصابات في معركة "رشيدي" أظهر تماماً نواياها وخطتها فهي بعد إدراكها صعوبة الطريق التي تسلكها الشاحنات والعربات قررت فيما بينها مهاجمة الحملة في هذه النقطة على النحو التالي:

تهاجم المؤخرة عصابة عز الدين الحلبي القادمة من الشمال وتهاجم الميسرة عصابة سلطان الخارجة من غور الصفا ، وتهاجم الميمنة عصابة رشيد طليع القادمة من الغرب.

أما المقدمة فلم يكن لها شأن في الخطة فتقدمت الحملة مارة بشعف والحريسة ثم وصلت إلى الهويا حيث نصبت خيامها فيها لمدة يومين في سهل منبسط نظم فيه مطار محدود حطت فيه طائرات الإسعاف لنقل المرضى والجرحى الذين أصيبوا في المعركة الأخيرة.

وفي الثاني عشر من أيلول مرت الحملة ليلاً من ملح للمرة الثالثة ودخلت صلخد لتحتفل بقدومها حامية صلخد التي ما زالت تنتظر عودتها من تموز الماضي[١] ..."

ويضيف سلطان بمذكراته ما يلي:

ومن الذين رووا تربة هذا الوطن بدمائهم الزكية هنا: عبد الحليم الجردي الشويفات لبنان - هلال أبو زيدان العجيلات - محمد الغوطاني وجابر سراي الدين أم رواق - قاسم سلامة وولده محمد الشريحي - سالم كمال ساله - مصطفى وقبلان الشاعر ومحمد سلام بوسان - أحمد الجوجو وحسن وعلي وسالم أبو حجيلي وفرحان الخطيب طربا - نور الدين رزق دمشق - شحاذي حيدر صلخد - سلمان وسليم علبه سعنا - سليم حرب وأحمد حسين حرب دوما - سلمان الداهوك عريقة، ومن الجرحى المجاهد الكبير حمد صعب[٢].

---

[١] **أندريا ص٣١٩.**

[٢] **مذكرات ح٢٥.**

وفي أواخر أيلول سنة ١٩٢٦ فجعنا بوفاة المجاهد الكبير رشيد طليع ببلدة شبكي أثر مرض معوي أصابه بصورة مفاجئة. ففقدنا بوفاته ركناً من أركان الثورة ورجلاً من خير رجالات العرب الأفذاذ.

و ـ معارك اللجاة الأخيرة

منذ دخول الفرنسيين شهبا في ١٦ أيار سنة ١٩٢٦ بدأ ثوار المنطقة الشمالية والغربية بالانسحاب إلى اللجاة التي تعتبر معقلاً من أمنع المعاقل فركزوا عيالهم وطروشهم في وعر هذه المنطقة وتقدموا عصابات عصابات لمناوشة القوات الفرنسية ومنعها من اتخاذ مراكز ثابتة لها. ولتعطيل الخط الحديدي الذي أثر تأثيراً كبيراً على حركة التموين والنقل. وإلى اللجاة انتقل قادة الثورة الكبار سلطان والأمير عادل أرسلان ومحمد عز الدين والشهيد حمد صعب وغيرهم، تؤازرهم مجموعات باسلة من أبناء تلك المنطقة متمرسة وخبيرة[1] ـ "شبيب القنطار ـ شاهين المحيثاوي ـ نايف نصر ـ حسان أبو سرحان ـ شلغين ـ مرشد ـ إلخ ...."

ظلت الثورة مشتعلة في اللجاة بعد أن أخمدت في أكثر مناطق الجبل والغوطة سنة كاملة دار فيها الكثير من المعارك العنيفة وتكبدت فيها القوات الفرنسية وعلى الأخص الطيران خسائر جسيمة ـ وقد ساعد على استمرار المقاومة هنا إلى جانب شجاعة الثوار النادرة ـ وعورة المنطقة وموقعها بين الغوطة والمقرن الشرقي الجنوبي والأزرق. لذلك كانت اللجاة المعقل الأخير الذي اعتصم به الثوار على عادتهم في الحروب الطويلة التي مارسوها. وقد كابد الثوار في هذه المنطقة من الأمور التالية:

١ـ التقصير في التموين.

٢ـ نقمة البدو فيها وتعاونهم مع الفرنسيين.

٣ـ سيادة القوات الفرنسية في الجو.

٤ـ استخدام الفرنسيين للمتطوعين من أبناء المنطقة.

---

[1] سلامة عبيد ص١٩٦.

٥- إغراء الزعماء المستسلمين لرفاقهم وأصدقائهم في الثورة.

٦- فشل مد الثورة لمناطق سورية أوسع[1].

تمركزت الثورة سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ في قلب اللجاة في "ضام - الجرده - صور - جدل - بعيداً عن مدى المدفعية ومفاجأة الجيوش النظامية، أما ثقل المعارك فكان يدور غالباً في أطراف اللجاة وقرى وادي اللوا. أما الخط الحربي الثاني للثوار فكانت تشكله قرى مجادل - صميد - وقم - وقد تعرضت القرى الأخيرة لأشد الغارات الجوية وحشية.

وكانت مقاومة الثوار في سنة ١٩٢٧ قد تركزت في قلب اللجاة بعد أن أخمدت في مجمل أنحاء الجبل والغوطة - وجبل الشيخ وقد أصبح الأمل بانتصار الثورة مفقوداً ولم يعد الاعتصام باللجاة إلاّ بمثابة الطلقة الأخيرة[2] وقد قررت القيادة الفرنسية في مطلع ربيع هذا العام سنة ١٩٢٧ الإجهاز على هذا المعقل الأخير الذي أطلق عليه بعض الكتاب الفرنسيين "قلعة اللّه" وقد اتبعت القيادة الفرنسية الخطة التالية المثبتة في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق الفرنسي. وقد أورد هذه الخطة الأستاذ سلامة عبيد في كتابه: "الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر ص (٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣)

الخطة حسب ما وردت بالكتاب الذهبي لجيوش الشرق.....

كانت الخطة ترمي إلى إبادة الثوار المعتصمين أو على الأقل إرغامهم على إخلائها وهكذا وُجهت إلى قلب تلك المنطقة الوعرية خمسة أرتال، أُشير إليها بالأحرف التالية: **A:B:C:D:E** تنطلق من عدة نقاط وغايتها جميعاً قريتا (صميد ووقم) في قلب اللجاة.

---

[1] **سلامة عبيد ص١٩٨.**

[2] **سلامة عبيد ص٢٠١.**

١ـ الرتل **A**: ويتألف من أركان حرب فيلق من الرماة الإفريقيين ولواء من الرماة المراكشيين، وكتيبتين من الرماة التونسيين ومفرزة سريعة، وتنطلق من المسمية، وهي محطة للسكة الحديدية على تخوم اللجاة الغربية.

٢ـ الرتل **B**: ويتألف من أركان حرب فيلق الرماة المراكشيين ولواءين من الفيلق نفسه ومن مفرزتين سريعتين وكوكبة شركسية وينطلق من خلخلة وهي على تخوم اللجاة الشرقية الشمالية.

٣ـ الرتل **C**: ويتألف من لواء من الرماة الإفريقيين ولواء من الفيلق الأجنبي ومفرزة فرسان درزية ينطلق من تل الخالدية. وهي على تخوم اللجا الشرقية.

٤ـ الرتل **D**: ويتألف من لواء من الرماة المراكشيين وكوكبة درزية سريعة وسرية من البطارية الجبلية تنطلق من قرية عاهرة "عريقة" لتكون سداً في وجه المتراجعين من الثوار نحو الجنوب.

٥ـ الرتل **E**: ويتألف من لواء من الرماة الإفريقيين ومفرزة سريعة تنطلق من محجة وهي على تخوم اللجاة الغربية.

في حين تستمر الطائرات من دمشق وإزرع ودرعا وكلها مطارات قريبة في قصف المنطقة قصفاً متواصلاً وفي حين تتحرك قطع عسكرية خيالة وسيارة للمراقبة حول اللجاة وهي تتألف من:

١ـ أربع كوكبات شركسية من الشرق للمراقبة بين الصورة الكبيرة ولاهثة.

٢ـ ثلاث كوكبات درزية سريعة من الشرق للمراقبة بين لاهثة ومجادل.

٣ـ كوكبتين من الصباحيين الجزائريين وفريق من الفدائيين التابع للرماة التونسيين ومفرزة مدفعية رشاشات للمراقبة بين السجن وشقرة من الجنوب.

٤ـ كوكبة من الصباحيين المراكشيين للمراقبة بين جباب والصورة الكبيرة في الشمال.

كانت الطائرات منذ أن اعتصم الثوار في اللجاة لا تنقطع عن ضرب قرى تلك المنطقة ومخيمات المقاومة فيها.

وفي صباح التاسع والعشرين من آذار سنة ١٩٢٧ طوقت قطعات الفرسان الخمس منافذ اللجاة - في حين راحت الطائرات تركز قصفها على الشمال والشمال الشرقي من صميد، وهكذا بدأت المعارك عنيفة حول لاهثة ومجادل في اليوم نفسه ضد المتطوعة الدروز الخيالة والفدائيين من الرماة الإفريقيين.

وفي الثلاثين من آذار استطاع الرتل **E** الزاحف من محجة أن يصل إلى مشارف وقم حيث نشبت معركة غير متكافئة في حين وصل الرتل **D** الزاحف من عريقة إلى مشارف صميد. وهكذا تم الاتصال بين هذين الرتلين الزاحفين من محجة في الغرب ومن عاهرة "عريقة" في الجنوب.

أما الرتل **C** الزاحف من تل الخالدية في الشرق فقد لقي مقاومة ضارية لم تمكنه من الوصول إلى هدفه بل اضطرته إلى أن يعسكر على بعد أميال من صميد وإلى أن يطلب النجدة من الرتل **D** القادم من عاهرة، والذي كان قد خيم في مشارف قرية صميد وأقام فيها سداً من الاستحكامات.

ومن المسمية تقدم الرتل **A** نحو الجنوب مسترشداً بالطريق الرومانية المتهدمة "الرصيف الروماني" إلاّ أنه قوبل بمقاومة عنيفة عنيدة صادرة من منطقة الطف إلى الشرق من الرصيف الروماني، وفي منتصف المسافة بين المسمية وخلخلة حيث كان قد استقر ثوار منطقة وادي اللوى بقيادة المجاهد محمد عز الدين الحلبي مع عائلاتهم وكانت مقاومة الثوار عنيفة باسلة أرغمت الرتل على التوقف وطلب النجدات، فأسرعت الطائرات من دمشق لنجدته وتقدمت مفرزة بالرشاشات وكتيبة من الرتل المرابط في وقم للاتصال به ولكنها شُتِّتَت على مسافة قريبة إلى الشمال من وقم، وعندئذٍ وجه الجنرال "فالييه" - قائد جيوش دمشق وجبل الدروز وحوران - جميع الطائرات الجاهزة شداً لأزره، وأصدر أمره إلى قادة الأرتال الثلاثة (**B-D-E**) بالتقدم لملاقاة الرتل **A** المحاصر. إلاّ أن عنف المقاومة التي واجهتها هذه الأرتال عن ميسرتها من ثوار قرى جرين ولبِّين وداما وعن ميمنها من ثوار قرى مجادل وصميد ووقم والخرسا وقرى وادي اللوى، تلك المقاومة العنيدة لم تمكنها من تنفيذ خطتها، وظل الرتل - **A** - القادم من المسمية في الحرج الشديد لا تخفف عنه المحنة

التي تورط فيها غير غارات الطائرات المتلاحقة، رغم الخسائر الكثيرة التي أصابتها وأودت في أكثر الحالات بطياريها "الكتاب الذهبي ص٢٣٨-٢٣٩".

أما الرتل - **B** - القادم من خلخلة فقد لقي هو أيضاً مقاومة شديدة في منطقة ذكير وما حولها، وعندما طُلب إلى هذا الرتل مؤازرة الرتل القادم من المسمية كان في أشد الحاجة إلى النجدة، تلك النجدة التي وافاه بها الرتل - **C** - القادم من الخالدية. كان هدف هذه الأرتال الخمسة وكتائب الخيالة المحدقة باللجاة من كل صوب وهي الكوكبات الشركسية الأربع والكوكبات الدرزية الثلاث وكوكبات الصباحيين الجزائريين والتونسيين والمراكشيين وما يؤازرها من الطائرات - جميع الطائرات الجاهزة للعمل. كان هدفها إبادة الثوار المعتصمين باللجاة، مع عائلاتهم ومواشيهم.

إلاّ أن هذا الهدف الرئيسي لم يتحقق، وإنما تحقق الهدف الثاني وهو إرغام من تبقى من أولئك الثوار على إخلاء المنطقة والانطلاق نحو الصفا شرقاً في أرهب مسيرة ليلية وأقساها وأمرها -.

ويقول الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص١٩٢:

بالرغم من انتصار الثوار في كثير من المعارك فقد استسلمت المدن والقرى والكثير من المجاهدين خاصة القادة منهم مثل حمزة الدرويش والشيخ الهجري...

وقد عملت الدعاية الفرنسية عملها في إيقاع الشقاق بين الطرشان الذين ظلوا محتفظين بزعامة الثورة وبين بعض زعماء عائلات المقرن الجنوبي، وبين الطرشان أنفسهم الذين كان قد استسلم أكثرهم.

هكذا بدأ الفتور في المنطقة مما دعا قائد الثورة لأن يكتب قائلاً: لا يمكن قيام البعض من القرى سوى بقوة السيف[1].

---

[1] **سلامة عيد ص١٩٢.**

وهكذا بدأت الثورة تتحول من اندفاع ثوري عميق جارف إلى عصابات متفرقة تحرض على الاستمرار على الثورة بالتشجيع والتشويق وأحياناً كثيرة تقوم بإيقاع الأذى في أموال المستسلمين وطروشهم وممتلكاتهم. وكان مركز المقاومة في المقرن الجنوبي قد انتقل إلى واحة الأزرق في الأردن. وهي في نظر أبناء الجبل من أملاكهم لآبار الملح والنخيل والبيوت فيها. من هذا المركز الجديد بدأت الثورة تشن الغزوات على القوات الفرنسية وعلى المستسلمين. وقد أقلقت هذه العمليات راحة القيادة الفرنسية مما جعلها تعقد مع الإنكليز اتفاقية حضر بموجبها على الثوار المسلحين دخول الأزرق، فصودرت الخيول وأحرقت البنادق وكادت تتلاشى المقاومة التي كانت تنطلق من هذه الواحة.

ويروي الأستاذ سلامة عبيد في كتابه ص١٩٣ أنه جاء في مذكرات علي عبيد عن هذا الموضوع ما يلي[١]:

كانت حكومة الشرق العربي أصدرت أمراً مؤداه أنها لا تقبل في الأزرق الرجال المسلحين ولا تريد أن يكون الأزرق قاعدة حربية بل تقبل النساء والعيال....

ثم حضرت قوة الحدود الانكليزية وقدرها ستماية رجل وأربع مدرعات وطيارتان بقيادة الكولونيل "غروب كبتين" .... وأعلن الإدارة العرفية وأن كل رجل لا يكون معه علامة ومرخص له بالبقاء في الأزرق يحبس من سنة وما دون.

وكنت ترى الانكليز طويلي البال ولكن شديدين بأحكامهم متمسكين بأوامرهم حريصين على تنفيذها[٢] . وكان اتفاق الانكليز والإفرنسيين حصل بسبب حرب الصين وصار من الضروري مساعدة بعضهما بعضاً. فأحرق (العسكر الإنكليزي) ما وجده من الخيام التي كان ضاربها هناك الأمير "عادل" والشوام ومسك ماء حسّان ونزل عليها. ومسك ماء العنقية وبقي عليها مدة ثلاثة أيام، لم يقدر أحد من الثوار أثناءها أن يتناول جرعة ماء.

---

[١] نفس المرجع ص١٩٤.

[٢] علي عبيد ص٤١.٣٣-٤١.

وبقي الأمير والباشا وصياح بيك وعموم رفقائهم ستة وثلاثين ساعة بدون ماء قطعياً....

وقسم اضطر لتسليم فرسه وبارودته لنجاة نفسه. فكانت جرعة الماء ثمنها فرس وبارودة ومات ثلاثة رجال من العطش وكان قد مضى على الثوار ثلاثة أيام لم يردهم زاد قطعياً يأكلون الأعشاب مع مداومة الطيارات بالضرب عليهم.

إن حرب السنتين المذكورتين وشدتها لم تضايق المجاهدين أكثر مما ضايقهم الإنكليز بمدة شهرين.

بعض القصائد للمعارك الأخيرة

الشاعر صالح عمار في معركة رساس

في معركة رساس[1]

صـــايح لفـــا[2] وجـــذبنا عمـــوم	غمـــلان والحملـــي لفـــو عرســـاس
فرنـــسا خبيثـــة وفعلـــها مفهـــوم	طحـــان مـــا يغـــبر علـــى كـــلاس
حرمـــت علـــى عيـــونهم لذيـــذ النـــوم	تحـــــاوطوه وعلقـــــون قـــــواس
مـــن فعلنـــا شـــال وغـــدا مهـــزوم	مـــن فعـــل ربـــع هـــدموا المـــتراس[3]
وخلّـــوا العـــساكر بالـــدموع تعـــوم	غمـــلان مـــا طبـــت عيونـــو نعـــاس[4]
ومـــرقعين العـــبي دايـــم الـــدوم	بمعـــــدلات ضـــــربهم بـــــالرأس[5]

---

[1] رساس: أول قرية جنوب السويداء.

[2] لفا: وصل.

[3] شال: رحل ـ مهزوم: هارب.

[4] طبَّت: وصلت ـ ما طبَّت عيونو نعاس: إشارة للقلق ـ خلَّى: ترك.

[5] مرقعين العبي: عامة الناس الفقراء ـ المعدلة: البارودة المتطورة.

كـــم فـــارس مـــن ضـــربهم معـــدوم وكـــم قايـــدٍ مـــن فعلـــهم محتـــاس

فرســــــان بالبلطـــــات والقـــــدوم تنكـــات يامـــا كـــسروا بالفـــاس[1]

هـــذه بـــشوف العـــين مـــا هـــي علـــوم ولا هـــي قـصص تـأليف عـن جـساس[2]

قصائد معركة السوخر

قـصيدة المجاهـد صـياح الأطـرش أرسـلها إلى المجاهـد زيـد الأطـرش علـى أثـر معركـة السوخر سنة ١٩٢٥:

نطيـــت روس مـــشمرخات الطـــوالي نـــابي علـــى روس الـــشفا والمحـــادير

عـــدي قـــريص الـــداب والـــسم ســـالي يـــبرم بقلـــبي مثـــل بـــرم النـــواعير

هـاج القلـب مـن واهجـي وعفـت حـالي بحـــرٌ طمـــا والمـــوج طـــم الـــشخاتير

مـــن بعـــد ذا شـــديت حلـــو الـــشكالي حـراً حمـر مـن خـاص هجـن الخـواوير

مرباعهـــا مـــا بـــين القريـــا وســـالي مقيـضها مـن الجـوف لـديرة ضـمير

يـــشرب قـــرح ميـــة مطـــر كـــالزلالي يرعـــى زهـــر نـــوار عقـــب التخـــاذير

الكـــور عـــود المـــيس فوقـــه زهـــالي لـــه خـــرج مـــن حـــوف البنـــات الغنـــادير

قـــوم اركبـــه يـــا غـــلام ودي رســـالي لا تريـــع وأن طالـــت عليـــك المـــسافير

علـــق بكـــورة بنـــدقاً بـــالغزالي قوم احتزم من خاص حدب الشماشير

---

[1] البلطات والقدوم: أسلحة بيضاء، تنكات: دبابات ومصفحات.

[2] جساس: من بني مرة صاحب حكاية طويلة بحرب البسوس.

اليـــا قفـــل يـــشداك مثـــل الهلالـــي ينكح علـى اللـي معـسكرات المسامير

تلقـــى ربـــوع مـــركبين الــــدلالي إخـــوان بلـــشه فـــاكين المظـــاهير

أخـــص مـــنهم زيـــد ماضـــي الفعـــال شـــوق الهنـــوف اللـــي قرونـــه دعـــاثير

تعلمـــه بالـــصج مـــا بـــه زلالـــي كـــونٍ علينـــا صـــار مـــا مثلـــه يـــصير

الخيـــل جتنـــا مـــن الغـــرب والـــشمال وصـــاحوا علينـــا صـــيحة ترعـــب الزيـــر

مـــا رد منـــا غـــير قـــرم العيـــالي ســـلطان ذيـــب وعاديـــا بـــالقراقير

ربعـــي بهـــم فـــراس يـــوم القتـــالي عـــدُّوا بهـــم عـــدوة صـــقر بالعـــصافير

الـــبعض مـــن ربعـــي غـــشاه الـــذلالي أقفـــى ولا وكـــد علـــى الـــشر والخـــير

لا يـــا خـــسارة نقلـــهم للطـــوالي لا صـــار مـــا يـــرووا حـــدود المـــشاطير

اللـــي شـــرد مـــن لابـــتي مـــا التـــوالي رايـــاتهم عنـــدي ســـواداً كمـــا القـــير

يازيـــد مـــا وده علينـــا مطـــالي قومـــو علـــى قـــب الرمـــك بالـــشوابير

أنخـــاك يـــا حـــامي عقـــاب التـــوالي جـــرد جموعـــك تـــا انجـــازي المخـــاتير

شرح المفردات:

١ـ السوخر: خربة في جنوب الجبل قريبة من الحدود الأردنية.٢ـ قريص الداب: ملسوع الأفعى.٣ـ القريا وسالي: قريتان في الجبل. ٤ـ الجوف: في صحراء نجد. ٥ـ ضمير: شرق دمشق. ٦ـ التحاذير: الخطرة. ٧ـ الكور للهجين: كالسرج للفرس.٨ـ الغزالي: مقدم الكور البارز. ٩ـ البندق: البندقية. ١٠ـ الشماشير: السيوف. ١١ـ إذاما أسرع بدالك كأنه الهلال يسبق الخيول. ١٢ـ أباريق القهوة. ١٣ـ أخوان بلشه: لقب آل الأطرش. ١٤ـ الصج: الصحيح. ١٥ـ قب الرمك: سروج الخيل. ١٦ـ الشوابير: المهاميز. ١٧ـ المخاتير: الذين يتعاونوا مع الفرنسيين.

جواب زيد الأطرش لقصيدة صياح "معركة السوخر"

الخمس ضجن يوم علمك لفى لي — صياح عدّي فوق نار على كير

من واهجي ناديت وين العيالي — اللي لهم عادات ذبح الطوابير

جوني النشاما مفرجين الغوالي — من فوق قب كل أبوهم مضامير

أبو حسن يجداهم الذيب صالي — من فوق صفرا عدها خوية الطير

بإيمانهم حلو الموازر طوالي — عَ جنابهم حدب السيوف المشاطير

مشهودلن يوم الحشر والأهوالي — يخلوا خطا الفرسان مثل الدعاثير

سعيد رزق ولابته بالكمالي — جوني كما رف الجراد المشاطير

نعمين في عرمان كلهم أشبالي — يوم الملاقة يا انحاز المناعير

أما محمد شوق بنت الغوالي — هاللي تعطر جعدها دوم بذرير

يتلوه غلمه باللقا ما تبالي — عيال ملحم مكرمين المخاطير

لولا أخو سمية حامي التوالي — سلطان جمّاح الدروب المعاسير

يا الله يخيرو بجاه كل والي — بجال سورية حايز العز والخير

شرح المفردات:

١- النشاما: أصحاب النخوة. ٢- المضامير: الخيول الضامرة.

٣- يجداهم: يتقدمهم. ٤- خوية الطير: أخت الطير بسرعتها.

٥- مثل الدعاثير: تتعثر بسيرها. ٦- سعيد رزق من عرمان.

٧- لابته: جماعته. ٨- المناعير: قادة الجيوش.

٩- محمد "محمد الزغير" - الذرير: منثور السمك.

معركة قيصما آب سنة ١٩٢٦

يـــا الله يـــا اللـــي فـــوق العبـــاد عـــالي	يـــا الله يـــا منـــشي الـــسحايب والأمطـــار
تجيرنـــا مـــن قاضـــبين الفـــسالي	خـــوان مـــا لهـــم أمـــاني علـــى الجـــار(١)
بقيـــصما عملـــوا علينـــا جهـــالي	جنـــود المعـــاش وخلفهـــم جـــيش جـــرار(٢)
غـــاروا علينـــا قبـــل مـــد الحلالـــي	وهدوا علينا كما تهدد على الصقر بو الفار(٣)
عفـــي النـــشاما يـــا قـــروم العيـــالي	ربعـــي هـــل الطـــولات صـــلفين الـــشوار(٤)
تلاطمـــوا بيـــوم ســـوق المجـــالي	حـــدوا بهـــم واقفـــوا علـــى فـــرد مـــشوار(٥)
اقفـــوا كمـــا غـــيم حـــداه الـــشمالي	كـــسيري علـــيهم مثلـــها بعـــدما صـــار(٦)
ســـيكر كـــبير القـــوم واللـــي يـــوالي	جبنـــاه أســـير بوجـــه ســـلطان منجـــار(٧)
وســـلاح ربعـــي مـــن مـــوزار طـــوالي	مـــن ضـــربهم يـــدعوا دمـــا الـــضد فـــوار
بـــلادي عـــرين ورابـــيّن بـــه شـــبالي	عنـــده نبيـــع أرواحنـــا بـــأرخص أســـعار
حنـــا بـــني معـــروف أهـــل البـــسالي	مـــن دور آدم والمراجـــل لنـــا كـــار
ســـلطان باشـــا يـــا حمـــاة التـــوالي	ويـــا خـــالقي تنجـــي ربـــوعي مـــن النـــار

---

(١) الفسالي: الموبقات

(٢) جنود المعاش: إشارة للمتطوعين.

(٣) مد الحلال: خروجه للرعي ـ الحلال: المواشي ـ هدوا: هجموا ـ بو الفار: آكل الفيران.

(٤) قروم العيال: الشجعان ـ هل الطولات: أهل المكارم ـ صلفين الشوار: أصحاب الرأي السديد.

(٥) تلاطموا: التقوا ـ سوق المجال: يوم الحرب ـ حدوا بهم: طردوهم ـ اقفوا: هربوا.

(٦) كسيري: انكسار ـ حداه: ساقه.

(٧) سيكر: الضابط القائد ـ منجار: مستجير.

معركة أبو زريق

يـا الله يـا اللـي عـالم الـسر والخفـا	عرشــك تعلــى فــوق كــل عــراشِ
عــــز ربعـــاً جاهـــدوا في بلادهـــم	يـــا خـــالق الـــدنيا ســـهل وحـــراشِ
مـــن بعـــد ذا يـــا راكـــب هيزعيـــه	منـــوة غريـــب الـــدار والطـــراش[1]
تمـد مـن عنـدي علـى الرحـب والـسعة	تلفـــي الأزرق قبـــل ضـــب دغـــاشِ[2]
ســلم علــى الباشــا وخــبر عطوفتــو	أحكــي الــصحيح ولا تكــون غــشاشِ
كـونْ جـرى ببـو زريـق مـا ينحكـابو	والـــرأس مـــن رزم المـــدافع طـــاشِ
أول نهـــار ألنـــا ولا هـــو علينـــا	بـــس المـــوازر همـــة الـــدفاشِ[3]
وفعـــال ربعـــي مثـــل فعـــل الزنـــاتي	ذيـاب ابـن غـانم مثلنـا مـا هـاشِ[4]
صـمدنا كمـا تـصمد سـباع الكواسـر	حـاطوا بنـا وعيّـىَ علـي ينحاشـي[5]
محمـــود ابـــن كيـــوان وولاد عمـــو	فزعـــوا مـــن طلـــيلين عالرشـــاش
بقيـــصما ربعنـــا كثـــار وفـــوارس	لكـــن جمعهـــم عـــالحرب مـــا جـــاشِ
أمـــا ســـبب تـــأخيرهم يـــا رفاقـــه	بنهـــار ريـــح وقـــالوا مـــا اسمعناشـــي

---

[1] الهزعيه: المركوب السريع.

[2] ضب الدغاش: الظلام.

[3] الدفاش: جرار البندقية.

[4] هاش: قاتل.

[5] عيّىَ: أبى ـ ينحاشِ: يقيض عليه.

دوح المعـــدل مثـــل كفـــي المخـــامر	سمـع الرمـي مـن كـان بالوشـواشَ[1]
النـار مـا تحـرق سـوى مـان يدوسـها	ولا المعركـــة مثـــل الـــذي بفـــراشِ
اللـــي حـــضر بـــالكون منـــا كفـــاهم	ربعـــــي ذيـــــاب وعاديـــــاً بكبـــــاشِ
مـــن بعـــد مـــا فزنـــا علـــيهم خففـــوا	والبـــزر مـــن جمـــع العـــدا حـــشاش[2]
خمـــسين رمكـــه راحـــت بكـــرم واحـــد	مـن ضـرب مـوزر باللقـا مـا اخطـاشِ[3]
واخـتم كلامـي بحمـد ربـي وخـالقي	اللـــي نظمهـــا بظـــنتي مـــا اخطـــاش

الخاتمة:

بعـد الخـروج مـن اللجـاة لم يـستطع الثـوار الثبـات في الـصفاة بعـد أن روعـت الطائرات عربان الغياث، وبعد أن تعرض المعتصمون بهذه التلول لمجابهة ثلاث مفارز مـن متطوعـة الـدروز مـن الشراكـسة فانـسحبوا بطريـق الباديـة في اتجـاه الأزرق. وكان الفرنسيون والإنكليز قد جددوا اتفاقهم لوضع حد لهذه الثورة التي كـان قـد مضى على نشوبها عامان كـاملان[4] ، فـأبلغ البريطـانيون سـلطان وجماعتـه بـأنهم لا يرغبـون ببقـائهم في المنطقـة الإنكليزيـة وسمحـوا للجنـة فرنـسية أن تراقـب مـضايقة الإنكليـز الفعليـة للثـوار كمـا اسـتقبلوا الكـابتن "آرنـو" الـذي جـاء يفـاوض الـذين يريـدون التـسليم[5] والعـودة إلى الجبـل. وفي النهايـة عمـد الإنكليـز إلى قطـع المـاء عـن الباقين من الثوار وإلقاء القبض على شبانهم وإيداعهم سجون عمان. وهكذا لم يجد الثوار أمامهم إلاّ صحاري نجد فقصدوها وحلوا بأرض النبك في وادي سرحان بعد أن

---

(1) دوح المعدل: صوت ـ الرمي: إطلاق النار.

(2) البزر: الرصاص ـ حشاش: يحش ويحصد.

(3) الرمكه: الفرس.

(4) سلامة عبيد ص٢٠٥.

(5) نفس المرجع ص٢٠٦.

قابل شكري القوتلي الملك ابن سعود واستأذنه في قبول هؤلاء اللاجئين الذين بلغوا ألفاً وثلاثمائة وستين نفساً[1] أنهكهم الجوع والشقاء والمرض والتقتيل والتشريد.

بقي الثوار المنفيون عشر سنوات في قريّات الملح بوادي السرحان يعمل رجالهم بتجارة الملح ينقلونه إلى شرقي الأردن على الجمال ويبيعونه في أسواقها ويعتاشون من أثمانه ومن الإعانات البسيطة من المهجر[2] .. وقد تحملوا شظف العيش والجفاف والجوع والحرمان والمرض بأقسى الأحوال والأشكال. ونسجوا الحكايات والقصائد الشعرية والروايات المتعددة.

فهذا الأمير عادل أرسلان في قصيدته: طال انتظاري للنهار الصبيح ـ يصف الليل والجفاف وشظف العيش في وادي السرحان[3] ، وهذا علي عبيد يصف القهوة المرة ويتمنى شربها بين الخلان في السويداء . وهذا الأمير زيد يتحرق على الديرة والوطن ويعتب على من خان في قصيدته: يا ديرتي مالك علينا لوم ....الخ.........

كما كانوا يتسلون أحياناً بالصيد والقنص وحتى بألعاب الأطفال "لعبة طس القعاقير" وهكذا حتى صدور العفو عنهم سنة ١٩٣٧ ، فعادوا إلى الوطن معززين مكرمين ودخلوا دمشق دخول الفاتحين فاستقبلتهم العاصمة استقبالاً بهيجاً فرشت الشوارع سجاداً من أول المدينة حتى المرجة ، وكانت سيارة سلطان المكشوفة مرفوعة على الأكف وهو يحيي الجماهير فيها من القدم "أول مدينة دمشق حتى ساحة المرجة ودار الحكومة. وهكذا اكتحلت أخيراً عيون الأكثرية من الثوار المنفيين برؤية تراب الوطن ومشاهدة مهرجانات واحتفالات التقدير التي يستحقونها...!!

---

[1] **الريس ص٦٦٥.**

[2] **سلامة عبيد.**

[3] **سلامة عبيد**

الباب الثامن

رحيل القائد سلطان باشا الأطرش

الرئيس الأسد ينعي الفقيد

صبيحة يوم الجمعة ١٩٨٢/٣/٢٦ نعى الرفيق حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية بشديد الحزن والأسف المغفور له عطوفة سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة السورية الكبرى الذي توفاه الله عن عمر يناهز الستة والتسعين عاماً قضاها في النضال ضد الاستعمار ومن أجل استقلال الوطن وتحقيق أهدافه الوطنية والقومية. لقد كان الفقيد رمزاً كبيراً من رموز النضال الوطني وأبلى بلاءً كبيراً ناصعاً في الجهاد ضد المستعمرين وكان للثورة السورية الكبرى التي تولى قيادتها العامة الأثر الكبير في دفع مسيرة النضال من أجل الاستقلال نحو النصر وسيظل اسمه في تاريخ قطرنا مقروناً بالكفاح الوطني بكل ما يعنيه من عزيمة صلبة وإيمان بالهدف وتصميم على بلوغه.

وزير الدفاع العماد مصطفى طلاس

وصية سلطان باشا الأطرش



إخواني وأبنائي العرب..عزمت وأنا في أيامي الأخيرة. أنتظر الموت الحق أن أخاطبكم مودعاً وموصياً. لقد أولتني هذه الأمة قياد الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي الغادر. فقمت بأمانة القيادة وطلبت الشهادة وأديت الأمانة، انطلقت الثورة من الجبل الأشم جبل العرب لتشمل وتعم وكان شعارها:

"الدين لله والوطن للجميع"

وأعتقد أنها حققت لكم عزة وفخاراً وللاستعمار ذلاً وانكساراً. وصيتي لكم إخوتي وأبنائي العرب هي أن أمامكم طريقاً طويلة، ومشقات شديدة تحتاج إلى جهد وجهاد، جهاد مع النفس وجهاد مع العدو. فاصبروا صبر الأحرار ولتكن وحدتكم الوطنية، قوة إيمانكم وتراصّ صفوفكم هي سبيلكم لرد كيد الأعداء، وطرد الغاصبين وتحرير الأرض.

واعلموا أن الحفاظ على الاستقلال أمانة في أعناقكم بعد أن مات من أجله العديد من الشهداء وسال للوصول إليه الكثير من الدماء. واعلموا أن وحدة العرب هي المنعة والقوة. وأنها حلم الأجيال وطريق الخلاص.

واعلموا أن ما أخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ. وأن الإيمان أقوى من كل سلاح، وأن كأس الحنظل بالعز أشهى من ماء الحياة مع الذل، وأن الإيمان يُشحذ بالصبر ويحفظ بالعدل ويعزز باليقين ويقوّي بالجهاد. عودوا إلى تاريخكم الحافل بالبطولات الزاخر بالأمجاد. إني لم أر أقوى تأثيراً في النفوس من قراءة التاريخ لتنبيه الشعور وإيقاظ الهمم لاستنهاض الشعوب لتظفر بحريتها وتحقق وحدتها وعزتها وكرامتها وترفع أعلام النصر.

واعلموا أن التقوى لله والحب للأرض. وأن الحق منتصر، وأن الشرف بالحفاظ على الخلق والإبداع وإتقان العمل، وأن الاعتزاز بالحريّة والفخر بالكرامة.

وأن النهوض بالعلم والعمل، وأن الأمن بالعدل، وأن القوة بالتعاون. الحمد لله ثم الحمد لله.

لقد أعطاني عمراً قضيته جهاداً وأمضيته زهداً. ثبتني وهداني وأعادني لإخواني، اسأله المغفرة وبه المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل.

ـ أما ما خلفته من رزق ومال فهو جهد فلاح متواضع تحكمه قواعد الشريعة السمحاء.

سلطان الأطرش

في رثاء المغفور له سلطان باشا الأطرش

للأستاذ عيسى عصفور

سلطان

حــــيِّ المـــروءة في محـــراب ســـلطانا واخــــشعْ لمثـــواهِ إجـــلالاً وعرفانـــا

مـــا ذاك قـــبرٌ، ولكـــن قمـــةٌ شمخـــت وطاولـــت موكـــب الجـــوزاء ميـــدانا

طافـت بمغنـاك يـا سـلطان جمهـرةٌ بـــيضٌ منـــاقبهم شـــيباً وشـــباناً

تهفـو إلى طـاهر الأكفـان تنـسجها تمائمـــاً عـــن بـــلاءٍ بـــات يغـــشانا

هـذي العمـائم مـن قحطـان لُحمتهـا أكـرمْ بهـا فـوق هـام المجـد تيجانـا

منـــارةٌ أنـــت في دهمـــاء ظلمتنـــا يفنـى الزمـان وفي ذكـراك مرسـانا

طلعـــت فينـــا شـــروقاً لا غـــروبَ لـــه فجـــراً تـــضمّخَ بالآمـــال نـــديانا

لمـــا افترشـــتَ رمـــال البيـــد قاحلـــةً زهـــتْ وأينعـــت الـــصحراءُ ريحانـــا

نفـــسٌ حملـــتَ عليهـــا كـــلَّ نافلـــةٍ ومـــا بخلـــتَ بهـــا في الـــروع قربانـــا

عـــاري الخلائـــق مـــن زيـــفٍ وبهرجـــةٍ والـــسيف أقطـــعُ مـــا تلقـــاه عريانـــا

القائـــد الفـــذّ، والأيـــام شـــاهدة لانـــتْ جبـــابرة الـــدنيا ومـــا لانـــا

درعُ العروبـــة في إبَّـــان محنتهـــا صـــان العروبـــة آفاقـــاً وشـــطآنا

عُـــدنا بـــسلطان لمـــا عابنـــا نفـــرٌ تقمّـــصوا ســـيرةَ الأبطـــال أوثانـــا

الرابـــضون علـــى ذلٍ ومترفـــةٍ والقـــابعون علـــى الخـــذلان خـــذلانا

الناعمون على آلام أمتهم ... والراقصون على أشلاء قتلانا

القاعدون وفي أكبادهم خَوَرٌ ... والجاحدون الجهاد المرَّ نكرانا

ساغت لهم دمعة الأيتام داميةً ... وينتشون على أنّات ثكلانا

لن يحملونا على ما ليس في دمنا ... وشيمة المجد نهواه ويهوانا

بريئةٌ من هوى الأقزام ساحتنا ... شتان ما بين دنياهم ودنيانا

وهل نُعاب وقد صُغنا العلى شمماً ... وشنّفتْ مسمع الأجيال نجوانا

هذي النجوم نقوشٌ في بيارقنا ... ووقدةُ الشمس وهجٌ من ضحايانا

حنا القليبُ على ذي قار منتخياً ... فعانقته لظىً راياتُ شيبانا

وجلجلت في الذرا الشمّاء صيحتنا ... فزغردت للمنايا بنتُ مروانا

بأسٌ تمرّد في حوران فانتفضت ... وفجّر الشام راياتٍ وفرسانا

فالغوطتان لهيبٌ والفداءُ دمٌ ... نعمَ الشهادةُ إيثاراً وإيمانا

ومن هنانو إلى سلطان كم هدرتْ ... مواكبُ العزة القعساء بركانا

وهلّلت في ديار الشام أفئدةٌ: ... كنْ للسفينة يا سلطان ربّانا

لا تسألِ السهل عن ميشو وعسكره ... وعن جحافلَ من أحفاد عثمانا

صاروا لنار الوغى طعماً ومزّقهم ... عند اللقاء نسورُ من سرايانا

عصرُ البطولات والثورات ماردةً ... أجدرْ به أن يُسمَّى عصرَ سلطانا

وصــدرُنا، وجــراح القــدس حــشرجةٌ   مــا زال للثــأر يــا ســلطان ظمآنــا

كتائــبٌ مــن بــني معــروف راعفــةٌ   عبْـــر المعـــامع هنـــدياً ومرّانـــا

فهـــل رأيـــتَ أبـــابيلاً مجنحـــة   وهــل سمعــت صــهيل الخيــل ألحانــا

كالــسيل منحــدراً، كالليــل منــسدلاً   طـــاروا إلى هَبَـــوات النقـــع عقبانـــا

عـــرس العروبـــة إذ ماجـــت فيالقهـــا   مـــن رافـــديها إلى أعمـــاق تطوانـــا

في غــارة كاختطــاف الــروح ماحقــةٍ   عربـــاءَ شـــعواءَ تـــذكيها حمّيانـــا

تمـــرّ بالمـــسجد المحـــزون طاويـــة   أحـــلامَ صـــهيونَ في مـــيراث كنعانـــا

وينجلــي الليــل عــن إشــراقة ســطعتْ   فبــدّلت مــن خريــف العُــربْ نيــسانا

لم يفــتحِ الــدهر ســفْراً مــن مــآثره   إلا وكـــان لـــه ســـلطان عنوانـــا

لبَّيْــك يــا صــانعَ التــاريخ ملحمــةً   إنَّــا علــى العهــد، لــن تبلَــى ســجايانا

عيسى عصفور

العقيد الشاعر محمد جادو سجاع يرثي: المغفور له سلطان باشا الأطرش

واه مـن علـم ضـفى عـالكون كلـه ... الهـب حـروف الجرايـد والإذاعـة
زلـزل جبـال الرواسـي مـن محلـه ... وزعـزع قلـوب الخلايـق يـوم شـاعا
نعـي أبـو طـلال قايـدنا المجلّـى ... واخـساره هـالخبر مـا أصـعب سماعـه
كـل ضـيم نرتجيـه ونـستهله ... وبمظلمـات أخطـار نترقـب شـعاعه
حيـف يـا سـلطان يابـدراً تجلّـى ... بـسمانا مكلـلاً حـسن وفداعـه
أوفـدت مـن كـل صـوب وكـل ملّـه ... نافـت المليـون في حفلـة وداعـه
ياجموعـاً حبهـا كـان بمحلـه ... داميـات مواقهـا حـزن وخـشاعه
ودعـوا سـيفاً علـى الأتـراك سـله ... بـسيف يعـرب شـاهراً عَ طـول باعـه
سـيفنا سـلطان ومـا سـيف يفلّـه ... غـير حـد المـوت مـا ضـده مناعـه
القائـد اللـي مـا ارتـضى بعـار ومذلـه ... يلـهب الثـورات بعـزم اندفاعـه
جـاعلاً سـيفه طبيـب لكـل علـةّ ... بـه يـداوي رأس مـن يـشكو الـصداعه
مـشيداً عـز الـوطن مـن خيمـة الله ... عـايف قـصور العـوالي المـستطاعة
كـم تقيـٍ صـام مـن أجلـه وصـلّى ... يرتجيلـو النـصر ويزيـد الـضراعه
ودعـوا جيـل النـضال المـا تخلـى ... عـن حمانـا ولا تـوانى عـن رفاعـه
كـم عـدوٍ للـوطن جـرب يذلـه ... خـاب ظنـه قايـده قـوطر زعاعـه

إن غزانا من السما ناراً نكن له وأن غزانا من البحر نغرق شراعه

جمع أبو طلال كان الشعب كله والسلاح من العدا عنوة وبراعه

جيش ميشو راح بالأحداب يشله واندحر غملان رغماً من خداعه

وأن ذكرتوا المزرعة والعز لله نصر حاسم والفرنسي حط طاعه

سل دعياً مستبداً كيف ولّى من الندامى والفشل ينهش كواعه

فعالهم ما ودها شهود و أدلة العدو اللي اعترف يشفي وجاعه

بالسويداء و بالكفر وبكل تله كم شهيد سطر بدمو صراعه

ياسليل المجد يا ابن الأسله يارفيع الشان من عهد الرضاعه

لو سمعنا العمر عنك ما نمله ولو كتبنا الدهر ما جف اليراعا

الزعيم اللي تحلَّى بخاص حلّه مرجله حكمه وصبر عفة وقناعه

رمز خالد للجهاد وراية الله مُلهم الأجيال تنهل من طباعه

عهدنا حفظ الوصية وما نخلَّه الوطن برقابنا أصبح وداعه

بك جنان الخلد رحَّب ثم هلا ألف رحمة تغمر الروح الشجاعه

الباب التاسع

ملحق (١)

شهداء العروبة ضد الفرنسيين

لقد أطلعت على تسجيل أسماء الشهداء ضد الفرنسيين في كتب متعددة وسمعت من كثير من الأشخاص فلا حظت الكثير من الاختلاط والالتباس في كافة المراجع لذلك فضلت اختيار بعضاً مما ورد في ثلاثة مصادر أساسية اعتقد أنَّها كتبت جيداً عن تاريخ الثورة ضد الفرنسيين وحظيت باستحسان أكثر القادة السياسيين ذوي الشأن وهي للمؤرخين:

١- الاستاذ جميل العلواني.

٢- الدكتور محي الدين سفرجلاني.

٣- الاستاذ سلامة عبيد.

أولاً : في كتاب الاستاذ المجاهد جميل العلواني

جمع المجاهد الاستاذ جميل العلواني الذي خاض الكثير من معارك الثورة في كتابه-" نضال شعب وسجل خلود "- جمع اسماء شهداء الوطن ضد الفرنسيين مسلسلة حسب الأحرف الأبجدية وحسب المحافظات.

وكان هذا الجهد المشكور والسجل الخالد يستحق كتاباً خاصاً لوحده حيث تجاوز في صفحاته ١٢٠ صفحة من الأسماء، وعند التدقيق لاحظت فيه بعض الإلتباس بين الاسماء

" اسماء الاشخاص، اسماء القرى، أسماء العائلات" لذلك أكتفيت منه بتلخيص هذا الجدول لمجموع شهداء المحافظات السورية.

عدد الشهداء	المحافظة
٣١١	محافظتي حلب وادلب.
٣٣١	اللاذقية وطرطوس والساحل.
٧٣١	دمشق والغوطتين.
١٥٠	حماه.
٢٥٠	حمص والنبك والقلمون.
٠٧١	دير الزور والجزيرة والبوكمال.
٠٣٤	درعا.

٠٢٨	حامية البرلمان.
١٨٠٦	المجموع
٢٠٦٤	جبل العرب.
٠٢٧٥	إقليم البلان، راشيا مجدل شمس والقرى التي حولها وأقارب أهل الجبل من لبنان وفلسطين.
٤١٤٥	المجموع.

العلواني من الصفحة ٣٨٩ حتى ٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))

ثانياً : الشهداء في كتاب الدكتور محي الدين سفرجلاني

يذكر الدكتور محي الدين سفر جلاني في كتابه الثورة السورية وتحت عنوان شهداء الثورة السورية العربية مرتبة على حروف الهجاء يذكر ما يلي:

فعلى هذه الصفحة المجيدة نثبت آيات الخلود وعلى هذه اللوحة لوحة الفخار بعدد اسماء الأبطال الذين قضوا في سبيل العزة القومية وفي سبيل النجدة الوطنية او في سبيل الواجب الأقدس في سبيل سوريا الحبيبة والعروبة العزيزة والحرية الحمراء التي صبغوا جوانبها بدمائهم الزكية.

هؤلاء هم حملة المشاعل أمام الجيل الآتي وهؤلاء هم رافعو لواء المجد أمام العصور المقبلة. وهؤلاء هم الأئمة الذين اختطوا على صعيد هذه البلاد بتلك الدماء والأشلاء أسطر التضحية الصحيحة لتكون بذاراً في الثرى ينبت في الأيام التي ستتلو هذه الأيام نشئاً جديداً حديثاً رضع المفاداة وتغذى بلبانها وتنشق نسيمها وسار على غرار الأبرار.

فإنقاذاً لغاية تخليد هؤلاء الأفذاذ والهدف الأعلى من الاعتراف بفضل الأحرار وجهادهم لا ندحةَ لنا عن أن نشيد بذكر الأخوة الأكارم الأبطال الجحاجح والفرسان المغاوير بنو معروف الأشداء البواسل وغيرهم من الأبطال السوريين العرب

وقد جنحنا إلى البدء بذكر شهداء بني معروف لأن الثورة السورية شبت في جبلهم الأشم ومنه عمت سائر الأقطار السورية. إن هذا العنصر الكريم عنصر بني معروف الأبطال يكاد ان يكون كالتبر المذاب لا بل كالدرة اليتيمة في عقد الثورة المجيد، فهم أولوا هذه الثورة - أثابهم الله - من ذات اليد وذات النفس ما يعجز عن توصيفه هذا الطرس.

فهم بحق أسود الشرى وهم بنبل رجال الوغى، وهم عن جدارة رجال المعارك في كل ساحة وفي كل موقف وفي كل مكان. وقد ألمعنا بهذه النبذة اليسيرة عن خصالهم الجليلة وأعمالهم العظيمة، ونحن ندري بأننا لا نوفيهم حقهم ولا نؤديهم قسطهم وما هم جديرون به من الإشادة بكل محمدة لهم ومفخرة .

فالشهداء الأبرار منهم الذين سنأتي على تعداد اسمائهم مع كلمة يسيرة جداً تعطي الفكرة عن ذلك الشهيد الحي منهم،وهي كل ما استطعنا بعد الجهد الجاهد والعناء العظيم أن نبلغها بكل شقة، فما نعتذر به إلى أسر بني معروف العريقة الأمجاد والأشراف هو أننا كنا نود أن نطلع على العالم بالصفحات النواصع من التاريخ الأبلج لهذا القوم العزيز على العروبة والكريم على المروءة بكل أفعاله.ولكن هذا هو كل ما تمكنا بلوغه، على أننا لنرجو أن يتخذ أخوتنا بنو معروف مما يقرؤونه في كتابنا هذا عنهم أسمى ما نتحسسه من إقرار بالرجولة واعتراف بالبطولة، وذكر لكل ما قاموا به ويقومون من شجاعةوحماس في كل حين وآن.

١- الشهيد اسماعيل الأطرش ٢٠ عاماً في ريعان الشباب بمعركة الكفر
٢- الشهيد أجود البربور فقيد الشباب ٢٤ عاماً معركة تل الخروف وهو من أم الرمان.
٣- الشهيد أحمد البربور ابن عم أجود أم الرمان ٢٣ عاماً معركة تل الخروف.
٤- الشهيد أحمد الخطيب قرية طربا شارك في معارك الجبل والغوطة استشهد في معركة معلولة وعمره ٤٥ سنة-بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩٢٥.
٥- أحمد صعب قرية الشريحي ٣٥ عاماً ٢ آب في معركة المزرعة.
٦- اسماعيل المتني قرية الكسيب ٤٠ عاماً في معركة المزرعة.

٧- ابراهيم نصر نجران في معركة الزبائر " اللجاة" أيار سنة ١٩٢٦ -٤٢عاماً.

٨- توفيق الغوطاني طربا ٣٨ عاماً معركة رساس.

٩- جميل عز الدين الحلبي ٢٤ عاماً في معركة اللجاة.

١٠-جبر شلغين صميد ٣٠ عاماً استشهد بمعارك اللجاة

١١-حامد الحلبي ٥٠ عاماً معركة المسيفرة.

١٢-حمود الحلبي المشقوق ٣٠ عاماً معركة الكفر.

١٣-ذياب أبو مراد نصر نجران معركة المزرعة.

١٤-حمد بن قاسم الأطرش عنز معركة رساس ٢٥ سنة.

١٥-حمد البربور أم الرمان حارب مع فيصل وضد الأتراك وضد الفرنسيين تل الخروف

١٦-حمد عامر البثينة وهو من قيادة الثورة موقعة المزرعة الثانية.

١٧-حمود مقلد رامي معركة المزرعة ٤٥ سنة.

١٨-حمدان مقلد رامي معركة المزرعة.

١٩-حامد سلام الطيبة معركة تل الحديد.

٢٠-خزاعي سلام الكسيب معركة العادلية.

٢١-خزاعي ناصيف عراجي معركة المزرعة.

٢٢-دخيل بن عودة اسحاق من مسيحيي عرى معركة عرى ٣٠ سنة.

٢٣-سلامة بن حنا نويصر من مسيحيي عرى معركة المزرعة.

٢٤-رشيد علي عبيد السويداء اعتقل في عمان وسلم للسلطة الفرنسية فاقتيد إلى السويداء وألقي جثة مسمومة بعد ثمانية أيام.

٢٥-سالم حمود الأطرش معركة شبعا الغوطة.

٢٦-سلمان بن حمود الحلبي عرمان معركة المسيفرة.

٢٧-سليمان بن صالح الحلبي معركة عرمان.

٢٨-سلامة بن محمد محرز لاهثة معارك اللجاة.

٢٩-سعيد سلام طربا معركة العادلية.

٣٠-سعيد ناصيف دوما معركة رساس.

٣١-سليم سلام طربا معركة المزرعة.

٣٢-الشهيد سليمان العقباني السجن معركة المزرعة

٣٣-سليم جريرة أم الرواق معركة رساس.

٣٤-سعيد معذى المغوش خلخلة موقعةالعادلية.

٣٥-شريف سلام طربا موقعة رساس.

٣٦-شبلي مقلد رامي معركة المزرعة.

٣٧-صالح أبو أسعد الحلبي لاهثة معارك وادي التيم.

٣٨-صالح هلال خلخلة موقعة الحرجلي.

٣٩-عطا الله العودة أم الرمان معركة المسيفرة.

٤٠-عقيل الجودة عرى موقعةرساس.

٤١-ظاهر حمايل الغيضة موقعة وادي الغيضة.

٤٢-علي الغوطاني طربا موقعة دوما الشام.

٤٣-عساف ناصيف دوما معركة المزرعة.

٤٤-علي طربوش الصحناوي الجنينة. المزرعة.

٤٥-فضل الله باشا هنيدي المجدل رصاص الطائرة. قلاع الجف قرب نجران.

٤٦-فؤاد سليم لبنان معارك إقليم البلان.

٤٧-فرح بن موسى الدرويش عرى موقعة كناكر.

٤٨-فرحان شرف تيما معركة المليحة ـ الغوطة.

٤٩-فندي مقلد رامي معركة المزرعة.

٥٠-فرحان ناصيف دوما معركة المزرعة.

٥١-قاسم أبو رايد طربا معركة السويداء.

٥٢-قاسم الشاعر بوسان معركة المزرعة.

٥٣-كامل حسن حاطوم ذيبين معركة المسيفرة.

٥٤-مصطفى ذوقان الأطرش القريا معركة الكفر.

٥٥-محمود البربور أم الرمان معركة الغوطة.

٥٦-محمد بن فايز سلام طربا معركة العادلية.

٥٧-مزعل شلغين صميد معركة صميد.

٥٨-معذى المغوش خلخلة موقعة صور اللجاة.

٥٩-مؤيد شرف تيما معركة يلدا الغوطة.

٦٠-مسعود سلام الكسيب معركة السويداء.

٦١-معذى سجاع الرشيدة معركة السويداء.

٦٢-نسيب بن محمد الأطرش صلخد معركة المجيمر عرى.

٦٣-نايف بن علي عبيد معركة السويداء.

٦٤-نصار البربور أم الرمان معركة الكفر.

٦٥-ناصيف حرب دوما معركة بريكة.

٦٦-نجيب خطار نصر نجران معركة المزرعة.

٦٧-نجيب ناصيف دوما معركة قنوات.

٦٨-هاني بن عبد اللّه الحلبي بريكة معركة الصفا.

٦٩-هلال أبو زيدان العجيلات معركة الشبكي.

٧٠-الشهيد أحمد مريود جباتة الخشب شارك بكثير من المعارك والمواقف السياسية الوطنية استشهد مع ثلاثين من الوطنين والأقرباء في معركة ضارية: معركة جباتة الخشب.

٧١-الشهيد إبراهيم صدقي ضابط كبير مغربي الأصل دمشقي الموطن اشترك في معارك الجبل والغوطة والنبك وحمص استشهد بمعركة التل.

٧٢-الشهيد أبو تركي سرحان من الضباط الذين شاركوا بالقيادات والمعارك في الثورة استشهد في معركة المنجكية.

٧٣-الشهيد أبو خالد نجيب من حي الميدان بدمشق معارك ا لغوطة.

٧٤-الشهيد أبو ذياب البرازي معارك الغوطة.

٧٥-الشهيد أحمد الصيداوي دمشق من حي الميدان معارك الغوطة قرب دوما.

٧٦-الشهيد توفيق الديركي دمشق معارك الغوطة.

٧٧-الشهيد توفيق بن راغب الحلبي، دمشق، معارك الغوطة.

٧٨-جمال أبو حبيب دمشق معارك الميدان دمشق.

٧٩-حكمت العسلي دمشق واقعة جباتة الخشب.

٨٠-حسن الخراط دمشق الغوطة.

٨١-حسن المقبعة دمشق معركة قصر العظم بالبزوية.

٨٢-حسن وطفة دمشق موقعة الزور بالغوطة.

٨٣-حسن الغوال دمشق موقعة الزور بالغوطة.

٨٤-حسن المصري دمشق موقعة حرستا الغوطة.

٨٥-حسين عرب ملي موقعة النبك.

٨٦-حميد عوض دمشق موقعة باب السريجة دمشق.

٨٧-خير بن صادق غزال دمشق موقعة أم الشراطيط الغوطة.

٨٨-زكي صالح الحلبي، دمشق، موقعة أم الشراطيط ـ الغوطة.

٨٩-زكي المرادي دمشق موقعة ببيلا الغوطة.

٩٠-زكي سليم الشربجي دمشق موقعة عقربا الغوطة.

٩١-سعد الدين العظم دمشق معارك الجبل.

٩٢-سليم الأظن دمشق الغوطة.

٩٣-سعيد حجاز دمشق موقعة زبدين الغوطة.

٩٤-شوكت السطامي دمشق معارك الغوطة الغزلانية.

٩٥-شفيق بن عبد الله السكري دمشق معارك الميدان دمشق.

٩٦-صالح قنباز حماه معارك حماه.

٩٧-صبري الخطيب دمشق معارك دمشق .

٩٨-الأمير عز الدين الجزائري دمشق معارك الغوطة.

٩٩-عادل النكدي لبناني معارك الغوطة.

١٠٠-علاء الكيلاني خاض الكثير من معارك الثورة موقعة خربة غازي .

١٠١-الشهيد عبد الوهاب الرجلة دمشق موقعة زاكية.

١٠٢-الشهيد الشيخ عارف نويلاتي، دمشق، موقعة زاكية.

١٠٣-الشهيد الشيخ خالد عليكو واقعة حموره.

١٠٤-الشهيد عمر علي ظاظا واقعة جوبر.

١٠٥-الشهيد علي الطويل واقعة حرستا.

١٠٦-الشهيد علي الصيداوي شظية طائرة واقعة حرستا.

١٠٧-الشهيد عبد الغني جمعة معارك باب السريجة دمشق.

١٠٨-الشهيد فائق العسلي دمشق معارك الغوطة.

١٠٩-الشهيد فؤاد رسلان حمص معارك النبك.

١١٠-الشهيد فوزي معتوق دمشق موقعة يلدا الغوطة.

١١١-الشهيد محمد الدروبي دمشق موقعة خربة غازي.

١١٢-الشهيد محمد بن حامد الفحل دمشق موقعة عقربا الغوطة.

١١٣-الشهيد محمد الشب، قرية كفر بطنا ، موقعة بيت سوي.

١١٤-الشهيد مصطفى الأغواني موقعة الزور الغوطة.

١١٥-الشهيد محمد علي ظاظا موقعة المديرية.

١١٦-محي الدين عمر جمو دمشق معركة باب الجابية دمشق.

١١٧-محمد حسن أيوب دمشق معركة قطنا.

١١٨-موسى مللى معركة الشاغور.

١١٩-محي الدين رجب دمشق معركة حي الأكراد.

١٢٠-محمد مصطفى ملي دمشق موقعة ببيلا الغوطة.

١٢١-محمود بيروتي ظاظا دمشق مومقعة فكا.

ثالثاً: في كتاب الأستاذ سلامة عبيد

لائحة شهداء كل قرية في جبل العرب

ورد هذا الملحق في كتاب الأستاذ سلامة عبيد "الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر".

ـ من شهداء الثوة الخالدين في جبل العرب . لائحة بعدد شهداء كل قرية "ص٤٤٧"

البلدة	عدد الشهداء	عدد المقاتلين	مصدر المعلومات السادة
أبو زريق	٢	١٥	المختار
أم حارتين	٢	٢٠	المختار
أم الرمان	٣٢	٨٠	المختار سليمان العاقل
أم رواق	٣	٢٥	المختار حسن نصار
أم الزيتون	٦	٥٠	المختار
أم ضبيب	٢	٢٠	المختار
البثينة	٣	٣٥	غالب عامر "أبو خمري"
بريكة	٤	٣٥	المختار ذوقان مكارم
بكة	١١	٥٠	
بهم	٣	٢٥	
بوسان	١٣	٥٠	المختار حمد عز الدين الشاعر
تعاره	٣	٢٠	
تعلا	٣	١٥	
تل اللوز	٥	٣٥	المختار
تيما	١٠	٢٥	عبد الغفار شرف
الثعلة	١٢	١٠٠	سليمان الياسين
جدية	٤	٢٠	المختار

جرين	٢	٢٠	توفيق عبيد
الجنينة	١٧	٥٠	
حبران	٢٠	٦٠	
حران	١١	٣٥	المختار مهاوش طرودي مرشد
الحريسة	٦	٤٠	
الحقف	٣	٢٠	محمود السمان
حوط	٢٠	٤٠	يوسف وهبة
الخالدية	٦	٥٠	
الخرسة	١	٣٠	المختار نايف مسعود
خلخلة	١٠	٦٠	
داما	١٤	٥٠	علي سيف الدين القنطار
الدور	١٥	٧٥	
الدويرة	٦	٣٥	المختار صالح الصفدي
دوما	٢٢	٣٥	
ذكير	٥	٣٠	
ذيبين	٢٢	٨٠	
رامي	٧	٣٥	نصر مقلد
الرحى	٢٤	٦٠	المختار حامد علي حسون
رساس	٢٠	٤٠	
الرشيدة	٩	٣٥	حسن رسلان
الرضيمة الشرقية	١٦	٥٠	
رضيمة اللوى	٥	٣٥	اسماعيل عز الدين
ريمة حازم	٤	٣٥	المختار علي شرف
ريمة اللحف	١٥	٥٠	نعمان أبو فخر
ساله	١٧	٥٠	المختار محمد أبو راس
السجن	٨	٨٠	
السعنة	٦	١٥	

سليم	٧	٦٠	
سميع	٦	٣٥	
سهوة بلاطة	٢٠	٥٠	
سهوة الخضر	٢٥	٨٠	
السويداء	١٨٢	٤٥٠	توفيق عبيد، جمال عبد الدين، جاد الله نعيم
الشبكة	٨	٢٥	
الشريحي	٧	٢٥	
شعف	١٠	٣٥	المختار محمد الخطيب
شقا	٢٢	١٠٠	
شنيرة	٢	٢٥	فايز محمد السعدي
شهبا	١٥	١٥٠	
صلاخد	٧	٢٥	المختار جميل مكارم
صلخد وتوابعها	٤٠	٢٥٠	صالح السعدي
صميد	١٦	٥٠	سليمان حيدر وخطار شلغين
الصورة الصغيرة	٣	٥٠	
طربا	١٧	٣٥	
الطيبة	١	٢٠	المختار جاد الحسين
الطيرة	٣	١٥	
العانات	٨	٤٠	هاني مهنا أبو صالح
عتيل	١١	٨٠	المختار ابراهيم الجبر
العجيلات	١	٢٥	
عراجة	١٠	٢٥	
عرمان	١٠٥	٢٠٠	إبراهيم نجم الأطرش وصالح أبو الحسن
عرى	٢٦	١٥٠	سليمان الكريدي
عريقة	٢٢	١٠٠	خليل دواره و عبدو الشامي

العفينة	١٤	٤٠	سليمان غانم
عمره	٦	٤٠	المختار هاجر عامر
عنز	٧	٦٠	المختار يوسف باير النبواني
الغارية	٣٢	١٦٠	
الغيضة	٤	١٥	
القريا	٣٤	٢٠٠	صياح شلهوب
قنوات	٣٠	١٥٠	
قيصما	٢٧	٥٠	
الكسيب	١٠	٢٥	حمد سلام
الكفر	٢٤	١٥٠	المختار مهاوش نكد
كفر اللحف	١٠	٥٠	
كناكر	٣	١٥	فضل الله القنطار
لاهثة	١٥	١٠٠	هايل عز الدين
لبين	٧	٥٠	المختار أمين المحيثاوي
متان	٦٧	١٥٠	جاد الله العيسمي
المتونة	١٠	٣٥	
مجادل	١١	٤٠	المختار قاسم شلغين
المجدل	١٩	٨٠	ابراهيم هنيدي
المجيمر	٢٧	٨٠	نجيب حرب
مردك	٣٠	٥٠	حسن أبو علوان
المشقوق	١٤	٤٠	داوود عبيد
المشنف	٦	٥٠	المختار فرحان السبع
مصاد	١٢	٥٠	غالب سيف
المغير	٥	٢٥	المختار ياسر فرمند
مفعلة	٧	٦٠	
ملح	٧١	٢٠٠	علي الملحم والمختار كرم أبو علوان

المنيذرة	١٤	٣٥	
ميماس	١١	٤٠	
نجران	٤٦	١٠٠	نايف عجاج نصر
نمره	١٥	٨٠	المختار ذوقان ناصر
الهويا	٣٤	١٠٠	الشيخ سليمان عبد الباقي والمختار سليم قبلان
الهيات	٩	٣٥	المختار ظاهر نوفل
وقم	٩	١٥	
ولغا	٦	٢٥	المختار سعد عامر
المجموع	١٦١٥	٥٧٢٥	يضاف إلى ذلك الأطفال والنساء والمسنين

جدول ورد بكتاب سلامة عبيد من ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ بعنوان:

جدول شهداء العائلات خمس شهداء فأكثر

التسلسل حسب الأكثرية:

نصر	٥٥ شهيدا
حرب	٣١ شهيدا
الحلبي وعز الدين	٣٠ شهيدا
أبو فخر	٢٥ شهيدا
نعيم	٢٤ شهيدا
حمزة وعزام	١٩ شهيدا من كل عائلة
كيوان	١٨ شهيدا
رضوان وأبو عسلي	١٧ شهيدا من كل عائلة
ابو خير	١٦ شهيدا
الحناوي . الشعراني ـ علم الدين ـ هنيدي	١٥ شهيدا من كل عائلة
الجباعي ـ الزغير . سلام ـ الصفدي	١٣ شهيدا من كل عائلة

جربوع رزق	١٢ شهيدا من كل عائلة
بلان ـ الجرماني ـ الخطيب ـ غانم	١١ شهيدا من كل عائلة
حامد ـ الحسن ـ زين الدين ـ علبة ـ مرشد ـ ملاعب ـ نوفل	٩ شهداء من كل عائلة
أبو سعيد ـ أبو عاصي ـ جمول ـ المتني ـ عبيد ـ عزي ـ فرج ـ القنطار ـ المتني ـ المحيثاوي ـ مكارم	٨ شهداء من كل عائلة
أبو سعد ـ أبو طافش ـ أبو عمار ـ الأطرش ـ حديفة ـ الحضوي ـ سجاع ـ الشوفي ـ الشومري ـ الصحناوي ـ صيموعة ـ عامر ـ العبد الله ـ عبد الباقي ـ مقلد ـ ملاك ـ وهبة	٧ شهداء من كل عائلة
أبو ترابة ـ أبو حسون ـ أبو حمدان ـ أبو شاهين ـ الجرمقاني ـ جفعر ـ حيدر ـ درويش ـ صبح ـ غزالة ـ قطيش ـ لمع ـ المغوش ـ منذر "الجغامي" ـ النجم	٦ شهداء من كل عائلة
أيوب ـ البربور ـ جريرة ـ الجمَّال ـ جودية ـ الجوهري ـ الحجلي ـ الحلح ـ حمشو ـ حميدان ـ زيدان ـ سراي الدين ـ سعيد ـ السلامة ـ الشاهين ـ شرف ـ شروف ـ شقير ـ شلغين ـ شنان ـ صعب ـ عربي ـ العربيد ـ العطواني ـ العقباني ـ العيسمي ـ الغوطاني ـ قرقماز ـ قريشي	٥ شهداء من كل عائلة

عبيد ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨

ومن الجهد المشكور الذي حققه الأستاذ سلامة عبيد إكراماً للشهداء في كتابه المذكور تدوينه اسم شهداء كل عائلة مع بلد الشهيد وموقع استشهاده.

وعندما حاولت التحقيق في هذه الأسماء وجدت كثيراً من الأخطاء بسبب الاختلاط والتشابه بالأسماء وأسماء السلف والعائلة لذلك اعتذر عن تدوين هذه الأسماء نظراً لصعوبة التحقيق وكثرة الالتباس.

المراجع

١. مذكرات سلطان باشا الأطرش التي نشرها أمين الأعور بمجلة بيروت المساء ١٩٧٥ على شكل حلقات متتالية بلغت ٢٥ حلقة. وقد اختصرت اسمها بعبارة (م.ح كذا ، ، أي مذكرات حلقة رقم .....)

٢ـ الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ــ الجنرال هو هونتر نجر القائد الأعلى لجيوش الشرق تعريب إدوارد البستاني.

٣ـ بنو معروف بين السيف والقلم سعيد أبو حسون ـ مطبعة الجبل ـ السويداء ١٩٤٤

٤. جبل الدروز ـ حنا أبو راشد ـ نشر مكتبة زيدان العمومية مصر ١٩٢٥

٥. حوران الدامية ـ حنا أبو راشد ـ نشر مكتبة زيدان العمومية مصر ١٩٢٥

٦. محافظة السويداء ـ نشر وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٢٦

٧. إبراهيم باشا في سوريا ـ أبو عز الدين لبنان

٨. بركهاردت ـ تعريب سلامة عبيد ـ جبل حوران في القرن التاسع عشر

٩. تاريخ لبنان الحديث ـ الصليبي لبنان

١٠. أخبار الأعيان في جبل لبنان ـ طبع بيروت

١١. خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ مجلد ٣،٢،١

١٢. ديوان شبلي الأطرش ـ نشر مكتبة الحضارة ـ دمشق

١٣. الحركة العامية والانتفاضات الفلاحية في جبل حوران ١٩٩٠ الدكتور عبد الله حنا

١٤. دروز سوريا ولبنان ـ د.حسن البعيني

١٥. تاريخ الثورة السورية ـ محي الدين سفرجلاني

١٦. الثورة السورية الوطنية ـ الدكتور الشهبندر ـ مذكرات دار الجزيرة دمشق ١٩٣٣

١٧ـ الثورة السورية على ضوء وثائق لم تنشر ـ سلامة عبيد

١٨ـ الثورة العربية ـ أمين سعيد ٣ أجزاء

١٩ـ نضال شعب وسجل خلود ـ الأستاذ المجاهد جميل علواني

٢٠ـ الأعاصير ـ رشيد سليم الخوري ((الشاعر القروي)) مطبعة مجلة الشرق

٢١ـ صفحة من الأيام الحمراء ـ محمد سعيد العاصي ١٩٢٥ـ ١٩٢٩ ثلاث مجلدات عمّأن ١٩٢٩

٢٢ـ ربابة الثورة ـ علي عبيد ـ دمشق ١٩٦٧

٢٣ـ تمدد الدروز وعصيان دمشق ـ الجنرال أندريا باريس ١٩٣٧

٢٤ـ مذكرات الكابتين كاربيه في جبل العرب ترجمة نبيل أبو صعب ١٩٩٩

٢٥ـ الحرب الوطنية الدرزية في سوريا من ١٩٢٥ـ ١٩٢٧ لوتسكي ـ تعريب محمد ذياب

الفهرس